43

الثورة الإسلامية الإيرانية

من الثورة إلى الدولة

قراءة في المشروع الإسلامي المقاوم

تأليف

د. علي أبو الخير

مركز العراق للدراسات
Iraq Center for Studies

الثورة الإسلامية الإيرانية

من الثورة إلى الدولة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

2016م - 1437 هـ

مـركز العـراق للدراسـات

Center Of Iraq For Studies

www.markazaliraq.net +964 7710558123

info@markazaliraq.net +964 7707961315

سلسلة كتب سياسية مختصة بالشأن العراقي يصدرها
مركز العراق للدراسات

الثورة الإسلامية الإيرانية

من الثورة إلى الدولة

قراءة في المشروع الإسلامي المقاوم

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

تأليف

د. علي أبو الخير

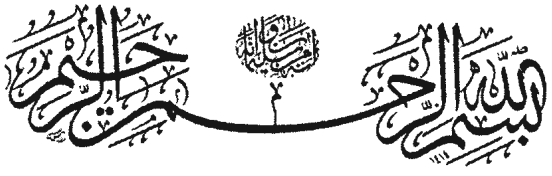
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

- الثورة الإسلامية الإيرانية إلى الدولة
- د. علي أبو الخير
- الناشر: مركز العراق للدراسات
- المطبعة: الساقي للطباعة والتوزيع
- تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد الهاشمي

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات

إهداء الكتاب

إلى روح من فجّر ثورة الكلمة، وقاد المستضعفين لوراثة الأرض التي ظنَّ المستكبرون أنَّها ملك لهم، أخذوها وراثة عن الأجداد والآباء، وجعل من مفردات المقاومة الرسالية واقعا يمشي على الأرض الإسلامية.

إلى الإمام روح الله الموسوي الخميني ﷺ

نهديه بعضا ممّا تركه للأمّة

وساما لنا على صدورنا

علي أبو الخير

مقدّمة

بعد أن نجحت الثورة الإسلامية في إيران، اعتقد الكثيرون أن الثوّار بعد أن يصيروا حكاما سيتخلّون عن مشروعهم الثوري، أو على الأقل ستعيقهم مسؤوليات الدولة عن اكمال المشروع الثوري المقاوم للاستكبار العالمي، أو تفرض عليهم ضرورات الحكم التعامل بالبراجماتية النفعية بكل ما فيها من مراوغات سياسية، ولكنّ كلّ ذلك لم يحدث، وخابت كلّ التحليلات والظنون، فالثورة مازالت قائمة وممتدة، وقناعات الثوّار كما هي لم تتغير، وما زال المشروع المقاوم مستمرّاً يؤدّي دوره، ويؤدّي رسالته.

إنّ الكتابة عن الثورة الإسلامية في إيران يعني الكتابة عن الكلمة التي تعتبر أغرب رأس حربة في تاريخ الإنسانية، والكلمة هنا تعني الإيمان، لأنّ الكلمات قد تختلف معانيها، ولكنها في نموذج الثورة الإسلامية، هي الكلمة المؤمنة، فالثورة الإسلامية الإيرانية كانت ثورة كلمة إيمان بكل المقاييس، ولم يحدث لثورة في العالم مثلها أن قامت على الكلمة مثلها، ثورة قادت المستضعفين للتصدي لأكبر قوة عسكرية في المنطقة، وأكبر جيش منظّم تحت قيادة الشاة الإيراني الأسبق، وتحميه قوّة من أكبر القوّات العسكرية في

الأرض ومعها التحالف الصهيوني، ومع ذلك تنتصر الكلمة على القوّة، تنتصر إرادة الإنسان المسلم الثوري على جحافل الطغيان والمادة والجيش والحماية، تنتصر الروح الإيمانية على الاستكبار الداخلي والخارجي، في مشهد عاصرناه وشاهدناه بكّل تفاصيله، عندما هرب الحاكم المتغطرس لا يجد له مأوى يلجأ إليه، بعد أن كان هو الحاكم المتمكّن من أموره، وقد شعر أن الدنيا كلّها صارت في قبضة يده، ومع ذلك خرج في مشهد مروّع يثبت أن الكلمة هي الأصل، وهي التي تنتصر بالإيمان عندما تتسلح بالقيادة.

لقد انتصرت الثورة الإسلامية على نظام الشاة محمد رضا بهلوي، وهو انتصار على الاستكبار العالمي الذي كان يحمي الشاه، فهل يتخلّى الاستكبار عن أرض يعتبرها من ضمن حدوده العالمية الحيوية، وهل يعتقد أحد أن الاستكبار يترك الثوّار يبنون دولتهم التي تمثّل المستضعفين في إيران والعالم بأسره؟ والإجابة طبعا بالسلب، فمنذ انتصرت الثورة الإسلامية قامت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها الصهيونية العالمية بحصار الثورة اقتصاديا وسياسيا ومعنويا، ثمَّ وكّلت عنها صدام حسين، لكي يشنَّ حربا بالوكالة عنها ضد المشروع الثوري الإسلامي، وقام النفط العربي والسلاح الغربي بتمويل الحرب التي طالت لتصل لثماني سنوات عجاف، كل ذلك من أجل أن لا تقف الثورة على أقدامها لكي لا تتحول لنموذج ينتشر في العالم، بعد أن رأت أن المستضعفين في الأرض نظروا للثورة نظرتهم للقيادة التي تأخذ بيدهم للانتصار على ظلم الإنسان لأخيه، ولكن رغم الحرب ورغم الحصار تمكنت الثورة من تخطي الحرب المفرضة، وخرجت لتبني نفسها وتسلح قوتها بالعلم والاكتفاء الذاتي اقتصاديا، وتساعد حركات المقاومة في العالم

الإسلامي، فساندت المقاومة الإسلامية في لبنان والمقاومة الإسلامية في فلسطين، وقد انتصرت المقاومة في لبنان وأخرجت العدو الصهيوني من الجنوب اللبناني دون الدخول في أي مفاوضات معه وهي سابقة لم تحدث من قبل في الصراع مع الصهيونية، كما تمكنت المقاومة في فلسطين من إخراج العدو من قطاع غزة دون مفاوضات أيضا، ولم يقتصر الدور الثوري الإيراني على ذلك، فقد ساعدت المسلمين في البوسنة والهرسك وفي داغستان والشيشان وفي مناطق أخرى من العالم، لم ينظر قادة الثورة لمذاهب المسلمين الذين تساعدهم، لأنهم مسلمون في النهاية ويواجهون نفس المصير الذي ينتظرهم على أيدي الصهيونية العالمية والاستكبار العالمي، ثم تطورت إيران، دول الثورة للتسلح ذاتيا بالتكنولوجيا النووية السلمية بالصناعة الذاتية، فلم تحتاج لأي معونة تقنية أو مالية أو صناعية أو قطع غيار من الغرب، فتمكنت من تصنيع الصواريخ والقمر الصناعي وغيره من الصناعات الحساسة، ولذا فقد اعتبرت أمريكا أن المشروع الثوري الإيراني مازال قائما وممتدا، فعمدت على تطويق الثورة باحتلال العراق وأفغانستان والتواجد في الجمهوريات الإسلامية التي كانت ضمن الاتحاد السوفييتي السابق، ليس ذلك فقط بل سخرت إعلامها وإعلام بعض شيوخ المسلمين للتخويف من الخطر الشيعي، بعض هؤلاء الشيوخ اتهموا الشيعة بحسن نية أو بسوء قصد، لكنهم في النهاية يخدمون المشروع الاستعماري، وذلك من أجل تفريق الأمة فلا تجتمع على الوحدة، وإظهار الخطر الشيعي كأنه أخطر من الصهيونية العالمية، أو جعل الصراع بين السنة والشيعة بديلا للصراع الإسلامي الصهيوني، ومع ذلك أيضا لم تكف إيران عن مساعدة المسلمين وحركات

المقاومة والتحرر، بل أيضا أسست المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية من أجل تفويت الفرصة على الأعداء، لكل ذلك تُعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية الثورية هي التي تقف في وجه الشروع الاستعماري الأمريكي الصهيوني، فهي قائدة المظلومين والمحرومين والمستضعفين ضد كيان دولي استعماري ، لذلك رأينا أن نكتب هذا الكتاب للتعريف بالثورة، الثورة بإرهاصاتها ونجاحها ورؤية دولة الثورة وبرنامجها النووي السلمي، وما تقوم به الدولة الإسلامية لمساعدة المسلمين دون النظر لمذاهبهم، ومشروعها الثوري وإستراتيجيتها المناهضة للاستعمار القديم المتجدد الذي يحتل الأرض والإرادة، العقل والروح، والذي يحاول استخدام الدين من أجل التفريق من أبناء الأمة الواحدة، وفي هذا الكتاب حاولنا جاهدين أن نكون موضوعيين في كتابتنا عن الثورة والدولة، وأن نكون بعيدين عن روح الفتن التي يؤججها الساسة ويستغلون بعض رجال الدين من أجل خدمة مصالحهم الدنيوية الضيقة.

ندعو الله تعالى أن نكون موفقين في ذلك.

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد.

وهو وحده الذي يهدي السبيل.

علي أبوالخير

القاهرة. مصر. شتاء العام ٢٠٠٩/٢٠١٠

الفصل الأول

أثر الفكر الثوري الحسيني في الثورة الإسلامية

لا يمكن الحديث عن الثورة الإسلامية في إيران دون أن نقرأ ونتأمل الفكر الثوري الحسيني، لأن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، هي أم الثورات التي قامت على الكلمة، وبذلت الروح من أجل المبدأ، وهي الثورة التي كانت ملهمة لما جاء بعدها من الثورات في التاريخ الإسلامي، وهي التي ألهمت الثورة الإسلامية في إيران بمفرداتها، فانتصرت على أعظم وأقوى الأنظمة والاستعمار بأسره، لقد ارتبط اسم الحسين عليه السلام بالثورة، وارتبطت الثورة به، عند محبيه وخصومة على السواء، كان الحسين ثائرا ليس له نظير في التاريخ البشرى، وجعلت ثورته نبراسا هاديا لكل الثائرين، لأن كل البشر يتوقون لرجال تحاط سيرتهم بهالة من الضياء القدسي، يستمدون منهم القدوة، كما يحتذي سيرته الحائرون والذين يتلمسون طريقهم نحو النجاة، من وحل الدنيا، وطغيان الإنسان على أخيه، إن ثورة الحسين نموذج لكيفية إدارة الصراع مع الشر، دون اللجوء إليه لحسم هذا الصراع، ودون اللجوء إلى خيانة الوسيلة مقابل إحراز النصر[1]

إن ثورة الحسين وإن أخفقت على الصعيد العسكري في معركة غير متكافئة، فإنها حققت انتصارا على مدى الأزمنة، وكانت النموذج الذي

---

(١) علي أبوالخير. في رحاب كربلاء. مركز يافا. القاهرة ١٩٩٧ - صـ ٧

تستلهمه الحركات الثائرة ضد الطغيان، وتختزنه الشعوب في وجدانها عنوانا للحرية والكرامة واستعادة حقوقها المغتصبة[١]

لقد «قدم الحسين وآله وأصحابه في ثورتهم على الحكم الأموي الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفائها ونقائها، ولم يقدموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بألسنتهم، وإنما كتبوه بدمائهم»[٢]

وقد أخبر النبي الكريم بما سيقع لأمته فقال: «ألا إن رحا الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا وإن كتاب الله والسلطان سيختلفان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا أنه سيكون عليكم أمراء يرضون لأنفسهم ما لا يرضون لكم، إن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم»، فقالوا: وما نفعل يا رسول الله؟ فقال ﷺ: كما فعل أصحاب موسى، حُملوا على الخشب، وُنشروا بالمناشير، فو الذي نفس محمد بيده لموت في طاعة خير من حياة في معصية[٣] «وسمع الحسين كل ذلك واستشرف مستقبل الأمة، وأذنه تردد مقولة الإمام على: «الحياة في موتكم قاهرين، والموت في حياتكم مقهورين»[٤]، ولذلك لم يتردد الإمام الحسين فى القول بأن الدعي ابن الدعي خيرنا بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، ومثلى لا يبايع مثله.

إن الحركات الثورية المعاصرة والتي اتخذت الثورة الحسينية منهجا لها كتب لها النجاح، سواء كان الثورات ضد الظلم الداخلي (الثورة الإيرانية

---

(١) من مجلة بقية الله ـ نقلا عن موقع *www.tebyan.net/index.aspx*

(٢) المصدر السابق

(٣) رواه أبونعيم

(٤) نهج البلاغة ـ خطبة الإمام علي لجنوده عندما احتل جنود معاوية شريعة الفرات

نموذجا) أو ضد طغيان استعماري خارجي (حزب الله لبنان)، والثورة الفلسطينية حتما سيكتب لها النجاح لأن شباب الانتفاضة وعوا جيدا كل مفردات الثورة الحسينية، و«إلا أن لكل دم ثائرا»[١] وهى كلمة قالها الإمام علي وطبّقها الإمام الحسين، وأنار بها الطريق إلى سالكي دربه، ومتخذي سيرته نبراسا يهدى الحائرين، وسيرة الحسين الخالدة يتردد صداها في كل مكان، وفى كل زمان ولا تقتصر على يوم عاشوراء، لأنه لا يُقيد بعاشوراء[٢].

إن أرقام القتلى التي تتردد كل يوم في دار المسلمين، من جرّاء الهجمة الأمريكية الصهيونية، لا بد أن تجد رجالا ينسون أنفسهم ويقودون أمتهم إلى نبل المعاني وسمو المقاصد، حتى لو كان الثمن دماء هؤلاء القادة الذين يترسمون سيرة سيد الشهداء، وكم ترسّم قادة سيرته فأقاموا دولاً، كلها تنسب نفسها للحسين أو لعلى أو للزهراء، لأنهم دوما خلاصة الخلاصة من الأمة التي جعلها الله خير أمَّة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وليس لمثلهم ولمثل من ينهجون نهجهم إلا النصر بعد انتصار أكده الله كثيرا في قرآنه الكريم، وأحاديث نبوية كثيرة تحثّ المؤمنين على الصبر والعمل بإخلاص المجاهدين إلى العمل الدءوب من أجل أعلاء الحرية حيث يكون الإنسان..

أثر الثورة الحسينية في الثورة الإيرانية

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام العنوان والشعار والمنطلق للثورة

---

(١) المصدر السابق

(٢) في رحاب كربلاء. مصدر سابق

الإسلامية في إيران، ذلك أنَّ الشعب الإيراني المسلم امتزج مع هذه الثورة في كلِّ وجوده وشؤون حياته. والسؤال المهم الذي يبحث عن إجابة هو: كيف وظّف الإمام الخميني ﷺ معطيات ثورة الإمام الحسين في الثورة الإسلامية في إيران؟

إذا أردنا الإجابة عن هذا السؤال بشكل مختصر لابدَّ من الإشارة إلى الأهداف الرئيسية التي استهدفها الإمام الحسين في ثورته، ومن ثمَّ نرى كيف وُظّفَت هذه الأهداف ومعطياتُها في الثورة الإسلامية في إيران والتي قادها الإمام الخميني ﷺ[١].

أهداف ثورة الحسين

لم تكن الثورة الحسينية بدون أهداف تسعى إليها، ويخطئ من يظن أن الحكم أو الملك كان هو الهدف الأساسي الذي قامت الثورة الحسينية من أجله، ولكنها أهداف مثالية يمكن تلخيصها فيما يلي[٢]:

الهدف الأول: توعية الأمة، وهَزُّ ضميرها ووجدانها، وإثارةُ مشاعر العزّة والكرامة في نفوس الناس الذين كانوا يعاصرونه، بعد أن بدأ هذا الضمير يخبُو، وكادَ يموتَ بسبب التوسُّع الإسلاميّ الذي حصَل بعد الفتح الإسلامي، ودخول الثروات العظيمة على المسلمين مِن خلاله، ووجود الحكم الظالم الذي كان يُخطط لحجب الحقائق عن الناس من ناحية،

---

(١) بقية الله ـ الثورة الحسينية وأثرها في الثورة الإسلامية الإيرانية، ومن المعروف أن الثورة الحسينية ألهمت كل الثورات بعدها، وخاصة الثورة الإسلامية الكبرى في إيران

(٢) المصدر السابق

وتوجيههم نحو الشهوات والملذات والتمسك بالدنيا من ناحية أخرى، وهو الحكم الطويل لمعاوية بن أبي سفيان الذي حوّل الناس إلى عبيد يُباعون ويُشتَرون بالأموال، بحيثُ إنَّ البيانَ السياسيَّ الذي خطب به يزيد عند استلامه للحكم بعد معاوية من شرفة قصره كان يتضمن أنّ هذا الأمير الجديد سوف لا يغزو بكم البحر ويتعبكم في ذلك، وسوف يزيد في عطائكم، أي أنَّه انطلق من حبّ الدنيا وحبّ المال، فالناس كانوا يباعون ويشترون بالأموال، وكان هذا مؤشرا خطيرا على تراجع صحوة الضمير عند الناس ـ آنذاك ـ ولذا نرى أن الإمام الحسين وجد أنَّ مِنَ أهداف حركته إيقاظ وهزّ ضمير الأمة الذي واجه خطر الموت والانحراف، وعدم الشعور بقضية الظلم والعدل.

فكانت الشهادة العظيمة له، وما تركته من آثار على الأمة التي تتحرك باتجاه أهدافه، وبدأت الثورات والانتفاضات واحدةً بعد الأخرى حتى سقط الحكم الأموي.

الهدف الثاني: بيان الحكم الشرعي تجاه ظاهرة يزيد بن معاوية، الظاهرة التي كانت تعني أن يأتي حاكمٌ ويتحدّث بشكل علني عن الفسق والفجور والانحراف، ويتباهى بذلك أمامَ المسلمين، ويحوِّلَ الحكم إلى حكمٍ قيصريٍ وكسرويٍ، وكأنَّه هو كلُّ شيءٍ في حياةِ الناس.

هذه الظاهرة التي واجهها الإمام الحسين كانت تحتاج إلى بيانٍ للحكم الشرعيّ لدى المسلمين.

وإذا رجعنا إلى المسيرة التاريخية بعد رسول الله ﷺ لا نجد الظروف واتت أحداً من الأئمة، بل وحتى أحدا من المصلحين من أصحاب رسول

الله ﷺ ـ كأبي ذر الغفاري، أو عبد الله بن مسعود، أو عمار بن ياسر ـ مثلاً ـ أو غيرهم من أصحاب الرسول ﷺ، في بيان الحكم الشرعي تجاه الحاكم المنحرف الذي يتظاهر بالانحراف بهذه الدرجة التي كانت في زمن الإمام الحسين[1].

بل أمير المؤمنين ـ على عظمته ـ لم تواتيه الظروف بعد رسول الله ﷺ لأن يتخذَ موقفاً تجاه الحكم الذي جاء بعد الرسول ﷺ، بالرغم من وجود بعض الانحرافات في ذلك الحكم، وحتى في زمن عثمان لم يتخذ أمير المؤمنين عليه السلام حكماً بالمواجهة مع عثمان، بل إن المسلمين بضميرهم ووجدانهم الحي تحرَّكوا، أما الحكم الشرعي في هذا الموضوع فلم يُبيّن من قبل الإمام علي عليه السلام، بل كان موقفه هو تهدئة الأوضاع، ومحاولة إصلاح الأمور ـ كان هكذا يبين حكمه ـ وعندما قام عمار وانتقد الحكم في زمن عثمان، وتعرّض للعذاب وللآلام ـ وكذلك أبو ذر عندما انتقد الحكم أيضا ـ لم يبيّن أيٌّ منهما (رضوان الله عليهما) حكماً شرعياً للمسلمين بوجوب النهوض والقيام بوجه الحاكم الجائر آنذاك، بل كانا ينتقدان الحاكم بشكل علني ويبينان الانحرافات، ويقفان عند هذا الحدّ دون دعوة الناس إلى القيام والنهوض، أو التغيير، هذا فضلاً عن بقية الأصحاب الذين كانوا يعاصرون الإمامين أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام.

والإمام أمير المؤمنين عندما قاتل معاوية وطلحة والزبير والخوارج، قاتلهم من موقع الحكم لا من موقع الرعية والمحكوم، لأنَّ الحكمَ كان بيده،

---

(١) المصدر السابق

وأولئك خرجوا عليه، فطلحة والزبير وعائشة ومعاوية والخوارج جميعهم خرجوا على عليٍ، وقاتلهم من موقع الحاكم، وكذلك الإمام الحسن قاتل من هذا الموقع، ثم دخل في الصلح مع معاوية من نفس الموقع، لا من موقع المحكوم والرعية[١].

فأصبحت قضية الحكم الشرعي تجاه هذه الظاهرة ـ وجوب القيام والنهوض والدخول في مواجهة مع الحاكم ـ قضيةً فيها الكثير من الغموض والتشويش، ولولا موقف الإمام الحسين لكان من الممكن أن يستمرَّ هذا التشويش والغموض بشأن الحكم الشرعي الإلهي تجاه هذه الظاهرة إلى يومنا الحاضر، ومع كلّ هذا لازال الكثير من المسلمين على اختلاف مذاهبهم ـ بتأثير الحكم المنحرف والعمل المضاد لهذا الحكم الشرعي من قبل الحكّام الظالمين ـ يقولون بشكل صريح وواضح بوجوب التسليم للحاكم، حتى لو انحرف وتجبّر وظَلم وجار وارتكب المظالم.

فحركة الإمام الحسين ونهضته كانت حركة حقٍّ ونهضةٍ، حقٌّ لأنَّ الظاهرة اليزيدية كانت ظاهرةً بالغة الانحراف، بدرجةٍ تحتاج إلى هذا الموقف.

الهدف الثالث: تحويل الحكم الشرعي المتقدم إلى موقفٍ عملي، وهذه القضية من القضايا المهمة جدا في حركة أيّةِ أمّةٍ من الأمم.

فقد تكون الأحكام الشرعية لدى أمةٍ أو جماعةٍ منَ الناس واضحةً، لكنَّ الكلامَ يدور في من هو الذي ينفّذ الحكمَ الشرعي عندما يكونُ مسؤوليةً ؟،

---

(١) المصدر السابق

ويكونُ تنفيذه والالتزام به وإجراؤه فيه تضحياتٌ ودماءٌ، وفيه من الآلام ما لا يكون على الإنسان وحده، بل يشمل الأمّة كلّها.

وهذه القضيةُ من القضايا المهمّةِ جدّاً في حركة الأمّة، والإمام الحسين تمكّن أن يقف هذا الموقف، ولعلّنا إذا درسنا التاريخ نجد أنَّ مجموعة من الصحابة والتابعين من الدرجة الأولى كان هذا الحكم الشرعي واضحاً لديهم، ولذا امتنعوا عن بيعة يزيد، لأنّهم يرون بأنَّ بيعة يزيد غير صحيحة وغيرُ جائزة، لكن لم يكن أيُّ واحد منهم على استعدادٍ لأن يتقدَّمَ الناسَ، ويتخذُ موقفَ القيام والنهوض، بل إنَّ بعضهم ـ وكان مخلصا ومحبًّا وقريبا للإمام الحسين كعبد الله ابن عباس، وعبد الله ابن جعفر، ومحمد ابن الحنفية، وأمثال هؤلاء ـ عندما أراد الإمام الحسين أن يخرج وينهض جاء يتحدثُ معه ويحثّه على عدم الخروج والنهوض.

ومعنى ذلك أن قضية الخروج والنهوض كموقفٍ تحتاج إلى قدرةٍ نفسيةٍ وروحيةٍ عاليةٍ من أجل تسجيل هذا الموقف عملياً لأنَّ الناسَ ـ عادةً ـ لا يقتنعونَ بمجرّد بيان القضايا المهمةِ الصعبةِ الثقيلةِ، وبمجرّد إيضاح المفاهيم وإطلاق الشعارات والأحكام، بل يحتاجون إلى تقدُّمٍ بالعمل، إذن لابدَّ للإنسان القائد حتى يتقدّم في العمل أن يقتحم مواقع الشرّ حتى يبدأ الناس بالتحرّك والاقتحام، ولذلك وجدنا بعد اتخاذ الإمام الحسين لهذا الموقف مواكب التضحية يتقدم بعضها الآخر، ويكون الناس على استعداد دائم للتضحية والعناء، وبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق هذا الهدف[1].

---

(١) المصدر السابق

ما بين الثورتين

إذا نظرنا إلى هذه الأهداف وقارنّاها بما حصل في الثورة الإسلامية في إيران نجد أنَّ هذه الثورة استفادت كثيراً من ثورة الإمام الحسين ومعطياتها:

وأوَّلُ ما استفادته هذه الثورة منها هو تثقيف الناس على الثورة الحسينيّة ومفاهيم الثورة الحسينية.

ولذلك نجد أنّ الإمام الخميني ﷺ كانت انطلاقته للعمل من مراسيم وشعائر الإمام الحسين عليه السلام فأوّل خطبة خطبها وأدَّت إلى ما يسمى بانتفاضة الخامس عشر من خرداد (يونيو/ ١٩٦٣)[1]، كانت في ليلة ١١ محرم، والحديث من مُنطلق الإمام الحسين، وكان تأجُج هذه الثورة بشكل عظيم جدا ـ أيضا ـ في هذه المناسبات في أيام الثامن والتاسع والعاشر من محرم الحرام العام ١٩٧٨، حيث خرجت المظاهرات المليونية التي هزّت أركان الكيان السياسي للشاه وأدّت إلى هروبه من إيران، حيث إنَّ هذه المظاهرات المليونية كانت تقام في مثل هذه المناسبات، ثم تطوّرت بعد ذلك في مناسبات أربعين الإمام الحسين، وبعدها في مناسبة وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ووفاة الإمام الحسن، وبعد ذلك جاء ربيع الأول وسقط الكيان الشاهنشاهي، وحينما نلاحظ تاريخ الثورة في إيران المدوّن بالأشهر الشمسية نجد أنَّ هذه المراسيم كانت هي المنطلق لهذه الحركة العظيمة التي انتهت إلى النصر العظيم.

واستفاد كذلك الإمام الخميني ﷺ من معطيات روح الثورة الحسينية المتمثّل بقضية التضحية وطرح شعار (انتصار الدم على السيف) أخذاً من

---

(١) المصدر السابق

مضمون الثورة الحسينية ؛ لأنّ مضمونها كان مضمون التضحية، وبذل الدماء الزكية في مقام الانتصار على القوة المادية الكبيرة التي يملكها الحكم اليزيدي، نجد أنَّ الشيء الذي طرحه الإمام الخميني ﷺ ـ في مقابل كل الإمكانات والقدرات الهائلة التي كان يملكها النظام الشاهنشاهي والدعم الهائل الذي كان يحصل عليه ـ كان البذل والعطاء والتضحية، والناس كانوا يتقدمون للبذل والعطاء والتضحية في مختلف الميادين حتى تمكَّنوا من إسقاط الحكم الشاهنشاهي[١].

أما على المستوى الفكري فإننا نجد أنَّ فكرة فصل الدين عن السياسة قد أصبحت فكرةً عميقةَ الجذور، حتى في الأوساط المتدينة فضلاً عن غيرها من الأوساط، وأصبح الكثير من المتدينين يتحفّظون من الدخول في القضايا السياسية ؛ لأنّهم يفصلون الدينَ عن السياسة، ومن هنا كان الناس بحاجة إلى مرجعٍ ديني، وعالم رباني مُعتَرَف به اعترافاً كاملاً ـ طبعا ليس على مستوى الحاجة الكبيرة التي كانت في صدر الإسلام والمتمثلة بالإمام الحسين عليه السلام، حيث كانت هناك حاجة إلى إنسان مثل الإمام الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا يمكن أن يشكّ أحدٌ في خصوصياته، وفي شخصيته، وفي ارتباطه بالإسلام والدين ـ أن يدخل في بيان ذلك الحكم الشرعي[٢].

فالناس في إيران والعالم ـ آنذاك ـ بحاجةٍ إلى مرجعٍ عامٍ للمسلمين معترف به، قد تخرج من صلب الحوزات العلمية، ومن هذه المدرسة

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الأصيلة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأئمة الأطهار وغير المتأثّر بأيّ تأثير خارجي.

كان الناس بحاجة إلى هذا النوع من الأصالة والنظافة والطهارة الموجودة في الحوزات العلمية، وإلى إنسانٍ من هذا القبيل، يدخل ميدان السياسة ويجسّدَ لهم عمليا أنَّ الدين هو السياسة والسياسةَ هي الدين، وأنَّ السياسة الدينية سياسة التضحية والتقوى ورعاية مصالح ومنافع الناس، ورعاية عزّة وكرامة الرعية والدين، وهي تختلف تماماً عن السياسة اللادينية، سياسةِ الحيل والخداع والمناورات، وهذه السياسة النظيفة هي استفادةٌ حقيقة من معطيات الثورة الحسينية من قبله.

وأما قضية الشعارات التي أطلقها الإمام الخميني ﷺ فقد كان لها دور عظيم جداً في إيقاظ وجدان الأمة وضميرها في إيران، ولازال المسلمون إلى الآن في مختلف أنحاء العالم الإسلامي متأثرين بهذا الشعارات، حيث بدأ وجدانهم يستيقظ ويعي الحقيقة من خلال هذه الشعارات والتضحيات[1].

الروح الحسينية الثورية في حركة الإمام الخميني ﷺ

إنَّ النهضة التي حققها الإمام الخميني ﷺ في الأمة، تعتبر من أهمّ وأعظم الحركات الثورية التي شهدها القرن الماضي، ذلك أنَّها أحدثت تغييراً هائلاً في حركة الأمة، طالت مختلف الجوانب، وباعتبار أن الإمام الخميني ﷺ القائد والملهم لهذه الحركة، وهو ينتمي إلى الرؤية الدينية وتطلعاتها، ويعتمد

---

(١) المصدر السابق

على فكرها وثقافتها وأصالتها، كان من الطبيعي جداً ـ بل من الضروري ـ أن يستلهم الموقف والرؤية من موقعه العلمي والفقهي والفكري، ولأنّه يعتقد بنهج أهل البيت عليهم السلام، ويفتخر بانتمائه الأصيل إلى هذه المدرسة، فإن الناتج الطبيعي لهذا الانتماء هو الاستفادة من المخزون الفكري والثوري للنهج الحسيني والكربلائي، على قاعدة أن مستوى الانحراف والضعف الذي وصلت إليه الأمة لا يعالج إلا بهذه الروح الحسينية، وهي وحدها القادرة على إعادة الحياة في شرايين الأمة، وإعادة الاعتبار لقيم الجهاد والشهادة والانتصار في مواجهة أعتى مشاريع الظلم والاستكبار والهيمنة.

إنَّ المقولة المشهورة عن الإمام الخميني قدس سره «إنَّ كلَّ ما عندنا من عاشوراء»[1] على اختصارها تلخص حجم حضور النهج الكربلائي في حركة النهضة، وترشد إلى معدن القوّة في هذا النهج على إحداث تغيير على مستوى كُلّ الأمّة، لنصل إلى المعادلة التالية: لولا الروح الحسينية، لما كانت الثورة الإسلامية، ولما كان انتصارها، ولما كان ثباتها، ولما كانت كل هذه الإنجازات العظيمة التي نشهدها اليوم في أمّتنا[2].

إنَّ هذا المفهوم له فائدة عكسية، تدلل على انتصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، من خلال القدرة على إيجاد هذا النهج الذي يصلح الأمة كل الأمة وعلى امتداد العصور.

لكن الذي يهمنا التركيز عليه في هذا الموضوع، هو حضور هذا النهج

---

(١) من أقوال الإمام الخميني قدس سره

(٢) بقية الله

وتأثيره ضمن العناوين الآتية[١]:

١ ـ انتصار الدم على السيف:

إن الذي يعرف الواقع السياسي والأمني لنظام الشاه، الذي كان يرزح تحته الشعب الإيراني المجاهد، والأهمية الاستثنائية التي أولاها الاستكبار العالمي لهذا النظام، والدعم الكبير الذي قدَّمه له عسكرياً وسياسياً وإعلامياً، بحيث أصبح الظلم يعمُّ كُلَّ الأرجاء، والسجون ممتلئة بالعلماء والثوار والمجاهدين، مع ما رافق ذلك من استهداف مركَّز لهوية الشعب الإيراني الدينية والثقافية والوطنية ـ إن الذي يعرف كُلَّ هذه الأمور ـ يكتشف أن لا مجال لمواجهة هذا النظام إلا بالتضحية والصبر على البلاء، وتقديم قوافل الشهداء في حركة دائمة ومستمرّة لا تعرف التعب أو اليأس.

ولعل هذا السبب هو الذي جعل حركة الإمام الخميني ﷺ تحتاج إلى عقود مليئة بالمواجهات والمظاهرات والسجن والنفي والحملات الدعائية الكاذبة، لكن الشعب الإيراني وقف خلف قيادته الشجاعة بقوّة وثبات، وتحمل عبء هذه المواجهة بكلّ اقتدار، غير آبه لحجم ومستوى التضحيات، مستلهماً الموقف من مثله الأعلى، وقدوته الخالدة في كربلاء، ومعتقداً دون أدنى تردد أن النصر سيكون حليفه في نهاية الأمر، وأن اشتداد المواجهة يخبّأُ خلفه الفرج الكبير، والنصر الأكيد.

إن هذه القناعة هي التي تتولّد من ثقافة حسينية أصيلة، تجسد أروع

---

(١) المصدر السابق

معاني الذوبان في المبدأ والتسليم للوعد الإلهي، على قاعدة أنَّ التغيير لا يحصل دون روحية العطاء والبذل (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)[١].

إن قناعة راسخة، وإيماناً كبيراً، وعزماً أكيداً ـ كل هذه الأمور ـ استندت إلى مقولة أثبتها التاريخ وجسدها الشعب الإيراني، وهي مقولة «انتصار الدم على السيف».

٢ ـ الشهادة وعشق سيد الشهداء عليه السلام:

للشهادة مكانة خاصة في الثقافة الدينية، وهي مبعث قوّة وفخر في الأمة الإسلامية عموماً، لكنّها في حركة الإمام الخميني قدس سره وفكره ونهجه تحظى بأهمية خاصَّة، إن الطاقة الروحية التي يستولدها العاشق للحسين بن علي عليه السلام، لا يمكن أن تقاس بأية طاقة أخرى، وهي لا يمكن إلا أن تكون في خدمة الدين والأمَّة، هذه الطاقة لا تشحن النفوس وتعبّئها فحسب، بل تؤججها وتدفعها للبذل والصبر والتحمّل لتحقيق المراد، وهو لقاء المحبوب والمعشوق.

ولذا، لا يجوز أن يستهين أحد، أو أن يخفف من أهمية العشق للحسين في صياغة شخصية قادرة على تغيير الواقع السيئ، مهما اشتد عوده واستفحل أمره[٢].

إن قدرة منهج الإمام الخميني قدس سره على تفجير طاقة العشق الحسيني في

---

(١) سورة

(٢) بقية الله

موقف جهادي يتنافس فيه المحبّون للحسين، هي من المميزات الهائلة التي سخرت في خدمة الحقّ والأمّة، فبدل أن يكون الحبُّ مجرّد بكاء ولطم وذكر المصاب ـ على أهمية ذلك ـ فإنه يتحوّل إلى مشروع استنهاض للأمّة يحققه المجاهدون على أمل الشهادة، ولقاء الحسين بن علي عليه السلام. لذا، نجد شعارات ومصطلحات هامّة تغذت من رحيقها الثورة، وأصبحت عرفاً شائعاً ومحبباً في أدبيات المجتمع الإيراني، من قبيل (قوافل السائرين إلى كربلاء، قوافل العشق الحسيني...)، وهذه الشعارات متداولة بفخر واعتزاز، امتلأت بها المدن والقرى.

كما أن هذه الثقافة أرخت ظلال الاطمئنان والاستعداد للبذل والتضحية عند العوائل المحترمة للشهداء، الذين اعتبرهم الإمام الخميني قدس سره مصابيح الأمة، لأن هذه العوائل الكريمة تعتبر في شهادة أحد أفرادها حظوة، والتفاتة خاصّة من محبوبهم وإمامهم الإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ الوفاء للقائد

حين رفع الشعب الإيراني شعار (نحن لسنا أهل الكوفة لنترك الحسين وحيداً)[1] اعتبر البعض أن في هذا الشعار تعريضاً بأهل الكوفة، وتنكراً لتضحياتهم التي لا يمكن لأحد أن ينكرها، أو أن هذا الشعار محاكمة تاريخية لا تصحّ بحقّ مجتمع عاش ظروفاً صعبة وقاسية، وغير ذلك من الانتقادات، لكنّ الحقّ يقال: إنّ هذا الشعار كان ناظراً إلى القسم الملآن من الكوب ـ كما

---

(١) شعار رفعه الإيرانيون وأخذناه مما كتب عن الثورة قبل انتصارها من وسائل الإعلام المختلفة آنذاك

يقال ـ وهو الاستفادة ممّا حصل في التاريخ، لترسيخ مفهوم الوفاء والالتزام بعهد البيعة والولاية والقيادة، مهما كانت الظروف والتضحيات، وفي هذا المعنى، انتقال إيجابي من مرحلة ذكر الوقائع وتحليلها للتبرير أو الإدانة، إلى مرحلة استلهام الموقف الصادق مع القائد إلى نهاية الخطّ.

وهذا بحد ذاته انتصار على كل حملات الدعاية والتشكيك والتضليل، التي تلقى بوجه الشعوب التواقة إلى الحرية، في الوقت الذي لا يمكن لأحد أن ينكر الألم والوجع في أحداث تاريخية مشابهة مليئة بالمرارات والغصات، أفقدت الأمة في لحظة الضياع وفقدان التوازن فرصة الاستفادة من أئمتنا الأطهار عليهم السلام، فحركة الإمام الخميني قدس سره تعرَّضت لأشرس وأبشع وأكبر حملات التضليل من قبل الأعداء، وبعض الجهلة والمغفلين، وكانت الحملات تطال في قسم كبير منها شخص الإمام الخميني قدس سره، والتشكيك بأهدافه تارة، وبخلفياته تارة أخرى، وتحميله أحياناً مسؤولية عشرات الألوف من الشهداء، بدل أن يتمّ تحميل المسؤولية للاستكبار وأدواته.

إن مفهوم الوفاء والالتزام بتوجهات القائد هو من القيم العظيمة التي تُعبّر عن مستوى عال من الإيمان والصدق عند الشعب الإيراني، وعن درجة عالية من الوعي والاستفادة من التاريخ لصنع مستقبل عزيز، كما أن الاستخلاص الواعي والصادق من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، شكَّل المعبر للوعي وللتطبيق معاً.

٤ـ المنبر الحسيني وثقافة عاشوراء

مما ذكره الإمام الخميني قدس سره في وصيته للشعب الإيراني: «أن لا يغفلوا عن

مراسم عزاء الأئمة الأطهار»[١].

إن الثقافة العاشورائية ـ ومن خلال المنبر الحسيني ـ تُبقي حبل التواصل متيناً وأصيلاً مع كل الأجيال، فتصيب من خيرها الطفل والشاب والرجل والمرأة وكل المجتمع، لتكون روح الثورة عامة ودائمة ومنهجاً مستمرَّباً وليس استثناء، وهناك فرق كبير بين ثقافة تدعو إلى الثورة ورفض الظلم حيناً، وبين ثقافة قائمة على رفض الظلم ومواجهته دوماً؛ فالأولى تنفع وتفيد الأمة، لكن الثانية تبني الأمم وتحصنها من الجور والطغيان، وهذا هو بالضبط ما تحققه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي هدف مقدَّس في ثورة كربلاء. وليس من قبيل المبالغة أو الشطط إذا قلنا إن هذه الثقافة العاشورائية كانت مصدر الإلهام ومبعث القوة والاستقامة في حركة الإمام الخميني ﷺ، عندما تلقفها الشعب الإيراني المجاهد واعتبرها أصلاً راسخاً في التربية وبناء المجتمع، فإن ما فيها من غنى وأصالة وشمول يكفي لإحياء البشرية وإنقاذها من الضلالة، ووضعها على طريق الهداية والإيمان والعدل. أو ليس الإمام الحسين هو فجَّر الثورات الكبرى، وهو الذي تعلَّم كثير من القادة من نهضته فقال أحدهم: «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوما وانتصر»[٢]

---

(١) من أقوال الإمام الخميني ﷺ

(٢) الكلمة قالها المهاتما غاندي أثناء صراعه مع الاستعمار البريطاني للهند، وثورة الإمام الحسين هي التي أوحت له بالثورة السلمية على الاستعمار والتي تكللت بالنجاح وطردت المستعمر البريطاني من شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧

الفصل الثاني

إرهاصات الثورة

دور رجال الدين في إيران المعاصرة

قبل الحديث عن الثورة الإسلامية الكبرى في إيران بقيادة الإمام الخميني ﵀، لابد لنا من القول إن إرهاصات الثورة بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر، ذلك أنَّ رجال الدين في إيران قادوا حركة التغيير، وواجهوا الاستبداد السياسي، والتدخل الخارجي في وقت واحد، وهو ما يُحسب للفكر الثوري الحسيني بصفة عامّة، كما رأينا في الفصل السابق، فإرهاصات الثورة موجودة داخل الفكر الشيعي في الأصل، وهو مستلهم من فكر أهل البيت ﵈ الذي يرفض الظلم والأثرة، وكانت بدايات الثورة مبشرة بالخير، وكانت تنتظر القائد الذي يلتف حوله الناس، ليكون البطل الذي يقودهم نحو الثورة والتصدّي للاستكبار الداخلي والخارجي، وهو ما حدث مع قيادة الإمام الخميني ﵀، فلكي نكتب عن الثورة، لابد لنا من الرجوع إلي التاريخ الإيراني المعاصر من النصف الثاني في القرن التاسع عشر، والذي شهد بدايات الثورة، وهي بدايات الانتظار الايجابي للإمام القائم ﵇.

والبداية كانت حركات سياسية ارتبطت بالدين، وذلك عندما تمَّ تشكيل

أوَّل وزارة على الطريقة الحديثة[١]، ففي عام ١٨٥٨، تشكَّلت من ست وزارات، وفي ظلِّ تلك الحكومة قام السياسي والدبلوماسي الإيراني ملكم خان بتأليف كتابه (دفتر تنظيمات)، حيث أقترح فيه تأسيس حكومة قانونية، وأهمّية الفصل بين السلطات[٢]، وبعدها بدأت الأفكار الإصلاحية تنتشر في الأرض الإيرانية، حيث عاد المبعوثون الإيرانيون من أوروبا وروسيا حاملين الأفكار الإصلاحية، وكان للدستور الروسي الذي وضع عام ١٩٠٥ تأثير كبير على إيران، فقد عاد الآلاف من الإيرانيين العاملين في روسيا حاملين معهم الأفكار الإصلاحية التي تهدف مواجهة النظام الدكتاتوري الإيراني، وذلك منذ كان الدستور الروسي قد أقرَّ الحريات السياسية، وحماية الفرد، وحرية الأفكار، وحرية التعبير، وتأسيس التجمّعات، كما أقرَّ الانتخابات البرلمانية على الطريقة الديمقراطية، وأنَّه يجري تشريع أي قانون دون موافقة مجلس الشعب (الدوما)[٣].

لم تكن الأفكار المستوردة من روسيا وأوروبا وحدها هي التي حركت الساحة الفكرية والسياسية في الأوساط الإيرانية، بل إن رجال الدين في إيران الذين حملوا الأفكار الإصلاحية كان لهم دون في مواجهة التخلّف السياسي والظلم الداخلي والاستعمار الخارجي واستمرار الحكومات المطلقة التي تعتمد على إرادة الشاة دون رقابة أو محاسبة، وقد أعطت أفكار رجال الدين

---

(١) جعفر عبد الرزاق ـ الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي ـ طهران ـ بدون سنة نشر ـ صـ ١٦

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

زخما للتيارات الإصلاحية، خاصة أفكار السيد جمال الدين الأفغاني الذي طالب بمشروع الجامعة الإسلامية[١]، وكان قد قدم مسودة دستور للشاة ناصر الدين القاجاري يجعل فيه إيران دولة دستورية يخضع فيها الشاة إلي الدستور وإلي مجلس الشورى الذي يملك صلاحيات إصدار القوانين، فرفض الشاة تقليص صلاحياته المطلقة، فقال له جمال الدين: ـ أيها الملك لتعلم إن تاجك وعرشك وأوامرك وأركان سلطانك ستكون أقوي بمعية الدستور... إن العالم والفنان أكثر فائدة للبلاد من مقامك وعظمتك، اسمع مني قبل فوات الأوان ولا تفرط في هذه الفرصة الثمينة، فإن تكن في إيران حكومة دستورية، لتهدم حكومة الاستبداد[٢] وطبعا رفض الشاة وطرد الأفغاني من إيران لينادي بأفكاره في مصر والأستانة، ومن العلماء الذين طالبوا بالدستور الشيخ هادي نجم أبادي والسيد محمد الطباطبائي وهما من العلماء المجتهدين، فقد كانا يريان أن إصلاح الأحوال لا يتم إلا عبر تأسيس مجلس تشريعي واتحاد الحكومة والشعب، كما كان الميزرا محمد حسن الشيرازي هو قائد ثورة التنباك المعرفة في إيران عام ١٨٩١[٣].

نخلص من ذلك أن رجال الدين في إيران كان لهم الباع الأطول في التصدي للاستبداد الشاهنشاهي، وكانوا حمله الأفكار الإصلاحية التي

---

(١) مرتضى مطهري ـ الحركات الإسلامية في القرن الأخير ـ دار الهادي بيروت ٠ ١٩٨٢ ـ صـ ٨٥

(٢)المصدر السابق، ويراجع أيضا كتاب الدكتور علي شريعتي العود إلى الذات ترجمة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ونشر دار الزهراء للنشر في القاهرة ـ ١٩٨٩

(٣) توفيق السيف ـ ضد الاستبداد : الفقه السياسي الشيعي في عصر الغيبة

قادت للثورة الدستورية عام ١٩٠٥، وقد سميت هذه الثورة في الأدبيات (مشروطيت) أو (المشروطة) وهو مصطلح مأخوذ من الشرط أو الشروط، أي أن الحاكم يحكم وفق شروط مدونة في الدستور وعليه التقيد والالتزام بهذه الشروط، قاد الثورة السيد محمد الطباطبائي والسيد عبد الله البهبهاني والشيخ فضل الدين النوري، وتمكن الثوار من إرغام الشاة على إجراء انتخابات في ١٢ أيلول/ سبتمبر ١٩٠٦ وافتتح البرلمان في ٧/ ١٠/ ١٩٠٦ بحضور الشاة مظفر الدين وتم إقرار الدستور في ٣٠/ ١٢/ ١٩٠٦ وصادق عليه الشاة في يناير/ كانون الثاني ١٩٠٧ومات الشاة مظفر الدين بعد ذلك بأيام معدودة[١].

ولكن المشكلة حدثت فيما بعد والتي سيكون لها أثرها البالغ على الثورة الكبرى وهو الصدام بين رجال الدين والعلمانيين الذين رأوا أنه لا يجب جعل الإسلام مرجعا للدولة، وشن العلمانيون حملات متتالية ضد الدين وعلماء الدين وتسفيه الأحكام الشرعية، فما كان من علماء الدين إلا أن صعدوا موقفهم تجاه حملات العلمانيين، فطالبوا بضرورة وضع ملحق للدستور ينص على أن الإسلام هو مرجعية الدستور[٢]، ولكن لم يحدث ذلك بسبب انحياز الشاة للعلمانيين، فقاد العلماء المعركة، وبعد صراع عنيف تمكن الشاة من الانقلاب على الدستور بعد تدبير محاولة اغتيال صورية له في شباط ١٩٠٨ ليتخذ منها ذريعة في الانتقام من رجال المشروطة[٣]، فنفي

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) مرتضى مطهري. مصدر سابق

السيد محمد الطباطبائي إلى خراسان والسيد عبد الله البهبهاني إلي كرمنشاة، واعدم والميرزا نصر الله الأصفهاني (ملك المتكلمين).

كان رجال الدين إذن هم من قام بالحركة الإصلاحية الأولي ضد الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي والاستعمار الخارجي، وهم من دفعوا الثمن من أرواحهم وحرياتهم، فقد كان الصدام الأول بين الأسرة القاجارية وعلماء الملة بمثابة إشعار بأن الساحة الإيرانية حبلي بالأحداث التي ستأتي فيما بعد، يكون فيها الإسلام هو الفاعل الأساسي في تكوين الجنين الثوري للتغيير، ولم يكن الأمر مجرد صدام بين الأفكار التحريرية والإسلام صداما عفويا، بل هو مصدر الاستشهاد في تاريخ إيران المعاصر، فعلماء الدين رأوا أن الإسلام هو الكيان الذي تتفاعل فيه الحريات وتتنامي فيه حقوق الإنسان، ولقد كان كتاب «تنبيه الأمة وتنزيه الملة» للمرجع الديني الميرزا محمد حسين النائيني (١٨٦٠ ـ ١٩٣٦) حيث دخل النائيني في تفاصيل بناء الهيكل الدستوري للنظام السياسي، وقد واجه النائيني إشكالية عصبية الدولة في عصر الغيبة من قبل غير الأمام، وذلك عن طريق قسمة مضمون الغيبة بموجب أن حق الله ديني وحق الناس مدني اجتماعي سياسي، أو حق الآدمي وحق الله، حيث ترجع الناس في أمورهم الديني إلي الفقهاء وترجع في أمورها المدنية إلي السلطة القائمة[١]، وفي الحقيقة كان الفكر السياسي الشيعي في عصر الغيبة يتطور ويتلاحق، ويكون في صراع دائم مع السلطة الغاشمة، وهو المكون الرئيسي للإبداع الفقهي للإمام الخميني في

---

(١) من كتاب ضد الاستبداد ـ مصدر سابق

النيابة في زمن الغيبة، والمهم أن رسالة تنبيه الأمة وتنزيه الملة كانت بمثابة حجر العثرة ضد موقف الشاة محمد علي الذي ألغي الدستور وأغلق البرلمان، لأن الرسالة أسست لقيام حكومة إسلامية شرعية تعتمد القانون أساسا لعملها[١]....

وما نراه هو أن في بداية القرن العشرين حمل فقهاء الشيعة قبس التحرر من الاستبداد والدكتاتورية، فكانوا روادا لنشر الأفكار الديمقراطية ومفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية وحق الشعب في الإشراف على الحكومة، وتحديد سلطات الحاكم المسلم بشكل حضاري متقدم، رغم أن المرحلة السياسية والفكرية والثقافية في المجتمع الإسلامي كانت في بدايات نموها وتفتحها[٢].

وفي الوقت الذي كانت الأفكار والنظريات العلمانية تتسلل إلي البناء الفكري والسياسي للأمة، كان الإسلاميون يتقدمون ببرنامج سياسي يهدف إلي تأسيس البرلمان وسن دستور لبدء حياة سياسية متقدمة في ظل ظروف سياسة وثقافية غير مهيأة، لكنهم أبوا إلا خدمة الأمة وخدمة أوطانهم وأبناء شعبهم للمضي بهم نحو التقدم والازدهار، وما كان ذلك ليتم لولا وعي أولئك الفقهاء العظام، يساندهم الوطنيون من المثقفين، وإحساسهم بأهمية الدور المناط بهم شرعيا وسياسيا من أجل إخراج الأمة الإسلامية من عهود التخلف والظلم واستبداد الحاكم.

وكانت الخطوات الأولي تتمثل في إعادة صياغة العلاقة بين الحاكم

---

(١) سليم الحسني. دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار صـ ٣٩

(٢) جعفر عبدالرزاق. مصدر سابق

والشعب عبر وثيقة قانونية هي الدستور، تحدد صلاحيات المؤسسات الدستورية، التشريعية والتنفيذية والقضائية، والبلاط الملكي، كما تتمثل في إيجاد آلية لمشاركة الشعب في السلطة عبر تشكيل مجلس نيابي يتمتع بسلطات وصلاحيات تفوق سلطات الحاكم والحكومة.

لقد كانت تجربة ثورة الدستور ١٩٠٥ أول تجربة إسلامية ذات مضمون ديمقراطي في العصر الحديث[١]، فسبقت كل التجارب الأخرى في ريادة فقهاء الشيعة هذا الميدان وانغماسهم في العمل السياسي الإسلامي، وتحقيق الأهداف التي تتوخاها الشريعة الإسلامية لتهيئة ظروف الأمن والحرية والعدل والمساواة والاستقلال للمجتمع الإسلامي، لقد سبقت المشروطة الدستور الياباني عام ١٩٠٨ تاريخيا[٢]، وفقهيا حين تم إدراج مادة تنص على وجود هيئة من خمسة مجتهدين ينظرون في التشريعات الصادرة من المجلس النيابي، وتقرير مدي مطابقتها لأحكام وقواعد الشريعة الإسلامية حتى يجري تصديقها وتنفيذها. وهذه الهيئة، التي تمثل صمام أمان قانوني تجاه الانحراف أو غلبة الحكم الوضعي على التشريع الإسلامي، غير موجودة على ما نعلم في أي دولة إسلامية معاصرة لتجربة الدستور مثل مصر والدولة العثمانية.

لم يكن إيمان أولئك الفقهاء بتلك البرامج الإصلاحية يقتصر على الشعار أو التنظير في الكتب، بل دخلوا ميدان المعترك السياسي، وقدموا التضحيات الكبيرة من أجل تحقيق العدالة والمساواة والحرية لمواطنيهم، فتزعموا

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

المعارضة سياسيا، وقادوا التظاهرات والإعتصامات، وأصدروا البيانات والتوجيهات، وخاطبوا الحاكم وأعضاء حكومته، وقاموا باتصالات مع الدول الكبرى سواء عبر سفاراتها أو من خلال رسائل وترقيات إلي السفراء والرؤساء الغربيين، باختصار، قادوا حركة التحرير من الاستبداد الداخلي والاستعمار والرؤساء الغربيين منتهزين المنافسة الشديدة بين روسيا وبريطانيا على إيران.

فقد كانوا يقومون بتحالفات ومفاوضات مع بريطانيا لأنها مدت يد العون لهم لمواجهة الشاة الذي تدعمه روسيا، كما أنهم اتصلوا بالسلطان العثماني (السني) طالبين منه التدخل والوقوف إلي جانبهم ضد الشاة الإيراني (الشيعي)[1]، وهذه خطوة كبيرة قياسا للأوضاع الدينية والمذهبية التي كانت تحكم مجمل التوجيهات والنشاطات الثقافية والسياسية والفكرية، ليس في منطقة الشرق فحسب بل في العالم كله وحتى أوربا.

لقد استطاع أولئك الفقهاء أن يقفزوا على حاجز مذهبي ونفسي ارتفع طوال قرون بين المذهبين الرئيسيين، السنة الشيعة، من أجل تحقيق آمال الأمة في التغيير السياسي، وتطوير نظام الحكم بصيغة ديمقراطية متقدّمة، ولم يعق تلك الخطوة العظيمة الممارسات العثمانية البالغة القسوة ضدّ الشيعة في العراق، وإقصائهم عن التوظيف في المؤسسات الحكومية، وحرمانهم من تأسيس المدارس، ودخولهم الكلية العسكرية، بل وحرمانهم من التقاضي إلي قاض شيعي ومحكمة شيعية، ومصادرة الأوقاف الشيعية.

---

(١) المصدر السابق

لقد عاملت الدولة العثمانية الشيعة كطائفة منبوذة لا تتمتع بأية امتيازات، حتى تلك التي أقرّها المرسوم السلطاني (خطي شريف) الصادر عام ١٨٣٩ الذي ساوي بين المسلمين وغير المسلمين[١]، وكذلك القرار السلطاني (خطي همايون) الصادر عام ١٨٥٦ الذي منح المساواة التامّة والحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في الدولة العثمانية.

لم تكن حركة الدستور ناشئة من فراغ، أو أنّها بدأت لحظة ولادتها، بل سبقتها حركة تنوير فكرية وسياسية في القرن التاسع عشر، تمثّلت بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني الإصلاحية، التي دعا فيها إلى تأسيس حكومات إسلامية وفق النظم الحديثة، من خلال تدوين دستور، وتأسيس مجلس شورى منتخب من قبل الأمّة.

وكان الأفغاني قد عرض مشروعه على شاه إيران، وخديوي مصر، والسلطان العثماني، فرفضوا عرضه وطردوه، كما أن أفكار عبد الرحمن الكواكبي التي دوّنها في كتابه الشهير (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الصادر عام ١٩٠٥ قد وجدت طريقها إلى من يجيدون العربية من العلماء والفقهاء الإيرانيين، لأنَّ الكتاب قد تمّت ترجمته إلى الفارسية عام ١٩٠٧ أي بعد الثورة بسنتين.

كما استخدم الفقهاء الشيعة أقوي أسلحتهم في الصراع السياسي، وهي الفتاوى التي تُمثل حكما إسلاميا يستلزم الانقياد له من قبل الجميع[٢]، إذ لا

---

(١) السيد محمد باقر الصدر ـ لمحة تمهيدية لمشروع دستور الجمهورية الإسلامية ـ طهران ١٩٧٩

(٢) جعفر عبادالرزاق ـ مصدر سابق

يقوى أحد على معارضته مهما كان وضعه أو منصبه السياسة أو الحكومي، أو مستواه الاجتماعي أو كفاءته العلمية أو سعة ثروته، فقد رأينا أن سلاح الفتوى أخطر سلاح قادر على إضفاء الشرعية على الموقف السياسي للعلماء، ومن يسير خلفهم من المعارضة والجماهير الشعبية، كما أن الفتوى تضع الطرف الآخر أو الخصم في وضع حرج، يفقد معها مبررات موقفه، بل وشرعيتها السياسية والفقهية، لأنَّه مدان من قبل المرجعية الدينية التي تُمثّل أعلي سلطة قانونية وشرعية في المجتمع الشيعي.

يضاف إلى ذلك القدرة الهائلة على تعبئة الأمّة وحشد طاقاتها وجماهيرها تجاه موقف معين تريده المرجعية الدينية، فالناس العاديون لا يملكون مقاومة فتاوى العلماء؛ لأنَّهم برأيهم يمثلون الدين نفسه، ونعلم مدى تأثير العقيدة الدينية في أذهان الناس على مدي العصور وفي كُلّ الأزمنة، حيث لا يتسنى لهم مواجهتها، فضلا عن أنَّهم يؤمنون بصلاحها وصوابها، لأنَّها آتية من الزعامات الدينية التي تحظي بالاحترام والتبجيل في نفوس أتباع المذهب الواحد، خاصَّة وأنَّ تلك الفتاوى تصدر عادة في خضم صراع سياسي يكون فيه الفقهاء إلي جانب الأمة، والدفاع عن مصالحها، ضدَّ الحاكم المستبد، ومن يدعمه من طبقة متنفعة أو نفوذ أجنبي يبحث عن مصالحه.

النفوذ الأجنبي في إيران

من ضمن إرهاصات الثورة الكبرى، وأحد أسبابها المهمَّة هو النفوذ الأجنبي في إيران، فقد تنامى النفوذ الأجنبي في إيران بطريقة أثارت الإيرانيين، وانتقل النفوذ الأجنبي من الروس إلى البريطانيين، ثمَّ إلى

الأمريكيين، ومعهم الصهاينة بطبيعة الحال، وقد كان النفوذ الأجنبي قاصراً في البداية على النهب الاقتصادي لثروات البلاد، أمَّا بعد النفوذ الأمريكي الصهيوني فقد صار التدخُّل في الشأن الاقتصادي والسياسي والثقافي بل والديني أيضا، وهو الذي جعل الإسلام في خطر، ومنذ البداية فقد ارتبط النفوذ الأجنبي في إيران بالاستبداد السياسي، فقد ظلّ النفوذ الأجنبي متناميا في الدولة الإيرانية على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية حتى قامت الثورة الإسلامية، وكان هذا النفوذ أحد أهمّ الأسباب التي مهدت للثورة، لقد بدأ التدخل الأجنبي في إيران منذ أواسط القرن التاسع عشر، حيث كان الروس يتنافسون مع بريطانيا والألمان والأتراك على الدولة الإيرانية، ويقول المؤلّف الفرنسي جيراردي فيير في كتابه «الشاه»[1]:

إنَّ البلاد كانت في حالة إفلاس تامّ بعد اغتيال ناصر الدين شاه عام ١٨٩٦، وكانت تلك نهاية طبيعية لملكٍ أسرف في اللهو إلى حَدّ السفه، ويكفي أن نعرف أن نفقات رحلاته الترفيهية إلى الدول الأوربية كبدت الدولة الإيرانية رهن المناجم والطرق الحديدية وخدمات التلغراف والغابات والأراضي البور، بالإضافة إلى كُلّ الإنشاءات العامّة وعائد الجمارك لمدة ٢٥ عاما، وإدارة البنوك إلى البريطانيين، فضلا عن منح الروس احتكار تجارة التبغ والأفيون التي كانت تدر أرباحا طائلة، وجاء بعد ناصر الدين ابنه مظفر الدين شاه، وفعل ما فعل أبوه من قبله، ممّا أدّى إلى منح الروس مزيدا من المكاسب في إيران، وامتياز التنقيب عن البترول في جميع أنحاء البلاد مقابل

---

(١) جيراردي فيير. عرض جمال حماد. القاهرة. ١٩٨٧

مئتي ألف من الفرنكات الذهبية، وفي أغسطس عام ١٩٠٧، وبعد مفاوضات سرية طويلة أعلنت الحكومتان البريطانية والروسية، أنهما وقعتا على معاهدة تمَّ بمقتضاها تقسيم إيران إلي ثلاثة أجزاء، منطقة نفوذ روسية كبيرة في الشمال، ومنطقة نفوذ بريطانية صغيرة في الجنوب، ومنطقة محايدة تشمل طهران في الوسط.

كانت الحاجة إلي مثل هذه المعاهدة، قد أملتها الأوضاع في أوروبا وبخاصة قوّة ألمانيا المتزايدة تحت شعار «الاتجاه نحو الشرق» التي أصابت كُلًّا من لندن وبطرسبرج بالذعر. ولكن كان هناك عنصر، وهو النفط، إذ بدأ الاهتمام المتزايد بهذه المادة في الدول الغربية الصناعية، وكانت إيران إحدى البلدان التي كان يعتقد باحتمال وجود النفط فيها، وكانت كل الشواهد الجيولوجية تشير إلي شمال البلاد، منطقة النفوذ الروسي، على أنّها المنطقة التي يمكن أن يؤدّي التنقيب فيها إلي نتائج إيجابية، لكنَّ الذي حدث هو أنّ البترول استخرج لأوّل مرّة عام ١٩٠٨ عند «مسجدي سليمان»[١] في المنطقة الإنجليزية بالجنوب، ولعدّة أعوام ظلّت آبار الجنوب الغربي هي أكثر الآبار إنتاجية في منطقة الشرق الأوسط.

وفي أثناء الحرب العالمية، كانت إيران ـ رغم حيادها الاسمي ـ مسرحا للحرب، فقد احتلت الجيوش الإنجليزية والروسية بعض أجزاء منها، لكي توقف تقدم الألمان والأتراك، وإذا عدنا إلي عام ١٨٧٩م، نجد أن الروس كانوا قد طلبوا من الشاه، القيام بتشكيل ما يُسمّي ببوليس الأقاليم في

---

(١) محمد حسنين هيكل ـ مدافع آية الله ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ١٩٨٢

الشمال[١]، ويطلق عليه فرقة القوزاق، تضمُّ ضبّاطاً روسيين، وضبّاط صفّ إيرانيين ومجندين، وقد قامت هذه الفرقة عام ١٩٠٧، بقذف المجلس بالقنابل وأعادت الشاه إلي العاصمة.

لكن عندما اندلعت الثورة الروسية عام ١٩١٧، انسحب الضبّاط الروس، تاركين الفرقة في أيدي ضباط الصف الإيرانيين.

وكان من أكثر أفراد هذه الفرقة وعيا وذكاء رقيب يدعي «رضا ميزار»، وقد عُيّنَ وكيلاً لقائد فرقة القوازق هذه، عن طريق تدخّل قائد القوّات البريطانية في إيران، الجنرال «أدموند ايرونسايد»، لأنّ البريطانيين كانوا مهتمّين بملء الفراغ الذي تركه الانسحاب الروسي.

وبعد الحرب مباشرة كانت إيران في حالة من الفوضى الشاملة، لكنَّ نمو الوعي القومي الذي أثارته الحرب ترك أثره العميق عليها، شأنها في ذلك شأن بقية دول الشرق الأوسط. فالعرب في كُلّ مكان كانوا يطالبون بالاستقلال، حيث صدقوا ما وعدهم به الحلفاء (نقاط ويلسون الأربعة عشرة)، فمصر كانت في حالة غليان، وفي تركيا كان مصطفي كمال يحاول الإصلاح بتحويل نواة الإمبراطورية التي تحطَّمت إلي دولة صغيرة لكن متجانسة، لم يكن من الغريب أن يقوم «رضا ميزارا خان»(كما كان يُدّعي عندما أصبح ضابطا) وهو رجل ذو عزيمة وإصرار حديدي، بالاستيلاء أوّلاً على فرقته، على طهران، وأخيرا على البلد كله[٢].

---

(١) المصدر السابق

(٢) أسيمة جانو ـ التاج الإيراني ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ـ ١٩٨٧

قام «رضا خان» بخلع آخر شاه من أسرة القاجار، وحظي بالتشجيع بأن يقتفي أثر جاره مصطفي كمال، الذي خلع آخر سلطان تركي، ويعلن تركيا جمهورية.

كان الشاه على اتصال مستمرٍّ بالألمان، وبعد سقوط فرنسا أصبح تعاون الشاه مع الألمان أكثر وضوح، وازداد عدد رجال الأعمال الألمان في طهران لدرجة ملفتة للنظر، لذا لم تكن مفاجأة له أن تقوم القوات البريطانية والروسية، بغزو بلده وإرغامه على التنازل عن العرش لأبنه محمد، وتمَّ ذلك حينما قام الألمان بغزو روسيا في يونيو عام ١٩٤١.

كان ذلك النفوذ الأجنبي من أهمّ ما جعل الإيرانيين يتوجَّسون من سلوك محمد رضا الشاه الجديد، لأنَّ ذاك النفوذ كان من أساب ثورة الدستور، وكانت تتفاعل الأحداث لتكون المعارضة شديدة لتلك السياسة، ولذلك كانت ثورة الدكتور محمد مصدق بسبب التدخّل الأجنبي والنهب المستمرّ لثروات البلاد، وكانت كلّ الدلائل تشير مبكرا إلى الثورة، فعندما قامت القوات البريطانية والروسية، بالتنسيق معاً، بدخول إيران في أغسطس عام ١٩٤١، أصبحت إيران بمثابة جسر أساسي لنقل السلاح والمؤن إلى الجبهة الروسية، كما أصبحت واحدة من المصادر الرئيسية للنفط لجهود الحلفاء في الحرب، لكن بعد معركة بيرل هاربور، دخل الأمريكيون الحرب، ممّا جعل الموقف يبدأ في التحوّل تحوّلاً كاملا[1].

كان الروس والإنجليز هما العدوين العملاقين المألوفين لدي الشعب

---

(١) هيكل. المصدر السابق

الإيراني، أمّا بالنسبة للولايات المتحدة فقد كانت قادما جديدا على الساحة، وبالتالي فإنَّه من المؤكَّد إمكانية احتمال دعوة العالم الجديد لإصلاح أخطاء العالم القديم[١]، كان الإيرانيون يعرفون القليل عن الأمريكيين، ولكن سرعان ما أخذت مكانتها كوريثة للاستعمار القديم، وتمكّنت أمريكا من النفوذ المستمرّ الدؤوب في الشأن الإيراني حتى انفردت به كلية[٢]، وبدت أمريكا بمظهر البلد الذي لا تنضب سياستها النفعية، وكان الأمريكيون يتمتَّعون بمزايا عديدة، عندما بدأوا جهودهم الرامية لتدعيم وضعهم الجديد في إيران أثناء الحرب، وبعد انتهاء الحرب، أعلن «دين أتسيسون» وزير خارجية أمريكا: أنَّ الولايات المتحدة في وضع أفضل من بريطانيا العظمي أو الاتحاد السوفيتي، لتتولي زمام التوجيه فيما يختصُّ بإيران، لأنَّنا لا نخشى من الشكوك في أن تكون لنا مصالح ذاتية في إيران، مثلما هو الحال بالنسبة للقوتين الأخريين[٣].

النفوذ الأمريكي الصهيوني في إيران

بدأ الأمريكيون بداية سيئة في محاولتهم لكسب ودِّ الشاه، فلكي يشيروا إلي أهمية دور إيران في المستقبل، اختيرت طهران لانعقاد المؤتمر الأوَّل للثلاثة الكبار، الذي خطط فيه لمسار الحرب، ووضعت فيه كذلك أسس التسوية لفترة ما بعد الحرب، وخلال فترة انعقاد المؤتمر في نوفمبر / ديسمبر ١٩٤٣،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

قام ستالين بدعوة الرئيس الأمريكي روزفلت للإقامة في السفارة الروسية[١].

وقام الشاه بزيارة مجاملة للقائدين العالميين، قام بعدها ستالين بردّ الزيارة، وسار دون حرس أو مرافقين إلي قصر الشاه، وقضي ثلاث ساعات في محادثات مع مضيفه، في حين لم يقدم روزفلت على مثل هذه البادرة، وبدلا من ذلك أرسل روزفلت برقية إلي الشاه بعد عودته إلى واشنطن يقول فيها: (إنَّه بسبب قصر زيارته بالضرورة، فإنّه لا يدّعي معرفة إيران جيداً)، لكن الشيء الذي استدعي انتباهه أكثر هو «نقص الأشجار على سفوح الجبال»، وتساءل روزفلت عما إذا ممكنا اقتراح برنامج تجريبي لغرس الأشجار «أو حتى الشجيرات»؟ ورد الشاه بأن توصية الرئيس الأمريكي الحكيمة تركت انطباعا إيجابيا لديه، ووعد ببرنامج لغرس الغابات، لكن بينه وبين نفسه شعر بالإهانة لما تصوره أنه معاملة تنطوي على الازدراء[٢].

وأثيرت قضية تزويد روسيا لإيران بالسلاح (الدبابات والطائرات) لأوَّل مرّة أثناء هذه الزيارة[٣]، وعرض ستالين تقديم السلاح، وقبل الشاه العرض، لكنّه عندما علم بعدد الخبراء الفنيين الذين سيرسلون مع السلاح، وجد نفسه أميل إلي رفض العرض، وعلى أي الأحوال فإن سلوك بعض الأمريكيين الآخرين، كان أكثر من تعويض عن غلطة روزفلت[٤]، ففي فبراير ١٩٤٤، طار الشاه وكبار وزرائه على متن طائرة من طراز ليبراتور من

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

طهران إلي القاعدة الجوية الأمريكية في عبدان، وفي رحلة العودة استقلوا طائرة من طراز د٨٣٠ وأتيحت للشاه فرصة قيادتها، وفي الوقت ذاته تمتع أعضاء الأسرة المالكة بشيء من الاهتمام على الطريقة الأمريكية أيضا، فقد أقام النجم الغنائي المشهور وقتها «نلسون أدي» حفلا خاصًّاً لهم في طهران حضرته الأميرتان أشرف وشمسي[١].

وفي تاريخ مبكر حاولت واشنطن أن تضع أسس سياسة أمريكية خاصة نحو إيران في المستقبل، ففي ٣١ يوليو ١٩٤٤ أرسل «ادوارد ستيتينوس» القائم بأعمال وزير الخارجية، بمذكرة هامة للقائم بالأعمال في طهران، قال في البرقية: إنَّ وزارة الخارجية تدرك الأهمية المتزايدة لعلاقات الولايات المتحدة ومع إيران، وهي على استعداد أن تلعب دورا أكثر نشاطا وإيجابية في الشؤون الإيرانية بما يتخطّي ما كان ممكنا، أو لازما في فترة ما قبل الحرب[٢]، وذكر «ستيتينوس» ثلاثة أسباب تبيّن ضرورة أن يكون الأمر كذلك[٣]:

أولا: طالما أن إيران قد طلبت العون من أمريكا فينبغي أن نمدّها بذلك اعتبارا لمصالحنا الذاتية، كذلك فإن الرئيس ووزارة الخارجية يعتبر إيران بمثابة حقل تجارب لميثاق الأطلسي ولمدى حسن نوايا هيئة الأمم.

ثانيا: حينما تصبح إيران قوية «وقد تخلّصت من الضعف والنزاعات الداخلية، التي تشجع على التدخل الأجنبي فإنها ستساهم في خلق عالم أكثر استقرارا».

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

أما السبب الثالث فيكمن في حماية وتعزيز المصالح القومية الأمريكية «وهذا يشمل إمكانية المشاركة بشكل أكبر في تجارة إيران وتنمية ثرواتها والإفادة من موقع إيران الاستراتيجي الذي يسمح بإنشاء قواعد جوية مدنية، والأهمية المتزايدة لحقول البترول الإيرانية والعربية»[١].

كان من الطبيعي عند هذه المرحلة من الحرب أن تعطى الأولوية للمثل التي كانت تحارب من أجلها أمريكا، وكان من الطبيعي كذلك أن نجد «ستيتينوس» شأنه في ذلك كشأن الموظفين المسئولين في الحكومة حريصا على تأكيد رغبة أمريكا في التعاون الكامل مع حلفائهم في الحرب: «إنَّ الانطباع الذي يجب أن نتجنبه مهما كلفنا الأمر هو أنَّنا ننوي الوقوف إلى جانب إيران لنكون بمثابة حاجز سياسي لكبح جماح حلفائنا الإنجليز والروس من التطلّع إلى إيران، بل ينبغي أن نؤكّد للعالم أهميّة أن تكون إيران دولة قوية مستقلّة، وعضوا فعّالا في المجتمع الدولي، ليس ذلك فقط، بل يجب أن نحصل على عون وتأييد حلفائنا للوصول إلي هذا الغرض»[٢].

لكن مع استمرار الحرب بدأت التوترات تظهر داخل التحالف الغربي بما في ذلك إيران، حيث أثبت الأمريكيون مقدرتهم الهائلة في التفوق على شركائهم، فقد برزت ثلاث مشاكل رئيسية: كيف ومتى تنسحب القوات الأجنبية من إيران؟ ـ وكيف يمكن الاحتفاظ بوحدة الأراضي الإيرانية ـ وبأية شروط ستمنح امتيازات البترول؟

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٤٤، ألمح «ستيتينوس» ولم يكن قد مضي خمسة أشهر على رسالته السابقة إلى إيران «من أهم المناطق في العالم التي قد تظهر فيها خلافات بين الحلفاء». وفي أول ديسمبر ١٩٤٣[١] وفي نهاية مؤتمر طهران، صدر إعلان إيران الذي وقّعه روزفلت وتشرشل وستالين، ونَّظم عملية انسحاب القوّات الأجنبية، وأشار إلى تضحيات إيران في الحرب، وتعهد الحلفاء بتقديم العون لإيران أثناء الحرب وبعدها، كما وعد بانسحاب كل القوات الأجنبية من إيران «خلال ستة أشهر بعد توقّف القتال مع ألمانيا وشركائها»[٢].

وقد تصوّرت الحكومة الإيرانية عن حقٍّ إلى حَدّ ما أنَّ هذا الوعد يعني ستة أشهر بعد يوم ٨ مايو ١٩٤٥، يوم انتصار الحلفاء، فبادرت يوم ٢١ مايو بإرسال مذكرات إلى الحكومات الثلاث المعينة تطلب فيها بدء جلاء القوات في ذلك التاريخ[٣]...

وعلى أي الأحوال، فإنَّ الشاه الإيراني بينه وبين نفسه قد بات واضحا لديه، وبما لا يدع مجالا للشكّ، أنّه رغم تلهفه على رحيل القوات البريطانية والروسية، فإنه غير متعجّل على رحيل القوات الأمريكية بنفس الدرجة[٤]، يؤكّد ذلك ما قاله السفير الإيراني في واشنطن ل «لوي هندرسون» المسؤول عن الشؤون الإيرانية بوزارة الخارجية (الذي أصبح سفيرا بعد ذلك في

---

(١) المصدر السابق

(٢) أسمية جانو ـ مصدر سابق

(٣) أسيمة جانو

(٤) هيكل ـ المصدر السابق

طهران) في ١ يونيه/ حزيران: أنَّ المذكرة الإيرانية عن انسحاب القوات «لم تكن بطبيعة الحال موجّهة للقوات الأمريكية، وكان من الضروري ذكر هذه القوات حتى لا تتضايق الحكومتان السوفيتية والانجليزية[١]».

وبهذا الوضع المتميز تمتَّعت كلّ من بعثتي «ريدلي» العسكرية و «شكوارزكوف» للأمن الداخلي بنفوذ كبير، وكان قد تمَّ الاتفاق عام ١٩٤٤ في واشنطن على أن تُعطى.

وفي ذلك الوقت بدأ التعاون بين السافاك والموساد[٢]، وكذلك بينهما وبين وكالة المخابرات المركزية، وأصبح ذلك التعاون سمة من سمات نشاط المخابرات في منطقة الشرق الأوسط، وشهد عام ١٩٥٥، بالإضافة إلى توقيع حلف بغداد الغارة الإسرائيلية على غزة، وصفقة الأسلحة التشيكية لمصر، وبدأ التوتر يتصاعد في المنطقة، ورأت إسرائيل، شأنها في ذلك شأن الغرب وخاصة أمريكا، أنَّه من الأهمية بمكان الإبقاء على إيران محصنة من عدوى تيار القومية العربية المتصاعد باعتبارها حلقة الاتصال الحيوية التي تربط العالم العربي بشبه القارة الهندية[٣].

وقد بدأ رئيس الوزراء الإسرائيلي «دافيد بن جوريون» يطرح أول مبادرة على الشاه من خلال المساعي الحميدة للوكالة المركزية للمخابرات، عن طريق مدير مخابراته (الموساد) مائير أميت[٤]، ولم يكن الشاه في حاجة لكثير

---

(١) فهمي هويدي - إيران من الداخل - دار الأهرام للترجمة والنشر - ١٩٨٨

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) هيكل في المصدر السابق

من الإقناع، لأنه كان يعرف المزايا التي ستجنيها البلدان من هذا التعاون، ليس في مجال المخابرات فقط، وإنما في مجالات أخرى، وتركت الإنجازات الإسرائيلية انطباعا إيجابيا على الشاه الذي كان يرى أن الإسرائيليين قد أثبتوا أنَّهم على مستوي عال من الكفاءة، ملمين بآخر التطوّرات التكنولوجية فكان على استعداد للتعلّم منهم خاصَّة فيما يتعلَّق بالأمن، لذا انتقى بعض الضباط الأساسيين، بما في ذلك بعض أفراد الحرس الملكي وأرسلهم للتدريب في إسرائيل[١].

وقد اتخذت النصائح الأمريكية للشاه عدة أشكال مختلفة، فعلي حين كانت وكالة المخابرات المركزية تمدّ إيران بالمساعدات في مجال المخابرات، كان الصوت الصادر من البيت الأبيض ينصح بالحذر، وعندما أصبح جون كينيدي رئيسا للولايات المتحدة عام ١٩٦٠، ووجّه انتباهه إلي إيران، طالب الشاه أن يفرض شيئا من النظام على شؤون بلاده، ويضع حدّا للفساد الذي اشتهرت به أسرته وحاشيته بشكل فاضح، وأن يعي بأن أمن البلاد لا يضمنه السلاح وحده، وقد أخبرني الشاه ـ الكلام لمحمد حسنين هيكل ـ[٢] فيما بعد بأنه كان يعتبر رسالة كينيدي بمثابة انقلاب أمريكي موجّه ضدّه، لكنّه استوعب النصيحة إلي حَدّ أنّه عيّن الدكتور على أميني، الذي كان وزيراً للمالية في حكومة مصدق، ويكن له الشاه كرها شخصيا رئيسا للوزراء لعلمه أنّه يلقي موافقة الأمريكيين.

---

(١) هيكل

(٢) المصدر السابق

في هذه الفترة بدأت تظهر مجموعة العناصر المسيطرة على مسرح الأحداث في الشرق الأوسط في السبعينيات ـ ألا وهي التحالف بين البترول والسلاح والمخابرات، وكانت كميات هائلة من الأموال على الدول المنتجة للبترول، والتي كانت حكومتها وشركاتها على استعداد للإنفاق بسخاء لحماية استثماراتها، والحماية الفعّالة تعتمد على جهاز مخابرات جيد، بنفس القدر الذي تعتمد فيه على إحداث الأسلحة، وطالما توجد الرغبة في دفع مبالغ طائلة لأيّ فرد يتبيّن أنّه قادر على الإمداد بها، فإنَّ قوَّة الإنسان كانت غلابة، وتضاعفت في هذه الفترة النشرات الخاصّة التي تدّعي أنَّها تعطى معلومات سياسية واقتصادية مستقاة من الداخل من خلال المكاتب الاستشارية التي فتحها العديد من رجال المخابرات الأمريكية، الذين كانوا يعملون مع كيرميت روزفلت في إيران، والتي كانت جاهزة ومرحبة بتزويد الحكومات المحلية والشركات التجارية بالمعلومات، وبالفعل وجدت العديد من الزبائن وكثيرا ما قدَّمت هذه المكاتب معلومات ذات فائدة، ولكنَّها كثيراً مّا قدّمت أيضا معلومات هي في واقع الأمر من قبيل الفضائح التي تسمع في الأسواق، أوردها أو أخترعها صحفيون من الدرجة الثالثة[١].

ثورة تأميم النفط

إن بذور الثورة على الظلم والتدخّل الأجنبي والعلاقة المتنامية بين الشاه والدولة الصهيونية الوليدة، كلها اختمرت في أذهان كل الشعب، تنتظر

---

(١) المصدر السابق

القائد الذي يأخذ بيده للتخلّص من كُلّ تلك الظلمات، وقد شمل هذا الشعور كلّ الإيرانيين على كلّ توجّهاتهم الفكرية، وكلّها يصبّ في أنَّ موعد الثورة الإسلامية الكبرى كان يتبلور، وكانت ثورة تأميم النفط بقيادة الدكتور مُحمّد مصدق من تلك البدايات، صحيح أن الثورة كانت لها ميول ليبرالية، ولم تكن إسلامية خالصة، ولكنّها وجدت في رجال الدين تأييدا لها، وبدونهم ما كانت ثورة التأميم تنجح، ولكننا نعتبرها من إرهاصات الثورة الكبرى، خاصّة وأنَّ الشعب الإيراني شعب مسلم يرفض أي حلول غير إسلامية، ولكنَّه رأي التأميم مقدّمةً لتقليص التدّخل الأجنبي، وإعادة الحقوق للشعب نفسه، وهذا لا يقلل مطلقا من وطنية الدكتور مصدق، ولكنّه توجّه صريح نحو تحليل ما حدث، باعتباره من مقدِّمات الثورة، فلقد قطع الدكتور مصدق طريقاً طويلاً قبل أن يصل إلى مركز صنع القرار، حيث شغل منصب وزير المالية في حكومة أحمد قوام السلطنة ١٩٢١، ولاحقا وزيرا للخارجية في حكومة مشير الدولة ١٩٢٣. بعدها أعيد انتخاب مصدق نائباً في البرلمان[١]، فكان أن ظهرت ميوله المعادية للعسكر والعسكرة، بأن صوّت ضدّ انتخاب رضا خان شاه على إيران عام ١٩٢٥، وتوجّ مصدّق نضوجه السياسي بقيادة الجبهة الوطنية، أو جبهة ملي، التي أسسها سوياً مع الدكتور حسين فاطمي، وأحمد زراكزاده، وعلي شاكان، وكريم سنجابي، وكان من أهدافها تأميم النفط الإيراني[٢].

---

(١) أسيمة جانو ـ المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

رئاسته مصدق للوزراء

انتخب البرلمان الإيراني في ٢٨ أبريل ١٩٥١ محمّد مصدّق رئيساً للوزراء بأغلبية ٧٩ صوتا مقابل ١٢ فقط، وبعد يومين فقط من استلامه السلطة قام مصدق بتأميم النفط الإيراني، تحالف رئيس الوزراء الليبرالي والتحديثي مصدّق مع كتل اليسار السياسي مثل حزب توده الشيوعي، ليوازن ضغوطات الشاه من الداخل، وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية من الخارج، كانت إصلاحات مصدّق الديمقراطية تضرب في الأساس الشمولي لحكم الشاه[١]، كما أن تأميمه للنفط الإيراني مثل ضربة كبيرة لمصالح إنجلترا وواشنطن.

وبالرغم من الشعبية الطاغية التي كانت لمصدّق بين الإيرانيين من الطبقات والشرائح الدنيا والمتوسطة تحديدًا، فقد ناصبته طبقة الملّاك المتحالفة مع المؤسسة الدينية العداء بسبب إعلانه عن وضع خطة للإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية[٢].

ادّعت بريطانيا على مصدّق أمام محكمة العدل الدولية بزعم انتهاك حقوقها النفطية، فسافر مصدّق إلى مقرّ المحكمة في لاهاي مترافعاً عن حقوق بلاده النفطيّة، ووصف بريطانيا بأنّها «دولة امبريالية تسرق أقوات الإيرانيين المحتاجين»[٣].

---

(١) أحمد عنايت - الفكر السياسي الإسلامي المعاصر - ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا - مكتبة مدبولي - القاهرة - ١٩٨٩، والدكتور علي شريعتي في كتاب العودة إلى الذات

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

ثم قام بتأميم شركة النفط الأنكلو إيرانية شركة بريتيش پتروليوم الشهيرة حالياً، فقامت إنجلترا بقيادة حصار دولي على النفط الإيراني، بدعوى أنَّ إيران انتهكت الحقوق القانونية للشركة، التي تملك لندن الشطر الأعظم من أسهمها، وساهم هذا الحصار في تردي مستويات المعيشة للإيرانيين، وشكَّل المدخل الذي عاد منه الشاه بعد الانقلاب على مصدق ليتربع على عرش الطاووس مجدداً بالدعم الأميركي والإنجليزي[١] انضمَّ واحد من أبرز رموز المؤسسة الدينية الإيرانية، هو آية الله كاشاني إلى حركة مصدّق الوطنية، فأفتى بأن «كل من يعارض تأميم النفط الإيراني هو عدو للإسلام»[٢].

لقد تمثّل الهمّ الأساسي لمصدّق تحديث إيران، وبناء اقتصادها وتحريرها من هيمنة الشركات النفطية الكبرى، وبالتوازي مع إصلاح زراعي لإعادة تشكيل الخارطة الاجتماعية في إيران، والأخير بالتحديد ساهم في معاداة الإقطاعيين له، أما أفكار الحياد عن الأحلاف الشرقية والغربية، بالترافق مع تأميم الثروة الوطنية الأساسية (النفط) فقد حشَّدت عداءاً إنجليزياً وأميركياً غير مسبوق للزعيم الإيراني وحكومته الوطنية.

الانقلاب على مُصدّق

وقع الانقلاب على حكومة الزعيم محمّد مصدّق يوم التاسع عشر من أغسطس عام ١٩٥٣، بعد أن احتدم الصراع بين الشاه ومصدّق في بداية شهر أغسطس من عام ١٩٥٣، فهرب الشاه إلى إيطاليا عبر العراق، وقبل أن

---

(١) هيكل

(٢) المصدر السابق

يغادر وقّع قرارين: الأوّل يعزل مصدّق. والثاني يُعيّن الجنرال فضل الله زاهدي محلّه[١].

قام زاهدي في التاسع عشر من أغسطس ١٩٥٣ بقصف منزل مُصدّق وسط مدينة طهران؛ في حين قام كيرميت روزڤلت ضابط الاستخبارات الأميركي والقائد الفعلي للانقلاب الذي أطلقت المخابرات المركزية الأميركية عليه اسماً سرياً هو العملية أجاكس، بإخراج «تظاهرات معادية» لمصدّق في وسائل الإعلام الإيرانية والدولية[٢]، كما أوعز روزفلت إلى كبير زعران طهران وقتذاك شعبان جعفري بالسيطرة على الشارع، وإطلاق الهتافات الرخيصة التي تحطّ من هيبة الدكتور مصدّق ؛ بالتوازي مع اغتيال القيادات التاريخية للجبهة الوطنية التي شكّلها مثل الدكتور حسين فاطمي الذي اغتيل بالشارع في رابعة النهار، حوكم مُصدّق أمام محكمة صورية، استفاض بعدها محاميه جليل بزرگمهر في كشف أنّها لم تكن تتمتع بالحدِّ الأدنى من شروط الحيادية، وحَكَمَ نظام الشاه على الدكتور مصدّق بالإعدام، ثم خفف الحكم لاحقاً إلى سجن انفرادي لثلاث سنوات ؛ ومن ثم إقامة جبرية لمدى الحياة في قرية أحمد أباد، الواقعة في شمالي إيران ليترك الدكتور مصدق نهبا لذكرياته.

لقد ساهم القمع المتواصل لرموز وأنصار الجبهة الوطنية الليبرالية جبهة ملي، منذ الانقلاب على مصدّق وحتى قيام الثورة الإيرانية، في جعلها غير

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

قادرة على خلق تيار سياسي يستقطب على نطاق واسع المعارضة الجماهيرية للشاه وسياساته، برغم الكفاءات المتميزة لأنصار الجبهة الوطنية ونضالهم الدستوري العتيد.

فإلى هذه الحملة الإعلامية وتلك الملاحقة الأمنية، يعزى بعض من فشل الجبهة الوطنية في إرساء مشروع المعارضة الجماهيرية المتنامية على مرجعيتها، أي سيادة الشعب والأمة، ومرجعية القانون والدستور.

وكانت تلك الحقيقة معطوفة على تهميش دور البرلمان والدستور، هي أبرز دوافع الأجيال الجديدة للالتجاء إلى العمل السري الراديكالي، فحلَّ الشباب الذي لا يملك ميولاً دينية على التيارات الماركسية ؛ التي تبني مراميها على أساس دكتاتورية البروليتاريا، مثل حزب توده الشيوعي، ومنظمة فدائيان خلق، أو فدائيي الشعب، وبالمقابل اتَّجه ذوو الميول الدينية إلى التيارات الأصولية، تلك التي انضوت بحلول عام ١٩٧٧ بكاملها تحت عباءة الإمام الخميني.

الفصل الثالث

الثورة الكبرى ودور القائد

بعد أن كتبنا عن دور رجال الدين في إرهاصات الثورة، وعن النفوذ الأجنبي الأمريكي الصهيوني في إيران، ثم ثورة تأميم النفط بقيادة الدكتور محمّد مصدّق، وما قام به الشاة محمّد رضا بهلوي من تحالفٍ مع الاستعمار الأمريكي والكيان الصهيوني، وانقلابه على الإسلام ذاته، نكتب عن الثورة الكبرى التي هزّت كلَّ أرجاء العالم بأسره، بقيادة الإمام روح الله الموسوي الخميني، بذور الثورة إذن من قناعات الشعب الإيراني أنَّ ثورته لابدَّ أن تكون ثورة دينية، وثورة دينية يقودها زعيم ديني يجمع كلَّ الناس على أنَّه الأصلح لقيادة الشعب نحو الثورة، وثورة أيضا تعرف كيف لها أن تستقلَّ عن كلِّ التيارات العالمية، لتكون ثورة مستقلّة، لها هدف واحد هو استقلال إيران عن النفوذ الديكتاتوري، وكبح جماح الاستكبار الغربي عن نهب ثروات البلاد الإيرانية، وكل ثروات بلاد المسلمين وغير المسلمين، وعندما نكتب عن الثورة الكبري لابد من العودة لبداياتها، لقد بدأت الثورة بالفعل عندما قال الإمام الخميني ﷺ عن النفوذ الأجنبي في إيران «أمريكا أسوأ من بريطانيا، وبريطانيا أسوأ من أمريكا، أمَّا

الاتحاد السوفييتي فهو أسوأ من الاثنين، لأنَّ الاستعمار الشرق كافر»[1]، ثورة إذن لم تكن لصالح أي جهة كبرى، بل هي ثورة إسلامية عامَّة، وإيرانية خاصَّة، وقد بدأ الإمام الخميني ﷺ الثورة لا من حيث انتهى رجال الدين في ثوراتهم العديدة، أو من حيث انتهت ثورة النفط، لأنَّ تلك الثورات كانت تأخذ من الإسلام جنبا إلى جنب مع القوانين الغربية، ولكنَّ الإمام الخميني ﷺ أدرك منذ البداية أن الثورة يجب أن تكون إسلامية خالصة بكلَّ تفاصيلها، فقد رأى أنَّ الإسلام نفسه في خطر بعد التدخل الاستكباري الصهيوني، لا في داخل إيران فحسب، بل في كلَّ البلاد الإسلامية. كما رأى الإمام الخميني ﷺ أن الثورات الإيرانية المعاصرة لم تنجح تمام النجاح، لأنَّها لم تكن ثورات إسلامية خالصة، فالحديث عن الثورة الإسلامية الكبرى يستلزم الحديث عن ثورية الإمام الخميني ﷺ نفسه، فحياته كلَّها ثورة، وإذا تحدثنا عن بدايات الثورة الكبرى نجدها كما قلنا في تراث أهل البيت عليهم السلام، ومن روح الثورة الحسينية التي ترفض الظلم، ولكن بداية الثورة الفعلية بدأت أوّلاً في ميراثه الفكري، عندما رأي التغريب يتسلل داخل

---

(١)من أقول الإمام الخميني ﷺ . اعتمدنا في أقوال الإمام الخميني ﷺ على ما جاء في كتب كشف الأسرار والحكومة الإسلامية، وما جاء في كتاب التاج الإيراني، وما دوناه في أرشيفنا الخاص بالثورة الإسلامية أثناء تأججها، وكذلك ما جاء في بعض المواقع الالكترونية، ولم نشأ أن نورد كل فقرة منسوبة إلى مصدرها الخاص، وذلك نظرا لأن أقوال الإمام حول الحرب معروفة ومشهورة، حتى صارت كأنها أمثلة يتداولها الكتاب والمثقفون والعوام على السواء .

المجتمع الإيراني المسلم، فرأى أنَّه يجب إنقاذ هذا الجيل المتغرّب من الشباب[١]، لأنَّ أمريكا تعمل على تدمير الأخلاق والشخصية للشعب الإيراني، وتدمير الإسلام وتصفية المسلمين[٢]، ورأى الإمام الخميني ﷺ أنَّ كلَّ تلك المخططات تتم في بؤرة خاصّة هي السفارة الأمريكية[٣]، وكتب في إحدى المقالات والتي ضمنها كتابه «كشف الأسرار»: «أيها المجاهدون الشبان، أيها المسلمون الذين يريدون النضال من أجل الكرامة المهدورة.... يا رجال الدين الذين تحاربون من أجل الاستقلال، إنه حق الله، وواجب ديني على كل مسلم أن يطهّر وطنه من المستعمرين الأجانب ومن حلفائهم داخل البلاد...»[٤]، فالإمام الخميني ﷺ تعرّف مبكرا على نيات الاستعمار والشاه، وأدرك أن الصهيونية من ورائهما تعمل على تغريب المسلمين، والنيل من هويتهم، فأسس في بداية الخمسينيات «الإتحاد الإسلامي» ليعمل على محاربة الاستعمار والصهيونية[٥]، فقد كان الإمام يرى أن إسرائيل هي رأس الجسر الذي مدّته أمريكا إلى البلاد الإسلامية[٦]، ومن هنا نرى أن ثورة الإمام بدأت مبكرا مع الثورات الأخرى، ولكنَّه كان يريد الثورة إسلامية خالصة ليس لها أي توجّه إلا الإسلام،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

(٦) المصدر السابق

فكان يقول: «إن العدل في هذه البلاد لا يمكن إرساؤه إلا باتباع القرآن»[١]، و «أن الإسلام وحده الذي يستطيع أن يبني دولة لا تعرف الاضطهاد، ولا الظلم»[٢]، كما «أن الصناعة الحديثة يجب ألا تتحول إلى صنم يعبده الناس، وأنه لا مانع من أن يصعد الإنسان على ظهر القمر، وأن يبني المفاعلات النووية، ولكن علينا رسالة يجب أن نتممها، فنحن مطالبون أن نخدم الإسلام وأن ننشر مبادءه في العالم كله»[٣] وقال عن الهوية الإسلامية الواقعة تحت التهديد الغربي الثقافي: «من جملة المخططات التي تركت ـ للأسف ـ أثرا كبيرا في مختلف البلاد وبلدنا العزيز ـ وما تزال آثارها قائمة إلى حد بعيد ـ جعل الدول المنكوبة بالاستعمار تعيش الغربة عن هويتها، لتصبح منبهرة بالغرب والشرق، بحيث إنَّها لا تقيم أي وزن لنفسها وثقافتها وقوّتها ...وتعتبر قطبي الشرق والغرب هما العنصرين المتفوّقين، وثقافتهما الاسمي ...وهما قبلة العالم، والارتباط بأحدهما من الفرائض التي لا يمكن اجتنابها، وقصة هذا الأمر المحزن طويلة.. والضربات التي تلقيناها من هؤلاء ـ وما زلنا ـ ضربات قاتلة ومدمرة»[٤].

والأدهي من ذلك أن أولئك حرصوا علي إبقاء الدول المظلومة المستعبدة متخلّفة في كلّ شيء.. ودولا استهلاكية، وخوّفونا من مظاهر تقدّمهم، وتقدّم قدراتهم الشيطانية الى حدّ كبير، بحيث لم نعد نجرأ علي المبادرة الي أي

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

إبداع، وسلمنا لهم كل شيء، وأودعناهم مصيرنا وبلادنا، وأغمضنا عيوننا وسددنا أذاننا، مطيعين للأوامر[١].

وهذا الخواء والفراغ العقلي المصطنع أوجب أن لا نعتمد على فكرنا وعلمنا في أي أمر، وأن نقلّد الشرق والغرب تقليدا أعمي، بل كان الكتّاب والخطباء الجهلة المنبهرون بالغرب والشرق ـ وما يزالون ـ ينتقدون ويسخرون من ثقافتنا وأدبنا وصناعتنا واختراعنا ـ ان كان ـ ويقللون من شأن فكرنا وامكاناتنا المحلّية، ويزرعون فيها اليأس، ويروّجون باعمالهم واقوالهم وكتاباتهم العادات والتقاليد الاجنبية، مهما كانت مبتذلة منحطة، وقد عملوا ـ وما يزالون ـ علي تسويقها بين الشعوب بالمدح والثناء، وعلي سبيل المثال :ا ذا كان في كتاب ما او مقالة او خطابة عدّة مفردات أجنبية، فانّهم يقبلونه باعجاب، دون التحقيق في محتواه، ويعتبرون الكاتب اوالخطيب عالما ومثقفا[٢].

وإذا لاحظنا من المهد الي اللحد، فكلما نراه اذ كان قد سمي بمفردة غربية او شرقية، فهو مرغوب، ويحظي بالاهتمام، ويعتبر من مظاهر التمدّن ـ اما اذا سمي باسم محلّي مما نسمي نحن ـ فهو مرفوض وقديم ومتخلف[٣]

اطفالنا اذا كانت اسماؤهم غربية فهم فخورون ... واذا كانت محلية فهم خجلون ومتخلفون... الشوارع، الازقة، المحلات، الشركات، الصيدليات، المكتبات العامّة، الأقمشة، وسائر الامتعة... كلما ينتج في الداخل، فلا بدَّ من

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

اختيار اسم أجنبي له، ليقبل الناس عليه ويرضوا به[١].

التفرنج من الرأس الى القدم، وفي كل شيء من الجلوس والقيام، وجميع مظاهر العلاقات الاجتماعية، وجميع شؤون الحياة سبب للافتخار والاعتزاز والتمدّن الرقي[٢].

وفي مقابل ذلك، فإن الآداب والتقاليد المحلية رجعيه وتخلف، وعند الابتلاء بمرض ـ ولو كان جزئيا يمكن علاجه في الداخل ـ يجب الذهاب الي الخارج، واشعار واطبائنا العلماء باليأس. الذهاب الي انجلترا وفرنسا ـ وامريكا وموسكو افتخار قيِّم، والذهاب الي الحج وسائر الاماكن المباركة رجعية وتخلف[٣].

عدم احترام ما يرتبط بالدين والمعنويات من علائم التجدد والتمدّن، وفي المقابل فان الالتزام بهذه الأمور علامة التخلّف والرجعية[٤].

لا اقول: اننا نمتلك كل شيء، فمن الواضح أنَّهم حرمونا ـ طول التاريخ غير البعيد كثيرا وخصوصا في القرون الاخيرة ـ من كلّ تقدّم، ورجال الحكم الخونة خصوصا اسرة بهلوي، ومراكز الدعاية ضد منجزاتنا والاحساس بالضعف او عقدة النقص، كل ذلك حرمنا من اية فعالية في سبيل التقدّم، واستيراد البضائع من جميع الانواع، والهاء النساء والرجال، خصوصا طبقه الشباب بانواع البضائع المستوردة، من قبيل ادوات التجميل

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

والزينة والكماليات والالعاب الصبيانية، وجرّ الاسر الي التنافس في الروح الاستهلاكية التي تبذل الجهود الكبيرة لتنميتها.. ـ ولهذا بالذات قصص محزنة ـ والهاء الشباب وجرّهم الى الفساد ـ وهم القوّة الفاعلة ـ عبر توفير مراكزالفحشاء ودور البغاء، وعشرات من هذه الأماكن[١].

تلك الرؤية للإمام الخميني جعلته يدرك أن أيّ ثورة غير إسلامية لن يكون لها النجاح، خاصَّة، وأنَّ ثورة تأميم النفط، وإن زادت من أسعاره، ولكنَّها في النهاية سجنت قائدها مصدق، وأعدمت باقي رفاقه، ثمّ كرّست الاستبداد، كما كرست النفوذ الأمريكي الصهيوني، ولذلك بدأ الإمام يرفض القوانين غير الإسلامية التي بدأ الشاة يسنّها، ومع رفض الإمام الخميني ﷺ لما يقوم به الشاة، ففي ٩ أكتوبر من عام ١٩٦٢م صادقت وزارة أسد الله علم على لائحة المجالس المحلية التي تنصّ على إلغاء مبدأ اشتراط أن يكون المرشح مسلماً، وكذلك إلغاء شرط أداء اليمين الدستورية على القرآن الكريم، وبمجرّد انتشار خبر التصديق على تلك اللائحة هبَّ الإمام الخميني ﷺ مع عدد من العلماء في قم وطهران، بعد تدارسهم للأمر، إلى إعلان معارضتهم القاطعة ضدَّ النظام الحاكم[٢]، قام الشاه في البدء إلى سياسة التهديد والتشنيع على رجال الدين، لكن لم يحل ذلك من تفاقم المعارضة، فقد عمّ الإضراب طهران، وقم وبعض المدن الأخرى، وتجمّع الناس في المساجد معلنين ولاءهم لحركة علماء

---

(١) المصدر السابق

(٢) أسيمة جانو ـ مصدر سابق

الدين، ومن ناحيته، فقد أصرّ الإمام على أن تعمل الحكومة على إعلان إلغاء اللائحة المذكورة رسمياً على الملأ[١]، وأخيراً لم يجد نظام الشاه مهرباً من الرضوخ لهذه المطالب، وبالفعل أعلنت الحكومة في ٢٨ نوفمبر من عام ١٩٦٢م رسمياً إلغاء تلك اللائحة، وأطلعت العلماء ومراجع الدين في طهران وقم على ذلك.

ومن جهة أخرى فقد أكّد الإمام الخميني ﷺ بعد اجتماعه مع علماء الدين في مدينة قم، على مواقفه السابقة موضّحاً أن إلغاء اللائحة المذكورة خلف الكواليس ليس كافياً، وأن الانتفاضة ستستمرّ حتى يتمّ الإعلان عن ذلك الإلغاء عبر وسائل الإعلام العامّة[٢].

وفعلاً قامت الحكومة في صباح اليوم التالي بنشر خبر إلغاء اللائحة المذكورة في الصحف الرسمية، وإثر هذا الانتصار الذي حققه علماء الدين والشعب المسلم شنّت السلطة الحاكمة حملة واسعة ضد علماء الدين عامّة والإمام الخميني ﷺ بوجه خاصّ، وصممّ الشاه على قمع الانتفاضة بكل ما أوتي من قوة، فقام بعض جلاوزة النظام المسلحين المتنكرين بالزى الديني والمندسين في اجتماع لطلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية في مارس من عام ١٩٦٣م الذي صادف ذكرى شهادة الإمام الصادق، بتقويض ذلك الاجتماع، ومن ثم التمهيد لقوات شرطة النظام للإغارة بوحشية على المجتمعين بالأسلحة النارية، وقد قتل وجرح العديد منهم، وفي نفس الوقت

---

(١) فريدون هوفيدا ـ سقوط الشاه ـ وهو عرض جمال حماد ـ القاهرة ـ ١٩٨٧

(٢) المصدر السابق

كانت مدرسة الطالبية الدينية في تبريز تتعرّض لهجوم مماثل[١].

وفي رسالة له في ٢ مايو من عام ١٩٦٣م بمناسبة مرور أربعين يوماً على مذبحة المدرسة الفيضية شدّد الإمام الخميني ﷺ على وقوف العلماء والشعب الإيراني إلى جانب قادة الدول الإسلامية والعربية في مواجهتهم للاحتلال الإسرائيلي، معلناً رفضه واستنكاره لاتفاقيات نظام الشاه مع الكيان الصهيوني الغاصب، ليؤكّد منذ اللحظة الأولى لانطلاق انتفاضته على الارتباط الوثيق للنهضة الإسلامية في إيران مع مصالح الأمة الإسلامية[٢].

ثورة المدرسة الفيضية

ألقى الإمام الخميني ﷺ خطابه التاريخي في المدرسة الفيضية بعد ظهر يوم عاشوراء من عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، وقد ركّز في خطابه هذا على مساوئ حكم العائلة البهلوية المالكة، وأماط اللثام عن العلاقات السرية للنظام مع إسرائيل[٣].

فكان وقع كلمات الإمام كالمطرقة على رأس الشاه الذي أصبح طغيانه وغروره مدار حديث القاصي والداني، ممّا اضطر النظام إلى إصدار أوامره بإطفاء شعلة الانتفاضة الشعبية.

فتّم إلقاء القبض على جماعة كبيرة من أتباع الإمام عشية الرابع من يونيو،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) أسيمة جانو ـ المصدر السابق

وفي فجر الخامس من يونيو اعتقل الإمام نفسه وهو قائم يصلي صلاة الليل، وتمَّ ترحيله إلى طهران ليودع في معتقل نادي الضباط، ومن ثمَّ نقِل إلى سجن «قصر» في غروب نفس اليوم[١].

وانتشر خبر اعتقال الإمام بسرعة في مدينة قم، والمناطق المحيطة بها، وتحرّكت الجموع نساءً ورجالاً من كل صوب متجهة إلى منزل قائدها وإمامها للتعبير عن تأييدها له وتضامنها معه، وكان هتافهم الرئيسي الذي دوّى في أرجاء المدينة هو «الخميني أو الموت!»، وما أن بدأت الجموع بالخروج من حرم السيدة فاطمة المعصومة، حتى تعرَّضت لإطلاق نار كثيف، واستمرَّت الاشتباكات لعدّة ساعات، وتمّ للنظام قمع الانتفاضة بلا رحمة والسيطرة على الموقف، وسارعت الشاحنات العسكرية إلى جمع جثث الشهداء والجرحى من الشوارع والأزقة حاملة إياها إلى أماكن مجهولة[٢].

وفي صبيحة الخامس من يونيو وصل خبر اعتقال الإمام إلى طهران ومشهد وشيراز وبعض المدن الأخرى التي أصبحت أوضاعها شبيهة بما هي عليه في مدينة قم، فتحرّك أهالي مدينة «ورامين» والمدن المحيطة بالعاصمة نحو طهران، وتصدّت لها الدبابات والمصفحات والقوّات العسكرية التي تمركزت عند تقاطع «ورامين» للحيلولة دون تقدّم تلك الجموع ودخولها إلى العاصمة، ممّا تسبب في استشهاد الكثير من المتظاهرين، كما تجمهر الكثير من الناس بالقرب من سوق طهران ووسط العاصمة،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

واتجهت صوب قصر الشاه هاتفة بشعار «الخميني أو الموت!»، وفي النهاية تمكّنت قوّات الجيش والشرطة من السيطرة على الموقف بعد إطلاقهم النار على الجموع بصورة مكثفة، واستخدامهم جميع الوسائل المتاحة.

وهكذا بدا أن الانتفاضة قد قمعت إثر اعتقال قائدها، والمذابح الدموية التي اقترفها النظام في الخامس من يونيو ١٩٦٣م، أما بالنسبة للإمام الخميني فقد رفض بكبرياء وشمم الإجابة عن أسئلة المحققين، مصرحاً أنه ليس للسلطة الحاكمة في إيران أو الجهاز القضائي أي شرعية أو أهلية قانونية[١].

وفي عشية السابع من أبريل عام ١٩٦٤م، أطلِق سراح الإمام الخميني ﷺ دون إشعار مسبق، ونقِل إلى مدينة «قم»، وقد عمت الفرحة إثر ذلك أرجاء المدينة وأقيمت احتفالات كبيرة في المدرسة الفيضية وفي المدينة لعدّة أيام. ولم يمض على إطلاق سراح الإمام سوى ٣ أيام حتى ألقى خطاباً ملهباً خيّب فيه آمال النظام وإعلامه، حيث شرح القائد الكبير في خطابه المذكور أبعاد انتفاضة الخامس من يونيو، مفنداً الادعاءات الكاذبة التي وردت في الصحف والتي أشارت إلى حصول تفاهم بينه وبين النظام، حيث قال[٢]:

«لقد كتبت الصحف في افتتاحياتها بأن هناك نوعاً من التفاهم قد حصل مع علماء الدين، وأن علماء الدين يؤيدون الثورة البيضاء للشاه أي ثورة؟ وأي شعب؟ لو أنَّهم وضعوا حبل المشنقة حول عنق الخميني فإنَّه لن يستكين، لا يمكن إجراء الإصلاحات على أسنة الحِراب!»

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الاعتراض على إحياء معاهدة الامتيازات الأجنبية (كابيتولاسيون)

توهّم الشاه أنَّ المذابح والاعتقالات والمحاكمات الصورية قد تقوّض من قوّة المعارضة الرئيسية، ومن هنا كان مصمماً على المضي قدماً نحو تنفيذ إصلاحاته التي كان يُمليها عليه «البيت الأبيض» في «الولايات المتحدة»، ولهذا فقد وضعت مسألة إحياء معاهدة الامتيازات الأجنبية (أي منح الحصانة السياسية والدبلوماسية للجالية الأمريكية في إيران) على رأس برنامج عمل الحكومة، وكانت مصادقة المؤسستين الصوريتين، أي البرلمان ومجلس الشيوخ على هذا القانون بمثابة القشة التي قصمت ظهر الاستقلال الإيراني الهش أساساً[١].

في هذه الأثناء، ألقى الإمام الخميني ﷺ خطابه الخالد في جموع علماء الدين وأهالي قم والمدن الأخرى في ٢٦ أكتوبر من عام ١٩٦٤م والذي صادف يوم ميلاد الشاه، إذ فضح فيه ممارسات الشاه، وكانت مناسبة لمحاكمة التدّخل غير المشروع للإدارة الأمريكية في الشؤون الإيرانية[٢].

في صبيحة ٤ نوفمبر من نفس العام أرسلت من طهران قوّة من رجال الكوماندوز المسلحين لمحاصرة منزل الإمام الخميني ﷺ في قم، وقامت باعتقاله واقتياده مباشرة إلى مطار مهرآباد في طهران ترافقه مفرزة أمنية، ثم وضِع في طائرة عسكرية وتحت حراسة مشددة متجهة به إلى العاصمة

---

(١) هيكل- المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

التركية «أنقرة». وقد استمرَّت فترة إقامته في تركية أحد عشر شهرا[١]

من تركيا إلى العراق

في ٥ أكتوبر من عام ١٩٦٥م تمّ ترحيل الإمام مع نجله آية الله الحاج مصطفى من تركيا إلى منفاه الثاني العراق، وخلافاً لتصوّرات نظام الشاه، فقد كان الترحيب الكبير الذي لقيه الإمام من قبل طلاب الحوزة الدينية والجماهير في العراق، رسالة واضحة بأن انتفاضة الخامس من حزيران كان لها صدى كبير في العراق وفي النجف الأشرف كذلك.

بدأ الإمام الخميني ﷺ بإلقاء سلسلة دروس الفقه مرحلة الخارج (المرحلة العليا) في مسجد الشيخ الأنصاري(رحمه الله) في أكتوبر من عام ١٩٦٥م، واستمرَّ على ذلك حتى رحلته إلى باريس، بدأ الإمام بإلقاء دروسه حول الحكومة الإسلامية (أو ولاية الفقيه) في فبراير من عام ١٩٦٩م[٢]، وجمعت هذه الدروس في كتاب واحد صدر تحت عنوان(ولاية الفقيه) أو (الحكومة الإسلامية) وقد نشر هذا الكتاب في إيران والعراق ولبنان، ووُزّع في موسم الحجّ أيضاً، وكان له أثر كبير في تجديد روح الجهاد والمقاومة.

تجدر الإشارة إلى أن الإمام الخميني ﷺ طيلة سنوات النفي لم يتوقف عن مواصلة الجهاد لحظة واحدة، بالرغم من الصعاب التي واجهته، وكانت

---

(١) المصدر السابق

(٢)المصدر السابق، ويلاحظ في فتوى الإمام بتحريم استهلاك السلع والبضائع الإسرائيلية أنه لم يعط الأولوية إلا للإسلام بصورة عامة دون النظر للمذهب، ولذلك فإن الفتوى كانت من ضمن أدبيات الثورة .

خطاباته ونداءاته تحيي في القلوب الأمل بالنصر.

في فتوى له بمناسبة حرب الأيام الستة بين العرب وإسرائيل في يونيو عام ١٩٦٧م حرّم أي علاقات تجارية أو سياسية للدول الإسلامية مع إسرائيل، وكذلك حرّم استهلاك البضائع والمنتجات الإسرائيلية من قبل الشعوب الإسلامية[١].

مواصلة الجهاد

في نهاية مارس ١٩٧٥م وصل استبداد الشاه إلى القمة وذلك من خلال تأسيسه لحزب «رستاخيز»[٢] وفرض نظام الحزب الواحد، حيث صرّح في خطاب له عبر التلفزيون أن على جميع أفراد الشعب الإيراني الدخول في الحزب المذكور، وعلى من يرفض هذا الأمر تسليم جواز سفره والخروج من البلاد، وفور ذلك أصدر الإمام الخميني ﷺ فتواه التي جاء فيها: «نظراً لمخالفة هذا الحزب المبادئ الإسلامية ومصالح الشعب الإيراني المسلم، فإن الانتماء إليه حرام على جميع أفراد الشعب، وهو يُعدّ إعانة للظلم واستئصالاً لشأفة المسلمين، وأن مقاومته من أوضح مصاديق النهي عن المنكر»[٣]

وكان لفتوى الإمام الخميني ﷺ وبعض العلماء الآخرين أثرها الكبير

---

(١) سامي ناصر الخالدي. الأحزاب الإسلامية في الكويت. ١٩٩٩. صـ ٨٢، وهو للمزيد من أدبيات الثورة، وما تلاها من عودة الإمام مظفرا لقيادة الثورة والدولة

(٢) أسيمة جانو في المصدر السابق

(٣) فريدون هوفيدا. المصدر السابق

والفعّال، فقد أعلن نظام الشاه رسمياً عن فشل سياسة حزب «رستاخيز»، ومن ثمَّ حلّه، وذلك بعد بضع سنوات من تأسيسه على الرغم من الدعاية الإعلامية التي سخرتها له أجهزة النظام.

وانتفضت جماهير طلبة الحوزة مرّة أخرى عام ١٩٧٥م في المدرسة الفيضية خلال الذكرى السنوية لانتفاضة الخامس من يونيو، واستمرَّت الهتافات التي أطلقتها تلك الجماهير «عاش الخميني» و «الموت للعائلة المالكة» مدّة يومين متتاليين، فكانت تلك صدمة كبيرة للشاه وجهاز أمنه «السافاك»، فقامت قوات الشرطة إثر ذلك بمحاصرة المدرسة والهجوم على طلبة العلوم الدينية بوحشية وضراوة، حيث تعرّضوا للضرب والإهانة، ثم زجّ بهم في السجون. واستمراراً لنهجه العدواني في استئصال الدين، أقدم الشاه في مارس من عام١٩٧٦م على خطوة تمثّلت بتغيير التقويم الرسمي للبلاد الذي يعتمد هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم إلى التقويم الإمبراطوري الذي يبدأ بحكم الملوك الحاخامنشيين[١]، وردّ الإمام بقوّة على ذلك من خلال إصداره لفتوى تقضي بتحريم استخدام التقويم الإمبراطوري المفروض، ورّحب الشعب الإيراني بهذه الفتوى كما فعل في السابق مع فتوى تحريم الانتماء إلى حزب «رستاخيز»، فكانت القضيتان بمثابة فضيحة ووصمة عار لنظام الشاه، ممّا اضطره إلى العدول عن استخدام التقويم الإمبراطوري عام ١٩٧٨م[٢].

---

(١) المصدر السابق

(٢) أسيمة جانو ـ المصدر السابق

تصاعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٧م

شكل استشهاد آية الله الحاج مصطفى الخميني في ٢٣ أكتوبر عام ١٩٧٧م، ومجالس الفاتحة المهيبة التي أقيمت على روحه في إيران نقطة انطلاق لانتفاضة جديدة للحوزات العلمية والشعب الإيراني المؤمن، وقد اعتبر الإمام الخميني ﷺ هذه المسألة آنذاك من «الألطاف الإلهية»، بعد ذلك نشرت أجهزة النظام مقالة مسيئة للإمام الخميني في صحيفة «اطلاعات» ظناً منها أنَّها تنتقم منه[1].

وفي معرض الاعتراض على المقالة المذكورة تفجّرت في التاسع من يناير عام ١٩٧٧م انتفاضة شعبية راح ضحيتها عدد من طلبة العلوم الدينية الثائرين والأهالي، وأدّت مراسم العزاء التي أقيمت لإحياء ذكرى الشهداء الذين سقطوا في الانتفاضة المذكورة في مراسم اليوم الثالث واليوم السابع ومراسم الأربعين إلى تفجّر انتفاضات متتالية في مدن تبريز ويزد وأصفهان وطهران.

الرحلة من العراق إلى باريس

في اللقاء الذي تمَّ في نيويورك وضمَّ وزيري خارجية إيران والعراق، اتفق الطرفان على إخراج الإمام من العراق، وعلى أثر ذلك حوصر منزل الإمام في النجف الأشرف من قبل القوّات البعثية في العراق وذلك في ٢٤ سبتمبر عام ١٩٧٨م، حيث عقد مدير الأمن العراقي جلسة مع الإمام ذكّره

---

(١) إيران على أعتاب عام ٢٠٠٠ ـ من إصدارات دائرة الشؤون الثقافية للإيرانيين بالخارج ـ طهران

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران ۱۳۷۴

فيها بأن بقاءه في العراق مرهون بتخليه عن الجهاد والكفِّ عن الخوض في المسائل السياسية، فكان ردّ الإمام حازماً حين قال: إنَّه ولعِظم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه الأمة الإسلامية، غير مستعد للسكوت أو المساومة.

فغادر الإمام الخميني ﷺ النجف الأشرف في ٤ أكتوبر من نفس العام متَّجهاً نحو الحدود الكويتية، لكنَّ الحكومة الكويتية امتنعت عن استقباله، وذلك بتوصية من النظام الإيراني.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه كان في النية أن يتوجَّه الإمام إلى لبنان أو سورية، لكنه وبعد التشاور مع نجله المرحوم حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد أحمد الخميني، قرر التوجَّه إلى باريس، وفعلاً حطّ الإمام رحاله بباريس في السادس من أكتوبر، وبعد يومين نزل في بيت أحد الإيرانيين في ضاحية نوفل لو شاتو الباريسية.

خلال ٤ أشهر من إقامة الإمام في نوفل لوشاتو، أضحت هذه المدينة أهمّ المراكز الإعلامية العالمية، وكانت تبثّ مقابلاته الصحفية ولقاءاته المختلفة، ووجهات نظره حول الحكومة الإسلامية، وأهداف الثورة المستقبلية، وبهذه الطريقة اطَّلع عدد أكبر من شعوب العالم على فِكر الإمام وثورته، ومن هذا المكان تولّى الإمام، وفي أحلك الظروف قيادة الثورة في إيران. في يناير عام ١٩٧٩م شكّل الإمام مجلس الثورة، في هذه الأثناء فرّ الشاه من البلاد، وذلك بعد أن تشكّل مجلس الوصاية على العرش، ونالت وزارة بختيار الثقة، وذلك في ١٦ يناير ١٩٧٩م.

انتشر خبر فرار الشاه في طهران، وباقي المدن الإيرانية، ونزل الناس إلى الشوارع للتعبير عن فرحتهم وابتهاجهم بهذا الخبر.

العَودة إلى الوطن

في أوائل فبراير عام ١٩٧٩م انتشر في الآفاق قرار عودة الإمام إلى أرض الوطن، وبالرغم من الانتظار الطويل الذي دام ١٤ عاماً، ظلَّ هاجس الحفاظ على سلامته يشغل أذهان الشعب ورفاقه، وذلك لأنَّ الحكومة التي فرضها الشاه كانت ما تزال تسيطر على المراكز الحساسة والمطارات في البلاد، وكانت الأحكام العرفية لا تزال سارية، لكنَّ الإمام كان قد اتخذ قراره، موضحاً لشعبه في بياناته عن رغبته في التواجد بين صفوف الشعب الإيراني في هذه الظروف العصيبة والمصيرية.

وأخيراً، وطأ الإمام أرض الوطن في صبيحة اليوم الأول من فبراير عام ١٩٧٩م بعد غياب دام ١٤ عاماً، وكان الاستقبال الذي حظي به الإمام من قبل الشعب الإيراني عظيماً ورائعاً، لدرجة اضطرت معه وكالات الأنباء الغربية إلى الاعتراف بأن عدد الذين خرجوا لاستقبال الإمام تراوح بين ٤ ـ ٦ ملايين شخص[١].

وتدفقت الجموع من المطار إلى «بهشت زهرا» مقبرة شهداء الثورة الإسلامية للاستماع إلى الخطاب التاريخي للإمام، في هذا الخطاب دوت مقولة الإمام الشهيرة: «سأشكّل الحكومة! سأشكّل الحكومة بمؤازرة الشعب!»، في البداية لم يعبأ شاهبور بختيار بهذه المقولة، لكن لم تمض إلا أيام قلائل حتى أعلن الإمام عن تعيين رئيس لحكومة الثورة المؤقتة، وذلك في الخامس من فبراير ١٩٧٩م.

---

(١) المصدر السابق

في الثامن من فبراير عام ١٩٧٩م قامت عناصر من القوّة الجوية بزيارة الإمام الخميني ﷺ في مقرّ إقامته في مدرسة علوي في طهران، وأعلنت عن ولائها التامّ له.

في هذه الأثناء كان الجيش الشاهنشاهي يوشك على الانهيار التامّ، حيث شهد حالات فرار وتمرّد العديد من الجنود والمراتب المؤمنين، وذلك امتثالاً منهم لفتوى الإمام الخميني ﷺ في ترك ثكناتهم والانضمام إلى صفوف الشعب.

في التاسع من فبراير انتفض الطيارون في أهمّ قاعدة جوية في طهران، فأرسلت قوّة من الحرس الإمبراطوري لمواجهتهم وقمعهم، فانضمَّ الناس إلى صفوف الثوّار لدعمهم ومساندتهم.

في العاشر من فبراير سقطت مراكز الشرطة والدوائر الحكومية الواحدة تلو الأخرى بيد الشعب، وهكذا تمَّ دحر نظام الشاه، وأشرقت ـ في صباح يوم ١١ فبراير ـ شمس الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني ﷺ، وأسدل الستار على آخر فصل من فصول الحكم الملكي السحيق المستبد.

في عام ١٩٧٩م صوّت الشعب لصالح استقرار النظام الجمهوري الإسلامي، وذلك في أنزه استفتاء شهدته إيران، حتى ذلك التاريخ، ثمّ تبعتها انتخابات تدوين الدستور والمصادقة عليه، ثم انتخاب نواب مجلس الشورى الإسلامي.

كان الإمام يلقي الخطب والبيانات يومياً في مقرّ إقامته، وفي المدرسة الفيضية على الآلاف من محبيه، وذلك لتهيئة الأجواء لتدعيم أركان النظام الإسلامي، وبيان أهداف الحكومة الإسلامية وأولوياتها، وتشجيعهم على

تسجيل حضور فاعل في جميع الميادين.

وبذلك فقد انتصرت الثورة على كل القوى المتربصة بالإسلام وإيران، وكانت مفاجأة للعالم بأسره، وكانت المفاجأة للدولة الأمريكية وللصهيونية العالمية أكبر وأنكى، ومن ثمّ تحالفت قوى الشر على الثورة.

حرب الثمان سنوات الظالمة

بعد فشل الإدارة الأمريكية في إسقاط الحكم الإسلامي الفتي من خلال ممارسة الحصار الاقتصادي والسياسي ضدَّ هذا النظام، وهزيمتها في العملية العسكرية في صحراء طبس إثر الاستيلاء على وكر التجسس «السفارة الأمريكية» في إيران، والفشل الذريع الذي واجه مخطط تقسيم كردستان، استقرّ رأي الإدارة الأمريكية أخيراً في عام ١٩٨٠م على خيار إشعال فتيل الحرب الشاملة على نظام الجمهورية الإسلامية.

شنّ الجيش العراقي عدوانه العسكري الواسع في ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠م، في نفس الوقت الذي كانت فيه الطائرات الحربية العراقية تغير على مطار طهران، وبعض المناطق الأخرى، في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم المذكور، وتمكّنت الآلة العسكرية لنظام صدام من التوغّل عشرات الكيلومترات داخل الأراضي الإيرانية، واحتلال مساحات شاسعة في خمس محافظات إيرانية.

لكنَّ الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني ﷺ استبسل في التصدّي للعدوان، واستطاع بعد سلسلة من العمليات العسكرية الجريئة مثل عمليات ثامن الأئمة، وطريق القدس، والفتح المبين، وبيت المقدس،

والفجر وغيرها من طرد العدو من الأراضي الإيرانية، وقد قدم في هذا الطريق كوكبة من الشهداء، حتى تمكّن من تسجيل سطور مضيئة وخالدة أخرى في سجله الحافل، ولم يفلح المعتدون بالوصول إلى أيٍّ هدف من أهدافهم.

أسباب نجاح ثورة الإيمان

بعد انتصار الثورة أدرك العالم أنّها ثورة كلمة بكل المقاييس، وكتب عنها الكثيرون بالتحليل والعمل على الخروج بتفسير لما حدث، ولو استعرضنا ما كتب عن الثورة لاحتجنا لمجلدات، ونكتفي ببعض ذلك، قال الكاتب أنيس منصور في جريدة الأهرام المصرية: لقد ظنَّ الناس أن شاة إيران يريد أن يجرَّ شعبه إلى القرن العشرين، وأنَّ الإمام الخميني ﷺ يريد أن يجرَّ إيران إلى القرن الأوّل للهجرة، وكأن الإسلام دين تخلّف أو أنَّه يدعو إلى التخلّف، لكنّ ثورة إيران نبّهت المسلمين وغيرهم إلى أن الدين الإسلامي ما يزال حيّاً شاب.... ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك في الحياة الدينية.. ولكن من المؤكّد أنَّ هناك شيئا واحدا صحيحا، أن الإسلام أكثر حيوية من المسلمين، وأقدر على التحديات، وعلى إصلاح الفساد، وأن التطبيق المحكم للإسلام قادر على حلّ مشاكل الناس[1]، وقال الكاتب الصحفي الألماني د. بيتر شول في كتابه «إن الله مع الصابرين»: «ربما كانت هذه الثورة هي واحدة من أهم الثورات في العالم ومن أكثر الثورات تميّزاً، بل ربّما متفرّدة عن

(١) من مقالات أنيس منصور في جريدة الأهرام المصرية بعد نجاح الثورة عام ١٩٧٩

الثورت الأخرى، وذلك أنَّها تستمدّ قوتها من دافعها، وهو الإيمان الذي يشكّل أغرب رأس حربة على مدى التاريخ»[١]، وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمّة جدّاً في أسباب نجاح الثورة وهي[٢]: أن جميع الأساليب التي استخدمت ضد الثورات والانتفاضات والتي أدّت إلى قمعها أخيرا، وإلى السيطرة على الوضع العامّ، قد جرّبت كلّها ضدّ هذا التحرّك الجماهيري لكنّها باءت بالفشل ومن هذه الأساليب: سياسة القمع والقتل العشوائي، وكذلك الأساليب الإصلاحية في تغيير الحكومة، وإعطاء الفرصة لبعض الأجنحة المعارضة التي تعترف بشرعية السلطة الحاكمة، وتمكينها من الوصول إلي الحكم، ورغم كل هذا فإن الذي حدث في إيران هو العكس تماما، فكلّما كان يزداد ضغط السلطة الحاكمة وقمعها للجماهير كانت تزداد مسيرة الثورة صلابة، وتتسع قاعدتها الجماهيرية، ممَّا أصاب عملاء السلطة بالاضطراب والخوف أكثر فأكثر، وكأن ما حدث هو حلول روح جديد في جسد المجتمع الإيراني، وبدأت تسري هذه الروح في كُلّ مكان، وتعمّ كلَّ طبقات الشعب شيئا فشيئا، حتى وصلت إلي أقصي قرية في إيران، بل وترك أثره حتى الى أعضاء العائلة الحاكمة والمقربين منها.

إن هذا الطوفان لم يستطيع أي شيء أن يقف أمامه، أو أن يقاومه ويواجه حركته، وأنَّ هذا الروح (روح الثورة) قد حيّر بسرعته وقوّته الجميع.

وإذا كنا قد رأينا أنّ هناك ظواهر متشابهة في بعض الثورات إلا أنَّ الذي

---

(١) نقلا عن كتاب أسيمة جانو ـ المصر السابق

(٢) إيران على أعتاب عام ٢٠٠٠ ـ المصدر السابق

حدث في إيران يختلف كثيرا عن تلك الثورات، إنها حالة معنوية اندمجت مع روح الثورة، وأحسَّ بها جميع الشعب[١].

وكان الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو قد أطلق على ذلك اسم (ثورة الروح في عالم بلا روح)[٢]، وعبَّر عن الثورة بأنَّها أوّل ثورة جديدة في العالم، وأنَّها فريدة من نوعها.

وفي الواقع فإن هذا التحرّك الجماهيري كان مظهرا للجهود التي بذلت من أجل الحصول على جواب معنوي للظواهر المنحطَّة التي كان النظام المتسلّط يروّج لها، والتي أضحت بعد ذلك ناقوس خطر عليه.

لقد سيطر على شاه إيران الغرور نتيجة امتلاكه للعوائد النفطية الضخمة، واحتلال الجيش الإيراني لمكانة ومرتبة عالية بين جيوش العالم، وتمكّنه من قمع جميع المعارضين الذين ينتهجون الطريقة المسلحة في مواجهة النظام، والتي انتهجتها مجاميع مسلحة صغيرة ومتنوّرة، وكذلك تمتعه بالدعم العالمي كل ذلك جعله يعيش حالة من الغرور والخيلاء أدّى به إلى أن يصرخ (أنا الحكومة والحكومة أنا)[٣].

كان شاه إيران يظنُّ أن الحفاظ على السلطة واستتباب الأمر له مرتبطان بالقوى الأجنبية، وكان يشعر أنه قد انتهج دبلوماسية ناجحة وموفّقة، وأن إيران بالرغم من الحرب الباردة التى كانت قائمة بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي آنذاك، هي البلد الوحيد الذي استطاع أن يمتلك علاقة

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

وطيدة مع دول المعسكر الشرقي، مع ولائها وتأييدها للمعسكر الغربي، في أن واحد[١].

إن هذه الأمور قد أعطته قدرا من الاطمئنان بأنَّ أي حدث لا يستطيع أن يؤثّر عليه، ويسلب السلطنة منه، وكان غافلا عمَّا يخبؤه له القدر واقترب موعد أجله المحتوم، وبدأت بوادر وآثار الأزمة بالظهور شيئا فشيئا، ولكنَّ مشكلة الطغاة الكبرى هي أنَّهم لا يستطيعون أن ينظروا إلى الأحداث الاجتماعية نظرة ثاقبة.

وبقي الشاه هكذا جاهلا ببوادر الإعصار الكبير الذي سيقع لاحقا. وحتى عندما وجَّه بيانا إلى الشعب، كان بيانه بعد فوات الأوان وجاء فيه: (أنني سمعت رسالة ثورتكم)[٢] وأعقبها بالإعلان عن تسليم الأمور الحكومة العسكرية، وحتى ذلك الوقت لم يدرك عمق هذه الرسالة، كان المجتمع الإيراني في ظل نظام الشاه مبتلي بثلاث أزمات[٣].

الأزمة الأولى: أزمة العدالة والتي ترتبط بالوضع المعيشي للشعب، والمشاكل الاجتماعية التي كان يعاني منها، فبالرغم من ازدياد العوائد النفطية عام ١٩٧٣ وتحسين الوضع الاقتصادي العام إلا أن هذه العوائد لم تكن توزّع بشكل عادل بين أبناء الشعب، مما ترك أثرا كبيرا على الناس الذين يعيشون في ضواحي المدن، وفي القرى بصورة عامّة، وجعلهم في وضع سيء نظرا لعدم تمتعهم بالإمكانات والخدمات والرفاهية. وبغض النظر عن ذلك

---

(١) المصدر السابق

(٢) فهوي هويدي- إيران من الداخل- مصدر سابق

(٣) إيران على أعتاي عام ٢٠٠٠

فإن التمايز الاجتماعي كان عاملا إضافيا أدّى إلي كشف انحطاط النظام أمام أنظار الرأي العام في إيران. الأزمة الثانية: أزمة المشاركة، إذ إن المجتمع الإيراني وخاصة التركيبة الاجتماعية للمدن قد شهدت تغييرات أساسية من حيث الوضع الاجتماعي، إذ أن المظاهر الاقتصادية انتقلت من مرحلة الطراز الكلاسيكي الإقطاعي إلي مرحلة الطراز الرأسمالي داخل هذا المجتمع، حيث حصلت الهجرة المستمرّة لسكان القرى والأرياف إلى المدن، ونموّ وازدياد عدد السكان فيها، وانتقال عملية استثمار رؤوس الأموال من القطّاع الزراعي إلي القطاع الصناعي، والخدمات التجارية، وكذلك نموّ نظام التعليم العالمي وازدياد عدد الأفراد المتعلّمين، وانتشار الوعي الاجتماعي والسياسي، عن طريق القيام بالنشاط الديني والوطني من خلال الاتحادات والنقابات الاجتماعية والمراكز الأخرى، كالجامعات والمساجد، واتساع الاتصالات، ووسائل الإعلام، كل هذا أدّى إلى توسع ونموّ أساسي داخل المجتمع للقيام بدور فعّال في تقرير مصيره بنفسه، ولكن النظام الشاهنشاهي البائد ونتيجة لحالة الحذر والترقّب والتوجّس من الشعب لم يكن يملك القدرة على إيجاد أي تغيير في انتهاج أساليب أو استخدام آليات تلبّي هذه الاحتياجات الاجتماعية[1].

لقد كان الشاه كغيره من الطغاة يعتقد أن أرض إيران ملك له، وتخصّه هو وحسب، ويحمل (نظرة النظام الإقطاعي)، وأنَّ الناس كلَّهم خدم له، ولهذا كان يرفض أي شكل من أشكال المشاركة الشعبية في مراكز اتخاذ القرار

---

(١) المصدر السابق

حتى الدنيا منها، وحتى ولو كان قبوله على سبيل التضليل وخداع الناس لفترة من الزمن[١]، ولم يطلق مشاركة أبناء الشعب عبر الانضمام إلي الاتحادات والجمعيات في المدن والقرى والمحافظات، بل ولم يكن يتحمّل حتى المسرحية التى أعدّت سلفا من أجل إنشاء حزب للأكثرية وحزب للأقلية، بل تدخّل في الأمر، وأمر بضرورة الاعتماد على تشكيلة الحزب الواحد، من دون أن يبني الهيكلية القوية والمتينة لتطبيق الحزب الواحد[٢].

وبذلك فإن النظام العنيد سلب جميع صلاحيات اتخاذ القرار حتى من العناصر والمسئولين الأوفياء والمخلصين له، وكان الشاه يتدخّل حتى في أصغر الأمور، ولذا فإن سير العمل في الدوائر الحكومية كان يستغرق زمنا طويلا نتيجة الروتين الإداري المفرط،، والذي أدّى إلي امتعاض أبناء الشعب شيئا فشيئا[٣].

الأزمة الثالثة: الأزمة الأخلاقية والمعنوية، وأدّى استفحال هذه الأزمة إلي تساؤل أبناء الشعب الإيراني عن مدي سلامة الأسس التي ابتنى عليها النظام، وبالتالي مدي مشروعية هذا النظام؟

وكان الشاه يبذل جهدا كبيرة لتغيير الأسس والقيم الأخلاقية القائمة في المجتمع الإيراني، وكان يقصد من وراء ذلك القضاء على العادات والتقاليد والأصول الدينية التي يؤمن بها هذا المجتمع، ممّا يؤدي إلى زوال القيم والقضاء عليها، وبذلك يبدأ أفراد المجتمع في اللهاث وراء مراكز السلطنة،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

والسعي للالتفاف حول بعض الشخصيات التي لها ثقل اجتماعي[١].

ومن جهة أخرى فإن القوى العقائدية المعارضة للشاه ونظامه، والتي رفضت هذه المظاهر، بدأت بتنظيم نفسها، فنحن نلاحظ أن المجتمع الذي تضعف فيه القيم الأخلاقية وتسيطر عليه النزعة الفردية والفئوية يفكّر أفراده بمصالحهم الشخصية فقط، ولا يعيرون أي اهتمام للقضايا العامّة داخل المجتمع، كان النظام الشاهنشاهي البغيض يشجّع هذه الفكرة، ويدعو إلي تقوقع تفكير الإنسان داخل نطاق حياته الخاصّة، ويؤدّي بعد ذلك إلي انعزال الناس وابتعادهم عن بعضهم بعضا[٢].

وبالتالي يكون الوضع العام متوترا وقلقا، إذ أنَّ كل شخص يبقي في حالة توجّس وخوف من تردي مستواه المعيشي في المجتمع ويسعي إلي تحسين وضعه الشخصي.

وفي ظل الحكومات المتسلّطة والدكتاتورية، يبقي الحرص على تحقيق الربح، والرغبة في الانخراط بالأعمال التى تجلب مزيدا من المال، وحيازة المال بأية وسيلة، والتعلّق الشديد بامتلاك حياة مادية مرفهة من الأمنيات التي تراود أذهان الطبقات الاجتماعية المختلفة، ومن البديهي في ظلّ هذا الوضع أن يلجأ النظام ـ في سبيل ضمان وتعزيز سلطته ـ إلى التقليل من قيمة المظاهر الأخلاقية التي يؤمن بها المجتمع، ويحاول أن يبعد المجتمع من التفكير بشؤونه المهمة[٣].

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) أسيمة جانو ـ المصدر السابق

إن التسلط الفردي في العلاقات الاجتماعية كان منشؤه تقليد المظاهر السلبية الغربية، وقد واجه هذا الأمر مقاومة شديدة من البنية الاجتماعية الإيرانية، حيث رأينا أن المجتمع الإيراني ظلَّ محافظاً على أواصر التعاون والقيم الإنسانية والميل الفطري نحو الحرية والانعتاق والسعي للتزوّد بالكمالات المعنوية للوصول إلى الفوز والفلاح[١].

لقد واجه الشعب الإيراني ثلاث أزمات مريرة، وعندها لم ير من نظام الشاه أذنا صاغية، ولا جوابا مقنعا وشافيا ويئس من الجواب، اتجه صوب شخص قد شخّص هذه الأزمات الثلاث وطريقة حلّها قبل ١٥ عاما، حيث قام الإمام الخميني ﷺ بشرح أبعاد هذه الأزمات وتأثيرها منذ عام (١٩٦٢) وحتى عام (١٩٦٤)، وبالرغم من قمع السلطة لكلّ تحرّك وانتفاضة خلال تلك السنين، فإن الشعب أدرك أن أحاديث وكلام الإمام الخميني ﷺ تستند بشكل واضح إلي الواقع والحقيقة، وتأكّد من صدق القيادة وقوّة شخصيتها وثقتها في مواجهة الشاه، لاجل أيجاد حلٍّ للمشاكل الموجودة في حينها[٢].

إن الشعب الإيراني ـ وكما هو معروف ـ لا يعطى الثقة لأي قيادة سياسية بشكل متسرّع دون تأمل ودراسة وتريّث، وإذا وصل إلى قناعة كاملة بقيادة ما، وآمن بها، فإنّه ينقاد إليها بقوّة ويضحّي ويبذل الغالي والنفيس من أجلها.

لقد استطاع الإمام الخميني ﷺ أن يجيب عن التساؤلات المطروحة،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

ويبين الأسلوب الأمثل لحلّ هذه الأزمات، والشعب بدوره كان يتفاعل مع القيادة، في سعيها، وأن الأجوبة هذه استطاعت أن تعيّن الخطوط العامّة لمسيرة الثورة حتى الوقت الحاضر مرورا بمرحلة الانتصار المراحل الأخرى، وبذلك ضمنت للثورة استمرارها وديمومتها.

لقد واجه الإمام الخميني ﷺ الأزمة الأولي بطرحة لنظرية وراثة المستضعفين وأهميتهم، وهي نظرية مستنبطة من القرآن الكريم، فهذا الكتاب السماوي قد حثَّ المسلمين على ضرورة الاهتمام بهذه الطبقة المحرومة، وأشار إلى سيادتهم على الأرض وقيادتهم للمجتمع البشري في نهاية المطاف[1].

ولقد أبدي الإمام الخميني ﷺ ـ وخلافا لكثير من السياسيين النفعيين في العالم المعاصر ـ التزامه بهذه الفكرة من خلال السيرة العملية له في حياته، حيث نرى أنَّ مستوي معيشته وكيفية حياته قد اتسمت بالزهد والبعد عن الترف والكماليات ومراعاة جانب الاقتصاد في حياته ومعيشته، وأنَّ هذا الأمر قد أبهر وحيَّر وسائل الإعلام والمراقبين الأجانب، وأن ابتعاده عن الاهتمام بالجوانب المادية أدّى إلى ازدياد سلطته الروحية وتأثير كلامه ونفوذه في القلوب، وكان الجميع على يقين من أن اهتمامه برفع المستوي المعيشي للمحرومين لم يكن ادّعاءا صرفا بجانب الحقيقة والواقع، وقد اهتم الإمام الخميني ﷺ بذلك حتّي آخر أيام حياته.

أمّا فيما يتعلّق بتعامل الإمام الخميني ﷺ مع الأزمة الثانية وإيجاد الحلّ لها،

---

(١) المصدر السابق

فقد كان ينظر بدقة إلى ما يفعله الشعب، حيث كان رأي الشعب ـ في نظره ـ هو المعيار، وأنَّ هذا الاهتمام من قبل سماحته كان جوابا ديمقراطيا واضحا لما حدث في إيران، ولهذا فقد سجّل التاريخ أن أكبر ثورة شعبية في العالم قد حدثت في شهر شباط عام ١٩٧٩م[١].

إنَّ جميع المراقبين والمحللين السياسيين سواء كانوا من المؤيدين أم المعارضين قد اتفقوا على أنه لم تحدث ثورة لحد الآن بهذا الحكم من التعبئة والمساحة الواسعة.

إن الثورة هنا لا تختصّ بمجموعات معيّنة، ولا تختصّ بمجاميع النخبة والطبقة المثقفة والمنظمات المسلحة، بل هي لمختلف الطبقات والشرائح من أبناء الشعب الإيراني الذين دعاهم قائدهم إلى فطرتهم السليمة، وهم بدورهم قد استجابوا لهذه القيادة، فمشاركة الشعب الجماعية لم تكن في إسقاط أسس النظام البائد فقط، بل شارك الشعب أيضا في تحمّل الضغوط والأزمات السياسية التى تعرّض لها النظام الثوري الإسلامي الجديد، وبحضور هذا الشعب المستمر والدائم في الساحة السياسية أمكن التغلّب جميع المؤامرات التى حيكت ضدَّ هذه الثورة الفتية[٢].

إضافة إلى ذلك وخلافا لباقي الثورات فإن جميع الشؤون المرتبطة بتعيين الخطوط العامة للنظام الجديد قد أوكلها الإمام الخميني ﷺ إلى الانتخابات العامّة ورأى الشعب، بينما تري في بقية الثورات أنَّ هذا الأمر المهمّ تقوم به

---

(١) المصدر السابق

(٢) إيران على أعتاب عام ٢٠٠٠ ـ المصدر السابق

لجان شعبية في البلدان التي يجري فيها تغيير النظم الحاكمة، ومجيء نظم جديدة عن طريق الثورات الشعبية، ولكننا رأينا أن الإمام الخميني ﷺ رفض جميع الاقتراحات والتوصيات التي قُدّمت له حتى من أصدقائه ورفاقه والثوار المقرَّبين منه من أجل غضّ النظر عن إجراء انتخابات شعبية، وكانوا يقترحون عليه ضرورة القيام بإدارة البلد من قبله وبشكل مباشر، ولكنّه كان يعتقد أن الشعب يجب أن يقرر مصيره بنفسه، ولذا سارع إلى بناء المؤسسات الثورية، وإشراك أبناء الشعب في هذه المؤسسات، وهذه الخصيصة هي ميزة أخرى تميّزت بها هذه الثورة عن باقي الثورات[1].

إنَّ المصادقة على الدستور، وإجراء الانتخابات العامّة لاختيار أعضاء مجلس الشورى الإسلامي، وانتخابات رئاسة الجمهورية بصورة مباشرة، وانتخاب القيادة بشكل غير مباشر عن طريق مجلس الخبراء، كانت من الأمور المهمّة التي قامت بها هذه المؤسسات.

أمَّا معالجة الأزمة الثالثة: والتي أعطت الثورة معنى متميّزاً وبارزاً، فكان من خلال جواب الإمام والثورة لهذه الأزمة جوابا معنويا.

وهذا الجواب المعنوي هو الذي حيّر جميع الطبقات المثقفة في العالم الإسلامي، وفي العالم الغربي، وجعلها تعيش في دهشة كبيرة، لأنَّ هذه الطبقات المثقفة كانت تعتقد أن العصرنة والتحديث قد وصلا إلى طريق مسدود في حَلِّ المشاكل الموجودة، ولم يبق بصيص أمل في ذلك، وأن المدينة الفاضلة التي وعدوا بها، وذلك بأن يعيش فيها الإنسان السعيد والعصري

---

(١) المصدر السابق

ليس فقط لم تتحقق فحسب، بل أن التطوَّر الحالي الذي تشهده المدينة والحضارة البشرية جعل الإنسان يعيش في ضيق شديد، وأن النمط الذي يفكّر به هؤلاء الناس (الطبقة المثقفة) بعيد جداً عن الواقع والحقيقة[١].

لقد كانت حاجة الأمة إلي الجانب المعنوي حاجة ماسَّة وضرورية، كي تعطي جواباً وحلًّا جذريا لهذه الأزمة، وتغيّر مسيرة حياة الإنسان وتحوّلها إلي حياة ذات مغزى ومعنى آخر، وتخرج هذا المسكين (الإنسان) من صحراء التيه التي كان يعيش فيها إلى حياة هادفة.

وأنَّ طبيعة تعامل الشعب مع هذه الحركة المعنوية والتأثير الإيجابي للجانب العقائدي داخل المجتمع كان بمثابة المقدّمة والخطوة الأولي لحصول أبناء الشعب على جواب هذه الأزمة ممّا جعلته يعيش التفاعل المعنوي مع هذا الجواب، والحلّ، وأن هذا الأمر كان يبشّرُ المسلمين والبشرية جميعا ببداية عهد جديد وواعد[٢].

ولهذا نري أن المحللين السياسيين أطلقوا على هذه الثورة المعنوية اسم (الثورة الإلهية)[٣]، حيث كان السلوك الشعبي والجماعي في إدارة شؤون الدولة والدفاع عن الثورة قد شهد سموّاً معنويا وتكاتفا شعبيا رائعا بعيدا عن روح الأنانية، وضيق الأفق، بشكل جعل الشعور بالمسؤولية في سبيل حفظ الثورة مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع، وذلك بعد أن غلت نار الثورة المقدسة في نفوسهم إلى درجة اعتقدوا معها أنَّهم يستطيعون أن يغيّروا

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

ويوجهوا عجلة التاريخ الوجهة التي يريدون، وبعد كلّ ذلك شعروا أن لحياتهم طعما آخر، يختلف عمّا كان موجودا في السابق[١].

ما بعد نجاح الثورة

لقد أخذت الشخصية الإنسانية الكثير من العامل المعنوي للثورة الإسلامية وخطابها المعنوي في عالم السياسة كان تأكيدا على وجود الجذور الأخلاقية في هذا العالم، وتأكيدا على أهمية القيم والمعايير الأخلاقية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

كانت تلك بعض خصائص الثورة الإسلامية التي دعت المسلمين في العالم إلى الثقة بالنفس، والعودة إلى الذات، وعلمتهم أنَّ الكنز مدفون تحت أقدامهم، ولا يحتاج اكتشافه إلى بحث وتنقيب في مكان آخر، وهذه الرؤية بحدّ ذاتها هي التي أدّت إلى تصدير رسالة الثورة الإسلامية إلى العالم معنويًا بكلِّ ما تعنيه كلمة (الرسالة)[٢].

لقد شهدت الثورة مراحل بعد نجاحها، وكلّ مرحلة كانت تواجّه الحصار والحرب، وتواجه العالم الذي يريد أن يدوس كلَّ حركة تحرر من الاستكبار والطغيان العالميين.

مرحلة الاستقرار والحرب المفروضة (١٩٧٩-١٩٨٨)

خلال العقد الأوّل من الثورة الإسلامية حصلت تطوّرات وأحداث

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

عديدة ومتعاقبة جعلت من الصعب معرفة وفهم عمقها، فلم يكن ينتهي حادث حتى يقع حادث آخر، وتنفجر قضية أخرى، وبمراجعة تلك الفترة والأحداث التي شهدتها تتجلي قدرة وعظمة الشعب الإيراني، وقيادته وستكون جديرة حقا بالإعجاب والإشادة الكبيرتين.

ومن الطبيعي أنّه لو شهدت المرحلة الراهنة تلك الأحداث لكانت المواقف تجاهها جديرة حقا، بيد أن سعي الجميع في تلك الفترة كان للثورة الوليدة التي كانت تواجه الأعداد من كل جانب ـ فالمعارضون والأعداء كانوا يتمثّلون تارة بتنظيمات مسلحة في الداخل، وأنظمة وحكومات في العالم من الخارج، وتارة أخري ـ كانت تريد القضاء على الثورة، وعلى نظام الجمهورية الإسلامية، ولو لا تلك التعبئة الجماهيرية الشاملة وثقة الشعب بالثورة وقيادتها، لما تمكّن الشعب ولا القيادة ولا الثورة من الصمود في مواجهتها نتيجة للمشاكل والأزمات التي كانت تعيشها.

إن الأحداث التي شهدتها السنوات الأولي من الثورة الإسلامية كثيرة وعديدة ونذكر هنا أبرزها وأهمها[1]:

قبل الإعلان عن انتصار الثورة الإسلامية بأيام، اقترح الإمام الخميني ﷺ أن يشكّل المهندس مهدي بازركان حكومة مؤقتة وانتقالية، وبعد انتصار الثورة بقى بازركان محتفظا بمنصب رئيس الحكومة المؤقتة التي كانت مهمتها إدارة شؤون البلاد العامّة، وكذلك تهيئة الأجواء اللازمة لتسليم المهام والمسئوليات إلى الحكومة الجديدة بعد الانتهاء من كتابة

---

(١) المصدر السابق

الدستور والتصويت عليه، لتسيير الشؤون السياسية في البلاد فكانت تتم من خلال مجلس قيادة الثورة الذي اختار الإمام الخميني ﷺ أعضائه[١].

وقد كان الغضب الشديد والعارم لدي أفراد الشعب ضدَّ أقطاب نظام الشاه وجلاوزته من العسكريين والسياسيين، سببا وعاملا أساسيا في تشكيل محاكم الثورة، وتنفيذ حكم الإعدام بعدد من أولئك المسئولين عن جرائم القتل وسفك دماء أبناء الشعب، ومن الطبيعي أنه في الظروف العادية تستغرق محاكمة هؤلاء فترات طويلة، ولكن في الأيام الأولي للثورة كانت محاكم الثورة مضطرة للبتّ العاجل والسريع في أمر هؤلاء الجناة، ولولا ذلك فإن أبناء الشعب كانوا سيهاجمون أماكن اعتقالهم، وينزلون القصاص العادل بحقهم، لينفّسوا عن غضبهم، ويخففوا من الآلام المستعرة في نفوسهم، وذلك لبشاعة الجرائم التي أرتكبها أولئك المجرمون[٢].

وفي خضم هذه الأحداث، كانت التيارات الماركسية تسعي لإشاعة أجواء الفوضى والعنف في أوساط المجتمع، وكانت أولي خطواتهم على هذا الطريق احتلال السفارة الأمريكية بقوّة السلاح على يد عناصر (ميليشيا فدائيي الشعب)، ممّا أدّى الى مقتل موظف إيراني بالسفارة، وذلك بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٧٩. واستنادا إلى شهادة عدد من الأميركيين الذين كانوا متواجدين في السفارة، لقد كانت نسبة احتمال قتلهم كبيرة جدا.

والخطوة العنيفة الأخرى هي اقتحام ثكنة عسكرية في مدينة مهاباد

---

(١) المصدر السابق

(٢) فريدون هوفيدا ـ مصدر سابق

(شمال إيران)، والواقعة ضمن محافظة كردستان، وذلك بعد مرور ثلاثة أيام فقط على انتصار الثورة الإسلامية، وحينها أعلنوا أن مناطق كردستان ستكون قاعدة لانطلاقهم لمواجهة نظام الجمهورية الإسلامية، وبكل تأكيد لو لم تقف التعبئة الجماهيرية العامة في مواجهة تلك التيارات لكانت محافظة كردستان منفصلة عن التراب الإيراني في الوقت الحاضر[١].

أمَّا الحكومة الأمريكية التي لم تكن قادرة بعد على استيعاب حقيقة ووجود الثورة الإسلامية فقد بدأت بتقديم المساعدة والدعم للجماعات الموالية للنظام السابق لزعزعة استقرار النظام الجديد بل وإسقاطه، ولقد أيقن الشارع الإيراني بوجود مخطط تأمري ضدَّ إيران ابتداء من العلاقات الوطيدة التي إقامتها السفارة الأميركية في طهران مع شخصيات معارضة، ومرورا باستضافة أمريكا لأقطاب النظام السابق، وبالتالي استقبال الشاه في أمريكا، وكذلك البيان الهجومي الذي أصدره الكونغرس الأمريكي ضدَّ إيران.

وبالرغم من أن الثورة الإسلامية كانت مشحونة ومعبأة بالشعارات المعادية للامبريالية إلا أن إيران ما بعد انتصار الثورة الإسلامية لم تتخذ أية مواقف عدائية إزاء أميركا، حتى أنَّها كانت تودع أموالها من عائدات النفط في البنوك الأميركية، ولكن في مقابل ذلك واصلت أميركا سياستها العدائية إزاء إيران.

وفي ظل تلك الظروف قرر عدد من الطلبة الجامعيين القيام بخطوة احتجاجية على وجود الشاه في أميركا، وتدخّل الأخيرة في شؤون إيران الداخلية فتجمَّعوا في باحة السفارة الأميركية معلنين اعتصاما لمدة ثلاثة أيام، وقد تحوّل

---

(١) المصدر السابق

هذا الاعتصام إلى احتلال كامل لمبني السفارة دون اللجوء إلى القوّة والعنف، بعد أن أوصل الجامعيون صوتهم إلى أسماع العالم، وبعد الدعم والمساندة الواسعة التي لاقتها هذه المبادرة من لدن الشعب والإمام الخميني ﷺ، الذي اعتبر احتلال السفارة الأميركية بمثابة الثوّرة الثانية في إيران.

لقد كان لاحتلال السفارة الأميركية في طهران ردود فعل واسعة في العالم، حيث أدّى ذلك إلى إيقاظ المشاعر المعادية للامبريالية في بلدان الشرق الأوسط، وقد فشلت جميع التهديدات والتحرّكات الدبلوماسية الأميركية الرامية لا طلاق سراح المحتجزين الأميركيين، وكانت العقوبات الاقتصادية التي فرضتها أمريكا وحليفاتها في أوروبا على إيران من جملة الإجراءات الاستفزازية على هذا الطريق، وعندما أيقنت أميركا من عدم جدوى محاولاتها الدبلوماسية التي رافقها قرار ترحيل الشاه من أميركا، قررت الإدارة الأميركية وبمساعدة شخصيات عسكرية موالية لها في إيران تنفيذ خطّة عسكرية لإنقاذ الرهائن.

وقد مني هذا الهجوم بفشل ذريع وهزيمة نكراء عندما اصطدمت المروحيات الأميركية في صحراء (طبس) الواحدة بالأخرى، نتيجة لظروف طبيعية قاهرة، فقتل عدد كبير من رجال القوّات الخاصَّة الأميركيين، وقد تطرّق الإمام الخميني ﷺ إلى هذه الهزيمة، وأعاد إلى الأذهان قصة هجوم طيور الأبابيل على جيش أبرهة في القصة التاريخية المعروفة التي يذكرها القرآن الكريم في سورة الفيل[1]، وقد استمرّت هذه المسيرة التآمرية

---

(١) المصدر السابق

بالتخطيط لانقلاب عسكري بقيادة ضبّاط كبار في قاعدة (نوجه) الجوية في همدان، وهذا الانقلاب أيضا باء بالفشل، وفي نهاية المطاف تمَّ إطلاق سراح الرهائن بقرار صوّت عليه مجلس الشورى الإسلامي، وعلى ضوء اتفاقية الجزائر، حيث كانت أهم وأبرز ما تمخَّضت عنه تلك الأحداث هزيمة الرئيس الأميركي جيمي كارتر في الانتخابات الرئاسية الأميركية نتيجة لفشله في إطلاق سراح الرهائن.

وبعيدا عن قضية احتجاز الرهائن فإن حدثا مهمّاً آخر قد وقع في تلك الفترة كان بمثابة نقطة تحوّلٍ كبيرة في تاريخ الثورة الإسلامية، وهو قيام النظام العراقي بشن هجوم عسكري ضدَّ إيران.

الحرب على الثورة والحصار الدولي/ العربي على إيران

إن صدام حسين الذي كان يحلم بزعامة العالم العربي، فإنه طالب إيران منذ انتصار الثورة الإسلامية بإعادة الجزر الثلاث في الخليج الفارسي إلى العرب، وتبعا لذلك قام النظام العراقي بإعطاء الأموال لعملائه لتنفيذ أعمال تخريبية ضدّ خطوط أنابيب النفط في الجنوب الإيراني، وتحريض بعض العشائر العربية في محافظة خوزستان على التمرّد، وقد رافقت هذه الخطوات اعتداءات عسكرية وهجمات محدودة في المناطق الحدودية، الأمر الذي أدّى إلى استدعاء السفير العراقي في طهران، للطلب من حكومته تقديم إيضاحات حول هذه الأعمال، حتى أن النظام العراقي قدم اعتذاراً رسمياً في إحدى المرَّات لشنّه اعتداء على الحدود الإيرانية.

من جانب آخر فإنَّ صدام حسين الذي كان مدركا لمشاعر العداء

الأمريكي لإيران بعد احتلال السفارة الأميركية، كان يعتقد كذلك أنّهُ عندما يشن هجومه العسكري على إيران سينال دعم ومساندة الحكومة الأميركية، وقد حصل على ضمانات بعدم تدخّل أميركا في هذه الحرب، وذلك خلال اجتماع بمستشار الرئيس الأميركي السبق لشؤون القومي بريجنسكي في عمان، وفي شهر أيلول عام ١٩٨٠، وبعد ذلك أعلنت عن إلغائه اتفاقية الجزائر من جانب واحد، بعد أن كان وقّعها هو بنفسه مع الشاه، ثم أمر بشنِّ الهجوم العسكري الشامل على إيران لتكون بداية الحرب الثماني سنوات.

وكان صدام حسين يظن بأنَّ الجيش والقوّات المسلحة في إيران وبعد انتصار الثورة الإسلامية لن تكون قادرة على مواجهة القوّات العراقية، وقد عزز هذا الاعتقاد التقدّم السريع الذي أحرزته القوّات العراقية في الأيام الأولي من الحرب، وذلك باحتلال مدن (قصر شيرين، نفت شهر، خرمشهر، سوسنكرد، ومحاصرة مدينة آبادان وتهديد أهواز)، ولذلك فإنه في الأسبوع الأوّل من الحرب رفض اقتراح وقف إطلاق النار بصورة مؤقتة، قدّمته الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، بيد أنه بدأ يفهم ويتعلّم الدرس الذي تعلّمه الأميركيون من قبل، فقد تعبأت الجماهير متّجه صوب جبهات القتال، ولم تمض فترة طويلة حتى انتقلت ساحة المعركة من المناطق الحدودية الإيرانية إلى داخل الأراضي العراقية.

وعلى العموم فقد استمرّت حرب صدام حسين ضدَّ النظام الاسلامي في ايران ثماني سنوات، وكانت الاسلحة الغربية تتدفق على صدام من أمريكا وبريطانيا وفرنسا والارجنتين والبرازيل ومليارات الدولارات من دول الخليج العربي وطوال هذه المدّة لم تواجه العراق اي نقص في الغذاء والمال

والسلاح، لأن صدام كان يخوض الحرب نيابة عن امريكا والغرب، والغريب أن وقف الخليجيون وقفة الأخ إلى جوار أخيه ـ كما زعموا ـ في حرب العراق مع إيران لأن الجميع كانوا خائفينَ من الثورة الإسلامية الإيرانية في منطقة الخليج العربي، ولذلك وقفت الدول الخليجية والعربية مع العراق ماعدا سوريّة، وقد قدرت المساعدات الخليجية للعراق بحوالي ٢٠٠ مليار دولار[١]، كما ساعدت الكويت والسعودية العراق نفطيا بإعطائها ٣٠٠ ألف برميل نفط يوميا واتبعت الدول الخليجية وخاصّة السعودية تأثيراً كبيراً عن طريق خفض ورفع أسعار البترول، وكمية الإنتاج لتحقيق أكبر الخسائر الممكنة بالإنتاج والمردود النفطي الإيراني، إلى أن قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في شهر إبريل مع عام ١٩٨٨، وهذا ساهم بشكل كبير في تقوية العراق، وإضعاف إيران، وإطالة أمد الحرب[٢] كما تقاربت العلاقات المصرية العراقية كثيراً، وذلك عقب المقاطعة التي دعا إليها العراق جميع الدول العربية بعد اتفاقية (كامب ديفيد) الشهيرة، واستفاد العراق من إنتاج مصانع السلاح المصرية التي كانت تدعم الجيش العراقي.

كان هدف أمريكا والاتحاد السوفيتي جعل الحرب تطول أطول فترة ممكنة، فكان الهدف الأكبر والأسمى للدولتين العظمتين استنزاف البلدين المسلمين، لاستنفاد ثرواتها ولإضعاف قواهما ومواردهما البشرية والمادية، من أجل تبوّأ مكان في السيطرة على الشرق الأوسط، ولتأمين إسرائيل،

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

وشغل الدول العربية والإسلامية عنها، وكانت هذه الدول تضع يدها على قلبها خوفاً من تغيّر في أسعار النفط يؤثّر في الاقتصاد والصناعة الغربية !!

كانت أمريكا كعادتها تبحث عن مصالحها في المنطقة، وهي مستعدة لفعل أي شيء من أجل مصلحتها، حتى ولو كانت أحاديث رؤسائها وممثليها السياسيين تتكلّم عن الحرية والديمقراطية والسلام، فمع بداية الحرب وقفت الولايات المتحدة موقف المتفرّج الحيادي، خصوصاً عندما كان العراق هو المسيطر على الموقف، وعندما تغيّر الموقف العسكري لصالح إيران أنهت واشنطن سياسة الحياد المعلنة، وقررت دعم العراق دعماً كاملاً وشاملاً، فأعادت العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع بغداد في ١٩٨٤م، وأمدت العراق بمعلومات استخباراتية قيمة، ووفّرت له مساعدات ومبيعات تكنولوجية وزراعية، وبدأت واشنطن في المناداة بقرارات مجلس الأمن الدولي، الذي أدان إيران لهجماتها على ناقلات النفط في عرض الخليج[1].

كان الاتحاد السوفيتي حاله كحال الولايات المتحدة، وكان يهدف إلى إطالة أمد الحرب، لأنَّ هذا يخدم مصالحه في شراء البترول وبيع الأسلحة، ولكن مع تفوق القوّات الإيرانية على العراقية، ودخول القوات الإيرانية العراق، سلك الاتحاد السوفيتي نفس المسلك الأمريكي، وبدأ في دعم العراق، وبدأ العراق في توقيع صفقات الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي واشترى منه صواريخ متوسطة المدى، كما أنَّها قامت بتمويل باقي سنوات الحرب، خصوصاً مع الوفرة المالية العراقية، نتيجة عائدات البترول،

---

(١) إيران على أعتاب عام ٢٠٠٠ ـ المصدر السابق

ومساعدة الدول الخليجية[١]..

وتدخّلت عدة دول غربية من بينها بريطانيا وفرنسا، وأمدَّت العراق بالأسلحة والمعدات العسكرية، وهكذا هم الغرب يشعلون نيران الحروب بين الدول لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب والمصالح، بينما يخرج حكامهم وقادتهم على شاشات التلفزيون يتحدَّثون عن السلام والديمقراطية والأمان!!

ولما طالت الحرب ودَّمرت ما دَّمرت تدخّلت أمريكا وفرنسا مباشرة لحسمها، بدءا من معركة تحرير الفاو ثمَّ مشاركة الطيارين الفرنسيين في قيادة طائرات الميراج ٢٠٠٠، وقصف أهمّ المنشآت الايرانية، وتدخّل الاسطول الامريكي لمرافقة ناقلات النفط الكويتية، رافعة العلم الامريكي، وضرب منصّات الصواريخ الايرانية، وارصفة شحن النفط الايراني، ثم جاءت الضربة المعنوية متمثلة في اسقاط البحرية الامريكية الطائرة المدنية الايرانية، التي قتل فيها حوالي ٣٠٠ مدني ايراني[٢].

خلاصة القول: أنَّ الثورة الإسلامية شهدت حصارا دوليا غير مسبوق في العلاقات الدولية، فلم تتمكن من شراء الأسلحة إلا بشقِّ الأنفس، وكانت مشاركة البلاد العربية للحصار الدولي بداية التحالف العربي ضدَّ قوى المقاومة التي تقودها الجمهورية الإسلامية، والغريب أنَّ الإعلام العربي روّج وما زال يروّج للخوف من الشيعة والنفوذ الفارسي، وكتب

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الكتّاب وألف المؤلفون عن الخطر الإيراني والتمدد الإيراني، وما زال هذا النهج مستمرًّا، وهذا يؤكّد على أنَّ المسارَ الثوري للجمهورية الإسلامية هو السائد، وأن ميراث الثورة لم يتبدل أو يتغيّر.

تهديدات شهدتها الثورة

وفي هذه الفترة الزمنية شهدت إيران تطوّراً مهمّاً آخر كاد يهدد كيان الثورة الإسلامية، وهو تبدل مواقف أول رئيس جمهورية في إيران وهو أبو الحسن بني صدر، فقد كان يعتقد أنَّه قادر على استمالة الشعب إلى جانبه في مواجهته للإمام الخميني، وقاده ذلك إلى التحالف مع منظمة مجاهدي خلق، وهي من القوى المعارضة التي كانت ناشطة في عهد الشاه. وقد تمكَّنت بعد انتصار الثورة الإسلامية من كسب ولاء عدد من الشباب المتعلّم، موظفة في ذلك رصيدها السياسي قبل انتصار الثورة الإسلامية، وكانت إلى جانب ذلك تتطلّع إلى السلطة والسيطرة على الحكم[١].

ونتيجة لاندلاع الاشتباكات المسلّحة في الشوارع فيما كانت الحرب في أوجها، وعدم الأخذ بنصائح وتحذيرات الإمام الخميني ﷺ بضرورة الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية لمواجهة التحديات الخارجية، قرر مجلس الشورى الإسلامي التصويت على عدم كفاءة بنى صدر السياسية، وأيّد الإمام قرار المجلس، وعقب ذلك سادت إيران موجة من الاغتيالات وأعمال العنف، حيث جرت منظمة (مجاهدين خلق) الجمهورية الإسلامية

---

(١) المصدر السابق

إلى مواجهة مفروضة عليها، وفي هذه المواجهة استشهد عدد كبير من مسؤولي الدولة في عمليات اغتيال ونسف، كان أكثرها بشاعة ووحشية الانفجار الذي وقع في المقر الرئيس لحزب الجمهورية الإسلامية في ٢٨ حزيران عام ١٩٨١، وفي هذا الانفجار استشهد حوالي ٧٢ شخصا من أبرز مسؤولي الدولة، وفي مقدمتهم آية الله الدكتور بهشتي، الذي كان يشغل منصب رئيس السلطة القضائية[١].

ولم تمض فترة شهرين على هذا الحادث حتى وقع انفجار غادر آخر في مكتب رئاسة الوزراء أدّى إلى استشهاد كلٍّ من رئيس الجمهورية محمد علي رجائي، ورئيس الوزراء محمد جواد باهنر، وقد أعطت مصادقة نواب الشعب على عدم صلاحية بني صدر لرئاسة الجمهورية وهروبه خارج البلاد زخما وتماسكا للقوات الإيرانية المرابطة على جبهات القتال، ممّا مكّنها من تحرير العديد من المناطق التي سيطرت عليها القوات العراقية.

تحرير مدينة خورمشهر شعر النظام العراقي بأنّه مهدد بالانهيار والسقوط نتيجة القرار الخاطئ بشنِّ الحرب ضدَّ إيران، وكذلك نتيجة الانتفاضات التي شهدها العراق.

لذلك بادر إلى دفع مسيرة الحرب باتجاه التصعيد الدموي وكان من أساليب هذا التصعيد قصف المدن الإيرانية بصواريخ (أرض ـ أرض)، واستخدام الأسلحة الكيماوية بشكل متزايد ضد القوّات الإيرانية، حيث شهدت مدينة حلبجة هذا القصف الكيماوي الواسع، وكذلك قصف

---

(١) المصدر السابق

ناقلات النفط على أيدي القوّات العراقية.

إن احتلال القوّات الإيرانية لشبه جزيرة الفاو عام ١٩٨٦ جعل أميركا تشعر بقلق كبير من مستقبل الحرب، مما دفعها إلى التقرّب من إيران بطريقة ماكرة، ولتحقيق هذه المهمة أرسلت الحكومة الأميركية روبرت مكفارلين المستشار السابق للرئيس الأميركي الأسبق ريغان لشؤون الأمن القومي في زيارة سرية إلى طهران، فوصل باسم مستعار، وجواز سفر مزوّر وعرض على المسئولين الإيرانيين فكرة أنه في حال تغيير موقفهم تجاه أمريكا ستقوم بتزويد إيران بمعدّات عسكرية متطوّرة لاستخدامها في الحرب ضدَّ العراق.

هذا العرض جوبه برفض قاطع من إيران مما أدّى إلى فشل المهمة وبالتالي إلى فضيحة سياسية واسعة النطاق لإدارة الرئيس الأميركي السبق رونالد ريغان.

وفي نهاية المطاف تمّت الموافقة على قرار وقف إطلاق النار رقم (٥٩٨) الصادر عن مجلس الأمن الدولي، وذلك نتيجة للضغوط الأميركية، ومجلس الأمن الدولي، والضغوط الاقتصادية التى كان أبرزها انخفاض سعر النفط إلى أدني من عشرة دولارات، حينها شعر الإمام الخميني ﷺ أن استمرار الحرب قد يؤدّى إلى تعرّض مستقبل وكيان الدولة للخطر، فاتخذ هذا القرار آخذا بنظر الاعتبار المصلحة الوطنية، واعتبر موافقته على هذا القرار بمثابة تجرّعه للسم[1].

أما منظمة مجاهدي خلق التي كانت تتخذ من الأراضي العراقية قاعدة لأعمالها التخريبية، فقد حاولت استغلال الوضع الجديد في إيران، وذلك

---

(١) المصدر السابق

بشنِّ هجوم عسكري على المناطق الغربية للبلاد، انطلاقا من الأراضي العراقية، واحتلت أحدي المدن الحدودية، معتقدة أن موافقة المسؤولين الإيرانيين على قرار وقف إطلاق النار سيثير احتجاج ومعارضة الشعب.

لذا فإنَّها وفي غضون[١] ساعة فقط، ستتمكن من خلال الاستعانة بميليشياتها المسلحة وبالمساندة الجماهيرية في الداخل من الوصول إلى العاصمة طهران، لكن ما حصل كان مخيبا لجميع تلك التوقعات والاحتمالات، إذ أن جميع أولئك الذين تركوا جبهات القتال عائدين إلي بيوتهم بعد الموافقة على القرار ٥٩٨، عادوا مرة أخرى إلى جبهات القتال في المناطق الغربية للدفاع عن كيان الدولة الإسلامية محبطين ـ مرة أخري ـ هجوم العدو على البلاد.

مرحلة الاستقرار والأعمار (١٩٨٨ ـ ١٩٩٥)

إن انتهاء الحرب أفسح المجال أمام النظام الإسلامي في إيران لانتهاج طريق الأعمار والبناء، لذلك فإن الإمام الخميني ﷺ الراحل أوكل إلى لجنة خاصَّة مهمة مراجعة السياسات العامة والأساسية للبلاد، لإعادة النظر في الهيكلية والبنية الاقتصادية للبلد، وفي هذه الفترة كانت وسائل الإعلام العالمية تزعم أن الإمام الخميني ﷺ قد تخلّى عن مبادئه الثورية بقبوله قرار وقف إطلاق النار، وأنَّ إيران تتجه لعقد اتفاقية سلام وانتهاج إستراتيجية جديدة مع الدول الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية، بيد أنَّ

---

(١) المصدر السابق

رفع صور الإمام الخميني ﷺ الراحل في التظاهرات الجماهيرية التي شهدتها جمهورية أذربيجان قبل استقلالها من الاتحاد السوفيتي السابق زاد في حيرة واستغراب المراقبين السياسيين، وبعد هذا الحادث بعث الإمام الخميني ﷺ الراحل رسالته التاريخية لميخائيل جورباتشوف حيث بيّن فيها فشل النظرية الماركسية، ومتوقعا انهيار نظام الاتحاد السوفيتي، ومحذرا جورباتشوف من أنَّ مواصلة التمسك بتطبيق النظرية الماركسية ستكون عاقبته السقوط، إضافة إلى ذلك فقد دعا الإمام الخميني ﷺ جورباتشوف لتفهم المعارف والقيم الإسلامية، وأنَّ هذه الرسالة التي عبّرت بقوّة عن ثقة الإمام العالية بنفسه ورؤيته المستقبلية، قد تركت آثارا عميقة في العالم الإسلامي.

وبعد مضي بضع سنوات وانهيار الاتحاد السوفيتي، أعاد الكثير من المراقبين والخبراء إلى الأذهان ما توقّعه الإمام، وتحليله الصائب حول مستقبل الاتحاد السوفيتي[1].

---

(١) علي حسين باكير ـ استراتيجية أمريكا ـ موقع www.alibakeer.maktoobblog.com ببعض التصرف

الفصل الرابع

الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي

بعد أن ذكرنا نجاح الثورة وقيادتها لمقاومة المشروع الأمريكي في البلاد الإسلامية، فقد خططت الجمهورية الإسلامية لاستراتيجية بعيدة المدى من أجل استمرار المقاومة، ولكن وقبل أن نكتب عن استراتيجية الجمهورية الإسلامية، لابدَّ أن نذكر ببعض التفصيل الإستراتيجية الأمريكية ليس ضد إيران فقط، ولكن ضد المسلمين بصفة عامة، وضدّ حركات المقاومة الإسلامية للمشروع الأمريكي الصهيوني بصفة أكثر خصوصية، فلا شكّ أن الخطط الأمريكية تجاه العالم الإسلامي، الذي تدعوه الشرق الأوسط، عندما تريد تخصيص الدول العربية وبعض الدول الأخرى في محيطه إن تعدّدت وتنوّعت على مرّ السنين لتتلاءم مع التغيرات التي تطرأ على المنطقة بين الحين والآخر، لكنّها في جميع الأحوال والظروف حافظت على عاملين اثنين أساسيين اعتبرتهما كثوابت في جميع هذه الاستراتيجيات، وخطّاً أحمر يمسُّ الأمن القومي الأمريكي[1]:

العامل الأوَّل: حماية أمن إسرائيل ودعمها بأيِّ ثمن.

العامل الثاني: تأمين النفط والمصالح الإستراتيجية الأمريكية الأخرى.

---

(١) المصدر السابق

وعلى العموم فإنّ الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة يمكن تلمّس معالمها من خلال الأدوار التي لعبتها أمريكا في أفغانستان والعراق، ومن خلال الأدوار التي تلعبها مؤخّراً بمساعدة أوروبا في عدد من الملفّات، سواء في سوريّة أو لبنان أو فلسطين أو مصر أو الخليج العربي وتركيا، وهذه الإستراتيجية تقوم على ثلاث ركائز أساسيّة، هي[١]:

أولا: دعم الأقليّات في المنطقة، وفي كثير من الأحيان على حساب الأغلبية.

ثانيا: تحجيم نفوذ الدول الكبرى تقليديا مثل مصر والسعودية وسوريّة والعراق، والحرص ألا تمتد دائرة نفوذهم خارج إطار دولهم، سواء سياسيا أو عسكريا أو حتى اقتصاديا في بعض الأحيان.

ثالثا: استغلال من تدعوهم أمريكا بالإسلاميين المعتدلين، وذلك لكي تنفّذ ما تصبو إليه تحت شعار الحوار والتقارب والانفتاح على الآخر، الذي تذكّرته فجأة بعد حوالي ٦٠ سنة قضتها في المنطقة، وهي تحارب الإسلام والمسلمين ومازالت[٢].

دعم الأقليّات على حساب الأغلبية

إنَّ مسألة التلاعب أو التحكّم بورقة الأقليّات وحقوق الإنسان مسألة معروفة قديما في العرف السياسي الأمريكي الخارجي، وهذا الأسلوب يظهر

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الولايات المتّحدة بمظهر المدافع عن حقوق البشر وتوجّهاتهم، في وقت تعاني فيه من عنصرية بغيضة تجاه الأقليات سواء العرقية أو القوميّة[١].

إن الخطة الأمريكية تقوم على استعمال ورقة الأقليات لزعزعة استقرار ووحدة الدول القائمة في الشرق الأوسط، لاسيما أن لهذه الورقة قوّة كبيرة، وقد تؤدّي إلى مواجهات عنيفة تتفكك على إثرها الدولة إلى دويلات طائفية وعرقية، أو تضعف الدول كثيرا في أحسن الأحوال ؛ لأنّ الدولة في الشرق الأوسط بطبيعتها الحاليّة، ومنذ انهيار الدولة العثمانيّة، هي دولة قوميّة بالأساس وتضمُّ عددا كبيرا ومتنوّعا من الأعراق والطوائف والقوميات.

وبطبيعة الحال فإن الدول التي تحويها القائمة الأمريكية في هذا المجال هي الدول الأكثر تنوّعاً وامتزاجا مثل: العراق، أفغانستان، السودان، الجزائر، لبنان...إلخ، وذلك من أجل إعادة صياغة الواقع العرقي والطائفي والقومي وفق تركيبة تناسب المخططات الأمريكية التي تهدف إلى تحقيق عدّة أهداف منها:

أوّلاً: إضعاف الدولة القوميّة التي لديها حساسية كبيرة بطبيعة الحال تجاه التدخلات الخارجية في شؤونها، وهو ما سيسهّل عملية الاختراق الأمريكية للدول التي تأبى الانصياع لما تريده، أو التي ترفض التغيير بحسب الوصفة المقدّمة على الطريقة الأمريكية.

ثانيا: ضمان عدم التحام هذه الأقليات والطوائف والأعراق، وضمان عدم ذوبانها أو على الأقل انسجامها مع الأغلبية في أيِّ بلد من بلدان الشرق الأوسط في أي إطار جامع، على الشكل الذي كانت فيه منذ قرون لضمان

---

(١) المصدر السابق

أنَّها ستكون بحاجة إلى مساعدة خارجية، وكل ذلك من أجل أن تبقى هذه الأقليات برميل بارود يمكن تفجيره في الوقت الذي تراه القوى الغربية مناسباً، وبالتالي أمريكا ستكون جاهزة للتدخل في أيّ مكان وزمان تراه مناسبا، في أي بلد من هذه البلدان، إذا رأت أنَّ ذلك لمصلحتها، وبحجّة الحماية بطبيعة الحال، وإن لم يكن ذلك في مصلحتها، فلا هي ترى ولا تسمع ولا تتكلم.

ثالثا: إنَّ الهدف أيضا من ورقة الأقليات هو تبرير وجود إسرائيل، وتوسيع رقعة المشاكل والنزاعات الإقليمية الداخلية العرقيّة والقوميّة، لإشغال العالم العربي والإسلامي وشعوب هذه الدول بالمشاكل الداخلية المستجدّة لديهم، والمخاطر التي تتهدّد بلدانهم، المعرضّة آنذاك للتفتيت والتقسيم، بمعنى تقسيم المقسّم أصلا، وتجزئة المجزأ، حتى تُصبح القضيّة الفلسطينيّة في آخر اهتمامات الشارع الإسلامي والدول الإسلامية، هذا إنْ تذكّرها بعد ذلك أحد، وبالتالي تنعم «إسرائيل» بما هي فيه.

رابعا: الهدف أيضا من نفس الموضوع هو إفساح المجال أمام إسرائيل للدخول والتغلغل في هذه الدول عبر الأقليّات سواء القومية أو الطائفية أو العرقية، إذ إنّ الدولة المدمّرة أو المفتّتة أو التي يتمّ إضعافها عبر ورقة الأقليات، سيكون من السهل على إسرائيل اختراقها كما حدث أيضا في جنوب السودان.

تحجيم نفوذ الدول الكبرى في المنطقة

ترتكز الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة في شقّها الثاني على تحجيم نفوذ

الدول الكبرى تقليديا في المنطقة مثل[١]:

ـ **السعوديّة**: التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها الإقليمية على الأقل دول الخليج العربي، وذلك لاعتبارات اقتصادية وديمغرافية وجغرافيّة وعسكرية.....إلخ.

ـ **مصر**: التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها أو دائرة تأثيرها أيضا منطقة شمالي أفريقيا والسودان وفلسطين، على الأقل وذلك أيضا لأسباب ديمغرافيّة، اقتصاديّة، تاريخيّة...إلخ.

ـ **سوريا والعراق**: حيث تمتد دائرة نفوذ الدولتين إلى الدول المجاورة لهم، سواء لبنان وفلسطين بالنسبة إلى سوريّة، أو الأردن والخليج بالنسبة للعراق، بالإضافة إلى عدد آخر من الدول الكبيرة أيضا التي لم نذكرها.

ونلاحظ أنّ الولايات المتّحدة قد لجأت إلى هذه الخطّة في تحجيم نفوذ الدول الكبرى نظرا للتعقيدات الكثيرة والتشابكات الكبيرة التي تتركها دائرة نفوذ مثل هذه الدول الكبرى على الدول الأخرى، ممّا من شأنه أن يحدَّ من التدخّل الأمريكي بحيث يصعّب على الولايات المتّحدة التدخّل في أيّ موضوع أو ملفّ لأيّ دولة تكون لهذه الدول الكبرى نفوذ فيها، إذ أن الأمر آنذاك سيتطلب من الولايات المتّحدة جهدا مضاعفا ووقتا مضاعفا وتباحثا مع جميع الأطراف، وربّما جوائز ترضية للدول الكبرى، وربّما قد تفشل في النهاية للوصول إلى هدفها، أو قد تصل إليه بصعوبة.

لكن عندما يكوّن نفوذ كلّ دولة محصوراً في إطارها الداخلي فقط، فإنّ

---

(١) المصدر السابق

ذلك يفيد الولايات المتّحدة من عدّة جوانب[١] :

أولا: يسهّل ذلك على الولايات المتّحدة مهمّة التدخّل بشؤون أي دولة دون تعقيدات تذكر، حيث تصبح العلاقة مباشرة وفردية بين الولايات المتّحدة والدول الأخرى، وبطبيعة الحال فإنّ الدول الأخرى في غالبها دول صغيرة وضعيفة ولا حول ولا قوّة لها في وجه الإملاءات الأمريكية حتى لو أرادت فعلا رفض ما يملى عليها.

ثانيا: إن تحجيم النفوذ يؤمن الاستفراد بالدول الواحدة تلو الأخرى، دون أن يكون لها أي حليف أو نصير، وبالتالي فإنّ الملفّ يصبح أسهل والنتائج أضمن والإملاءات والشروط أكبر والتهديدات بالعقوبات والعمليات العسكرية في حال عدم التنفيذ أجدى.

ويمكن ملاحظة ذلك في ثلاث حالات واضحة وصريحة، منها :

١ ـ السودان حيث تمّ عزله عن محيطه العربي، وتركه لوحده في مواجهة أمريكا والقوى الدولية، وتمّ عزل مصر عن الملفّ إلى أن وصلت الأوضاع إلى ما وصلت إليه الآن، ونرى التهديدات والعقوبات الأمريكية والأممية واضحة لأيّ مراقب.

٢ ـ العراق وقد تمّ أيضا عزله ومحاصرته وقصفه وتدميره وتحجيم نفوذه إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن من خراب ودمار وانهيار، نتيجة عدم تنفيذ الإملاءات والشروط الأمريكية.

٣ ـ سوريّة، وقد بدأ الأسلوب الذي نتحدّث عنه عن تحجيم النفوذ

---

(١) المصدر السابق

واضحاً في هذه الحالة ولا يحتاج إلى شرح، حيث أصبحت قدرة الولايات المتّحدة على التدخّل في الملفّ اللبناني أكبر بكثير، وتمّ تحجيم النفوذ السوري فيه[١].

الحوار والتقارب مع الإسلاميين من أجل استغلالهم

إن هذا الموضوع أشبه بعملية تبييض الأموال غير المشروعة، فالولايات المتّحدة تريد تغيير المنطقة، وتعلم أن القوى الإسلامية هي المسيطرة على الشارع، وبالتالي لا يمكن القيام بأيّ تغيير يحظى بالمصداقيّة والاستمرارية إلاّ إذا تمّ الحصول على ختم الإسلاميين عليه، من أجل شرعنته، وبناءً على ذلك فأمريكا تحاول استغلال من تدعوهم «بالمعتدلين» من أجل تمرير مخطّطاتها[٢].

ومن هذا المنطلق فقد طرحت الإدارة الأمريكية منذ مدّة موضوع الحوار مع الإسلاميين على طاولة البحث والتمحيص، وتناولت العديد من مراكز الدراسات والفكر الأمريكية هذا الموضوع، وكلٌّ من وجهة نظره الخاصّة، فيما لم تقف الإدارة الأمريكية عند هذا الحدِّ بل تعدّته لفتح قنوات اتّصال مباشرة وغير مباشرة مع شرائح من المسلمين[٣].

فإذا كان هناك حوار وتقارب بين أمريكا والإسلاميين، فما هو الهدف

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق، و ران د : مؤسسة بحثية تأسست عام ١٩٤٨، ولها نفوذ كبير وتأثير عالٍ على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية، ولها علاقات وروابط مع وزارة الدفاع الأمريكية فهي تشرف على ثلاث مراكز أبحاث تمولها وزارة الدفاع، إذ غالبا ما يتم العمل بتوجيهاتها بناءً على التقارير والأبحاث التي تقدمها للإدارة الأمريكية.

(٣) المصدر السابق

منه؟ ولصالح من هذا الحوار والتقارب؟ وعلى حساب ماذا؟ وماذا سيحقق في النهاية؟

في إطار الإجابة عن هذه التساؤلات، لا بدّ من تذكير الباحثين والقرّاء بالعودة إلى تقرير لـ «راند»[١] صدر في شباط ٢٠٠٤، وهو يُعدُّ بمثابة إستراتيجية أمريكية للتعامل مع المسلمين، وهو على درجة عالية من الأهمية، وفيه الكثير من الإجابات عن خفايا التوجهات الأمريكية تجاه المسلمين والتقرير بعنوان: «الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء والموارد والاستراتيجيات» .

ويرى التقرير أنّه لا يمكن إحداث الإصلاح المطلوب من دون فهم طبيعة الإسلام في المنطقة، الذي يقف سدّاً منيعا أمام محاولات التغيير، وأنّ الحلّ يكمن في النظر إلى المسلمين عبر أربع فئات هي: مسلمين أصوليين، مسلمين تقليديين، مسلمين حداثيين، مسلمين علمانيين.

ـ فيما يتعلّق بالأصوليين: تقول «راند»[٢] يجب محاربتهم واستئصالهم والقضاء عليهم وأفضلهم هو ميّتهم ؛ لأنّهم يعادون الديمقراطية والغرب، ويتمسكون بما يسمى الجهاد وبالتفسير الدقيق للقرآن، وأنهم يريدون أن يعيدوا الخلافة الإسلامية، ويجب الحذر منهم؛ لأنّهم لا يعارضون استخدام الوسائل الحديثة والعلم في تحقيق أهدافهم، وهم قويو الحجّة والمجادلة.

ـ فيما يتعلّق بالتقليديين: تقول «راند»[٣]: يجب عدم إتاحة أي فرصة لهم للتحالف مع (الإخوان المسلمون) والشيعة، لذلك يجب أن ندعم التقليديين

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

ضدّ الأصوليين لنظهر لجموع المسلمين والمتدينين وإلى الشباب والمسلمين في الغرب والى النساء ما يلي عن الأصوليين[١] :

١ ـ دحض نظريّتهم عن الإسلام وعن تفوّقه وقدرته.

٢ ـ إظهار علاقات واتصالات مشبوهة لهم وغير قانونية.

٣ ـ نشر العواقب الوخيمة لأعمال العنف التي يتخذونها.

٤ ـ إظهار هشاشة قدرتهم في الحكم وتخلّفهم.

٥ ـ تغذية عوامل الفرقة بينهم.

٦ ـ دفع الصحفيين للبحث عن جميع المعلومات والوسائل التي تشوّه سمعتهم وفسادهم ونفاقهم وسوء أدبهم وقلّة إيمانهم.

٧ ـ تجنب إظهار أيّ بادرة احترام لهم ولأعمالهم، أو إظهارهم كأبطال وإنما كجبناء[٢] .

الإستراتيجية الأمريكية ضد الجمهورية الإسلامية

بعد أن ذكرنا الإستراتيجية الأمريكية ضدَّ العالم الإسلامي بأسره، نجد أنَّ الإستراتيجية الأمريكية ضدَّ الجمهورية الإسلامية لها خصوصية أكبر، لأنَّهم يرون إيران الإسلامية خطرا كاملا ضد تلك الإستراتيجية، حيث تشغل السياسة الإيرانية اليوم، وموقع إيران الإقليمي ودورها في الصراع الجاري اليوم في المنطقة العربية اهتمام المراقبين والمحللين السياسيين، ويأخذ

---

(١) المصدر السابق

(٢)أميمة بنت أحمد الجلاهمة ـ الإستراتيجية الأمريكية ضد الجمهورية الإسلامية ـ موقع www .saaid.net/daeyat/omima ـ بعض تصرف

الاهتمام بالدور الإيراني من قبل القوى السياسية والنخب الثقافية، ولقد كانت من مصادفات التاريخ أن تنتصر الثورة الإسلامية الإيرانية مع الحملة التي قادتها الإدارات الأمريكية بالتعاون مع الأنظمة العربية لمواجهة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان معتمدة على تعبئة دينية إسلامية لمواجهة «الشيوعية الكافرة»، ومع درجة من التطوّر العلمي والتقني في العراق لم يعد مقبولاً من القوى الإمبريالية[١].

هكذا وعقب إخفاقات وهزائم للحركات القومية واليسارية بعضها بفعل القوى الإمبريالية، وبعضها الآخر نتاج بنيتها وبرامجها، كان كل شيء مهيأ لصعود التيارات الدينية في المنطقة، فمن الجزائر غرباً إلى العراق شرقاً مروراً بمصر وسورية شهدنا صعود حركات دينية هزَّت أنظمة تلك البلدان، وأرعبت أنظمة اخرى في المنطقة، حركات وضعت على جدول أعمالها أهدافاً ليس أقلّها الاستيلاء على السلطة، وإقامة حكومات إسلامية[٢].

إذ شكل انتصار الثورة الإيرانية صفعة للإدارة الأمريكية وإسرائيل، وكانت حرب الخليج الأولى التي اندلعت بين العراق و إيران بدفع أمريكي ودعم عربي خليجي كما ذكرنا، كانت كافية لتحقيق احتواء مزدوج لكلٍّ من العراق وإيران، وخلق حالة عداء بين العرب والنظام الإيراني الجديد الذي أظهر منذ اللحظة الأولى دعمه لقضية العرب المركزية (فلسطين).

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

إلا أن الإدارة الأمريكية وإسرائيل اللتين كانتا تريان في النظام الإيراني خطراً عليهما يجب العمل على تغييره، مثلما عملت على تدمير العراق.

إن التدمير الهمجي للعراق إبان حرب «تحرير» الكويت وثلاث عشرة سنة من الحصار المتوحّش على العراق لم يكن يكفي المشروع الأمريكي، لإعادة صياغة المنطقة العربية من أجل المشروع الإمبراطوري الأمريكي.

لذا كان الغزو عام٢٠٠٣ من أجل أن يكون العراق نقطة انطلاق لتحقيق المشروع الأمريكي باتجاه دول الجوار، والتي تشكّل إيران الهدف الثاني فيه.

ومنذ عام ١٩٩٢م، بدأت الخطط الصهيونية بهدف تهيئة الرأي العام الإسرائيلي لشنّ الحرب على إيران، حرب الهدف من إشعالها إيقاع هزيمة عسكرية وسياسية بإيران[١]

ونستخلص من ذلك أنَّ الإستراتيجية الأمريكية قائمة ضد الجمهورية الإسلامية، وتهدف بغضِّ النظر عمّن هو الحاكم في إسرائيل أو في أمريكافي النهاية إلى:ـ

١ ـ إبقاء التفوق العسكري الإسرائيلي على الدول العربية والإسلامية مجتمعة، والضغط على الدول الكبرى لعدم تسليح بعض الدول العربية.

٢ ـ التشجيع على العلاقة والتطبيع بين العرب والمسلمين مع إسرائيل بغضِّ النظر عن مستوى نجاح عملية السلام (لجان التطبيع والمؤتمرات

---

(١)منيف ملحم ـ إيران: ما بين الطموحات الإقليمية ومواجهة المشروع الأمريكي ـ موقع www.almounadil .info/article.htm ـ a ببعض تصرف

الاقتصادية مع إسرائيل بضغط أمريكي منذ مؤتمر مدريد عام ١٩٩١).

٣ ـ السعي لمنع أيِّ مقاومة مسلّحة للاحتلال الإسرائيلي في فلسطين (كما كان الأمر مع لبنان).

٤ ـ التحفّظ على أي تضامن عربي حتى في حدّه الأدنى (تحفظات أمريكا على القمم العربية، وعلى التنسيق الثلاثي الذي كان قائما بين مصر وسورية والسعودية، وعلى دور الجامعة العربية بشكل عام)، وتشجيع الصراعات العربية العربية، والعربية الإسلامية، والإسلامية الإسلامية، لأنَّ أيَّ خلاف هو مصدر قوّة لإسرائيل، ولأمريكا، وهو مبرر لطلب المساندة منها.

٥ ـ تشجيع الخلافات بين الدول العربية وإيران، وفي مقابل ذلك تعزيز الدور الإسرائيلي في دول العالم الإسلامي وبدعم أمريكي طبعا.

وفي كل الأحوال نجد الرؤية الاستراتيجية الأمريكية تقوم على ثلاث دعائم هي: تخويف العالم من الجمهورية الإسلامية، وتكثيف الحصار عليها، ودعم الكيان الصهيوني في ضربها ودخول مواجهة عسكرية معها، والثالث هو تأليب العالم العربي على الجمهورية الإسلامية، ونكتب عن ذلك ببعض التفصيل، خاصة عن تخويف العالم مما يزعمون أنه الخطر الإيراني، وعن دور الكيان الصهيوني في الحرب المفترضة على الجمهورية، والثاني عن تخويف العالم العرب من الخطر الإيراني، وذلك لأننا كتبنا عن الحصار الاستكباري على الجمهورية الإسلامية في هذا الكتاب...

أوَّلاً: تخويف العالم من الخطر الإيراني

كان وما زال المقترح لتحقيق الحرب على الجمهورية الإسلامية أحد

الأمرين، إما أن يقوم الكيان الصهيوني بذلك، أو يقنع الغرب بما فيه أمريكا ـ بطبيعة الحال ـ بمهاجمة إيران، وانتهت إلى أنَّ أسلم طريقة للوصول لذلك الهدف تكثيف حملة عالمية تتوجّه لغرس فكرة مفادها التهويل مما قد تلحقه إيران بأمريكا والغرب عموماً وبإسرائيل خاصة، فيما أنْ تمكّنت من تصنيع السلاح النووي[١]، ولأن الإعلام الصهيوني الموجّه دوماً هو الوسيلة الفضلى لترويج بضائعهم الفاسدة، توجّهت الإدارة الصهيونية للإعلام الصهيوني بداية لتعميم فكرتها وتثبيتها في أذهان الرأي العام الصهيوني، وقد ساهمت في هذا الشأن جميع الصحف العبرية باستثناء صحيفة (هآرتس) التي لم تجرؤ على مناقشة مصداقية هذه الفكرة من عدمها، وهذا ما أكَّده الدكتور (شاحاك)[٢] الذي تطرَّق لنماذج من معطيات تلك الصحف، فتوقف عند صحيفة اليسار الصهيوني (عال هامشمار) التي نشرت في ١٩ / شباط فبراير عام ١٩٩٣م، مقالاً بقلم المحرر (يوهاف كابسي)، وبعنوان (يجب معاملة إيران بالطريقة ذاتها التي عومل بها العراق)، تضمن المقال مقابلة مع (دانيال لاشيم) ضابط الاستخبارات العسكرية للكيان الصهيوني، ومع أن الدكتور (شاحاك) يؤكّد أن كثيراً من الشكوك تحيط بتقديرات لاشيم المتعلقة بخطورة إيران النووية[٣]، إلا أنَّه يعتقد أنَّ الإشارة ولو بشكل سريع لمحتويات هذا المقال من الأهمية بمكان، إذ أنَّ رجلاً في موقع (لاشيم)

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

كضابط استخبارات عسكري، لا يمكن أن يتجرَّأ ويتطرّق لموضوع حساس مثل هذا، دون موافقة وتأييد الإدارة العسكرية التابع لها، فقد انتهى إلى أن إسرائيل لا تستطيع أن تفعل كثيراً لوقف الإيرانيين، وذلك بقوله: نستطيع أن نغيَّر على إيران من الجو، ولكننا لا نتوقع أن تدمّر عملياتنا الجوية قدراتها كلّها، ففي أفضل الأحوال قد ندمر بعض المنشآت النووية الإيرانية، لكننا لن نستطيع الوصول إلى مراكز التطوير النووي الرئيسة.

ثم انتهى إلى أنَّه على إسرائيل بذل جهدها لجعل إيران تخشى أسلحة إسرائيل النووية، لكن دون أن يردعها ذلك عن تطوير أسلحتها الخاصَّة، واقترح صنع وضع يبدو مماثلاً لوضع العراق قبل أزمة الخليج، قائلا[١]: علينا أن نأمل أن تحذو إيران حذو العراق، وتبدأ بإشعال الحرب على الإمارات العربية المتحدة بسبب الجزر الثلاث المتنازع عليها، فقد يكون ذلك سببا لفرض الرقابة على أسلحتها النووية، كما حدث مع العراق، مؤكّدا أنَّ هذا التصوّر وارد جداً[٢]...

ولكن حتى لو امتنعت إيران عن بدء الحرب، فإن علينا اتهامها بالإرهاب واستغلال ذلك على المستوى العالمي، فنعمد وبإلحاح تدعيم فكرة أنَّها بسبب توّرطها بالإرهاب، لن تكون ثمة دولة في العالم خطرة بخطورتها، مظهرين ضرورة استنكار الكيان الصهيوني لبقاء إيران، مع ذلك كله متحررة حتى من فرض أضيق العقوبات الدولية...

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

ثم أشار إلى أن هذه الحال التي تدعو ـ بزعمه ـ للرثاء كانت بسبب إهمال إسرائيل لدعايتها الإعلامية والدبلوماسية... التي يأمل أن تتمكن من أن تشرح للعالم كله مدى الضرورة الملحة لإثارة واستفزاز إيران ودفعها إلى الحرب.

ويشار إلى تطابق الموقف الرسمي المعلن للكيان الصهيوني مع مضامين حديث (لاشيم)، إذ نجد أن إستراتيجية (رابين) كانت تنحصر كما ذكر الدكتور (شاحاك): (في دفع الولايات المتحدة الأمريكية وقوى غربية أخرى إلى المواجهة مع إيران، كما أجهد (بيريز) نفسه من أجل هذا الغرض بأن أرسل ممثلين شخصيين عنه إلى مختلف عواصم العالم بهدف تقليل التعاون الدولي مع إيران[١].

ولكن بدا للكيان الصهيوني كما يؤكّد (إسرائيل شاحاك) أنَّ إثارة إيران وإخراجها عن طورها من الصعوبة بمكان، ففي أحد المؤتمرات الدولية صدرت تعليمات لممثلي الكيان الصهيوني بإحراج الوفد الإيراني أمام الوفود العالمية واستفزازه، وهو ما كان، فقد بادر الوفد الإسرائيلي باتهام إيران (بتقويض العملية السلمية) متوقعين صدور ردود فعل معيبة من الوفد الممثل لإيران، ردود تترك الأثر السيئ تجاه الحكومة الإيرانية، ولكن الوفد الإيراني لم يتصرَّف كما كان يتوقع منه الوفد الإسرائيلي، وهو ما تأسف له الإسرائيليون[٢].

---

(١) المصدر السابق

(٢) أميمة بنت أحمد الجلاهمة ـ المصدر السابق

ولأن الكيان الصهيوني كما أعلن الدكتور (إسرائيل شاحاك) ما زال يأمل في أن يتمكّن من حصاد بعض المنافع من أي استفزاز يقوم به الغرب ضد إيران، حتى لو ترتب على ذلك قيام حرب طويلة وغير حاسمة...

نرى ما نراه اليوم من سعي صهيوني جادٍّ للضغط على الإدارة الأمريكية، وغيرها من حكومات دول العالم، بغية استفزاز وإثارة الحكومة الإيرانية لإدخالها في حرب لن يجني ثمارها إلا الصهاينة.

كما أن الخطر الإيراني على الكيان الصهيوني ليس محصورا فقط بالقنبلة النووية، بل لاعتبارات أخرى: إيديولوجية، واقتصادية، وإستراتيجية، وهو خطر يثير في إسرائيل مخاوف عميقة، وبالرغم أن مخاوف هذا الخطر شعورية في الغالب، بيد أن العقل الإستراتيجي الإسرائيلي يعرف قيود هذا الخطر، أما الوجدان الإسرائيلي، فيقول إنه «قنبلة موقوتة لا يمكن للمرء أن ينام بهدوء بالقرب منها»، وأن «الزناد قد يتوفر في صورة زعيم متعصّب، مهدي جديد، يضرب نار الحرب، لأنه يرى الغرب هشّاً ومتهالكاً، وبالتالي طريد سهل»[١]

وبالتالي لا عجب من أنَّ مراكز صنع القرار السياسي والعسكري في إسرائيل تحرص على إبراز قلقها الشديد من البرنامج الإيراني، فرئيس جهاز الموساد مائير دغان وصف التهديد الإيراني، بأنه الخطر «الأكبر على دولة إسرائيل منذ نشوئها».

وهنا يبرز التساؤل التالي: هل التسلح النووي الإيراني هو مصدر الخطر الوحيد لإسرائيل، أم أن هناك جوانب أخرى تشكل خطرا لإسرائيل،

---

(١) المصدر السابق

وليست القنبلة النووية أهمها؟

لا شكَّ أنَّ المساعي الإيرانية لتطوير قدراتها النوويّة ـ على فرض أنَّها عسكرية ـ عبر تصنيعها أو من خلال شراء عناصرها من الخارج، يعتبر من الناحية الموضوعية انتزاعا للاحتكار الإسرائيلي للتسلح النووي في المنطقة، وبالتالي فامتلاك إيران القنبلة النووية سيشكل تهديدا لهذا الاحتكار في المنطقة.

ومع ذلك، فليس هذا هو مصدر الخطر لإسرائيل، ذلك أن إيران في عهد الشاه، سعت لتطوير قدراتها النووية، ومع ذلك لم تر إسرائيل في ذلك أي خطر عليها، فضلا عن حلم البعض في إسرائيل من التقارب من إيران بعد نجاح الثورة الإيرانية، كعنصر إستراتيجي من عناصر التوازن الذي تحتاج إليه إسرائيل لمواجهة التهديد العربي.

ولكن مع النظام الديني الإيراني، والتصاعد للعداء الإيراني لإسرائيل، وتساوق ذلك مع امتلاك إيران قدرات عسكرية تقليدية وتطوير قدرات عسكرية غير تقليدية، فإنه يبدو من الطبيعي أن التقارب الإسرائيلي من إيران أصبح حلما لا يمكن تحقيقه، بل كما يقول بنيامين نتنياهو «أكبر خطر وجودي تواجهه إسرائيل» .

مصادر الخطر على الكيان الصهيوني

إن مصدر التهديد الإيراني على الكيان الصهيوني كما يراه قادة الكيان الصهيوني لا يعود في حقيقة الأمر إلى التسلح النووي الإيراني الراهن في حَدّ ذاته، بل يعود إلى اجتماع عدّة عناصر أخرى، تراها إسرائيل في غاية الأهمية،

وهي[١]:

ـ القاعدة الأيديولوجية

ـ القدرة الإستراتيجية

ـ القدرة الاقتصادية

١ـ القاعدة الأيديولوجية

ثمة تحليل يصوّر أنَّ العوامل الإيديولوجية ليس لها قيمة في المنافسة الإسرائيلية الإيرانية، بل أنَّ الاعتبارات الجغرافية السياسية والتغيرات في موازين القوى في المنطقة، هما سبب المنافسة والعداوة بين الطرفين[٢].

يقوم النظام الإيراني على أيديولوجية دينية يستمدُّ منها شرعيته وقوّة دفعه، وهي، تتخذ من الإسلام عقيدة كفاحية لمواجهة قوى الاستكبار العالمي.

بالإضافة إلى ما تقوم به إيران من دعم الحركات المقاومة لإسرائيل، مثل حماس وحركة الجهاد الإسلامي، وحزب الله، وتزوّدهم بالسلاح والمال والتدريب.

باختصار: إيران تقوم ـ من وجهة النظر الإسرائيلية ـ ببناء شبكات «إرهابية»، بهدف توسيع نفوذها وإشعال حرب استنزاف يومية مع إسرائيل[١].

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(١) المصدر السابق

المشكلة الأخرى التي تشكّلها الايدولوجيا الإيرانية المعادية لإسرائيل، أنها تضرب إحدى مرتكزات نظرية الردع الإسرائيلية، وتحول دون نجاعتها.

٢ـ القدرة الاقتصادية

بالإضافة إلى مصدر الخطر الأيديولوجي، هناك مصدر خطر آخر لإسرائيل يلعب هذا الخطر دورا كبيرا في تعزيز وتقوية الايدولوجيا الأصولية، وهو أنَّ إيران لديها من الموارد الاقتصادية الكبير والمتنوعة[١]: البنفط، الفحم، الغاز الطبيعي، خام الحديد، الرصاص، النحاس، المنجنيز، الزنك، الكبريت. وبالتالي، فإيران تجد الكثير من مصادر القوّة لتعبّر عن نفسها من خلالها.

فهناك القدرة المالية العالية بوصفها عاملا اقتصاديا قويا ناشئا، ليس ذلك فحسب، فإيران تقبع فوق احتياطات نفطية ضخمة، ناهيك عن ارتفاع أسعار النفط الهائلة، رغم عودة انخفاضها، وهو أمر يتيح لإيران إمكان توظيف تلك العائدات والإمكانات الاقتصادية الضخمة لبناء قوّة عسكرية جبَّارة، وتمويل جماعات مناوئة لإسرائيل، وتعمل على تقويضها من خلال إشعال حرب استنزاف يومية.

وبالتالي تصبح تلك الأموال معززة للايدولوجيا الثورية وتزيد من حدَّتها وعنفوانها، وبالتالي استخدامها ضد إسرائيل.

---

(١) المصدر السابق

٣ـ القدرة الإستراتيجية

تمتاز إيران بموقع إستراتيجي حسَّاس ؛ فإيران متاخمة لشبه القارة الهندية، وحدودها قريبة من منطقة ما يسمى «الشرق الأوسط»، وخصوصا موقعها الحسَّاس على بوابات الخليج الفارسي، فضلا عن قربها من خمس دول إسلامية، ظهرت على إثر تفكك الاتحاد السوفيتي (طاجكستان، اوزبكستان، اذربيجان، كيزخيزية، تركمانستان)، وتقف إيران في مقدّمة المتنافسين بشأن النفوذ في هذه الجمهوريات، ذاك النفوذ الذي يحتل في ضوء حقيقة أنَّ هذه الجمهوريات تمتلك مخزونا من الأسلحة السوفيتية الإستراتيجية.

وحسب ادعاءات إسرائيلية، فإنَّ إيران تحاول أن تقايض هذه الجمهوريات بالمال، مقابل أن تحصل على عناصر إنتاج السلاح النووي.

لذا، فمراد إسرائيل، الحيلولة دون سقوط هذه الجمهوريات في يد إيران، حيث إنَّ هناك يقينًا بأن عوامل إستراتيجية تتحكم في استخدام الأسلحة النووية[١].

ومن خلال مقارنة إيران بإسرائيل ـ كما يرى سدنة كيان الصهيونية ـ نجد أن دولة إسرائيل تعاني قيودا جغرافية سياسية، تتمثّل في نقاط الضعف في الموقع الجغرافي، وصغر في مساحة الدولة، وافتقادها العمق الإستراتيجي، كما تعاني قيودا ديموغرافية تتمثّل في قلّة عدد السكان مقارنة بسكان إيران، كل ذلك له مردود سلبي على إستراتيجيتها العسكرية عامة، وإستراتيجيتها

---

(١) المصدر السابق

النووية بشكل خاصّ، ممّا يعني عدم تحمل إسرائيل أي ضربة نووية.

إن عامل المساحة ذو تأثير سلبي في الإستراتيجية العسكرية برمَّتها ؛ حيث إن مساحة إسرائيل تبلغ ٢٢١٤٥ كم مربع مقابل ١.٦٤٨ مليون كم٢ لإيران، بالإضافة إلى عامل السكان.

والمحصلة أن ذلك يشكّلُ قيدا، وبالتالي خطرا على إسرائيل[١].

الخلاص من النووي الإيراني.. رؤية صهيونية

إن القلق الصهيوني من الجمهورية الإسلامية، بسبب دعمها للمقاومة الإسلامية، وانتصار حركات المقاومة على الجيش الصهيوني، هذا هو السبب، أما البرنامج النووي والذي سنكتب عنه في فصل لاحق، نجد أنه ليس السبب الرئيس في القلق الصهيوني، ولكن ورغم أن الجمهورية الإسلامية أعلنت مراراً أن برنامجها النووي هو برنامج سلمي، كما أكَّد المرشد الإمام على الخامنئي على حرمة استخدام السلاح النووي، إلا أن الدعايات الصهيونية الأمريكية لا تنفكّ تخوف الناس من السلاح النووي الذي امتلكته أو ستمتلكه الجمهورية الإسلامية، ولأسباب معروفة فقد زعمت الدولة الصهيونية أن إيران تسعى لتدمير إسرائيل، وكما تحاول أمريكا والصهيوني تخويف العالم من الخطر الإيراني، نجدها تعمل على تعميق الخطر في وجدان الشعب الصهيوني، وهنا نورد دراسة صهيونية عن الرؤية حول الخلاص من النووي الإيراني كما يراه الكيان الصهيوني، نورده ببعض

---

(١) نفس

تصرف كما ترجمه الأستاذ أحمد الغريب، لأنَّه في النهاية يسعى من أجل تخويف العرب من البرنامج النووي الإيراني ليظلَّ العرب تحت الرؤية الصهيونية، وهو ما ستتكب عنه بعد قراءة تلك الرؤية الواردة الدراسة، لأنَّها الرؤية التي تعامل بها العرب مع الثورة والجمهورية الإسلامية منذ أن تمَّ تأسيسها، فإلى التقرير الصهيوني[١]:-

«يرى التقرير أنَّه وسط الكمّ الهائل من الدراسات والتقارير الإستراتيجية التي تحفل بها وسائل الإعلام ومراكز الدراسات الصهيونية، والتي تراوح بين التحذير من ضربة صهيونية أو أمريكية - صهيونية منفردة ضدَّ إيران، والدفع نحو المضي قدماً نحو القضاء على طموحات إيران النووية تمثّل رغبة محمومة لبقاء «إسرائيل» القوّة الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط، التي تمتلك السلاح النووي يمكّنها من خلالها ردع الجميع»[٢]، جاءت الدراسة الخطيرة التي نشرتها إحدى أهم الدوريات الإستراتيجية في «إسرائيل» والتي تدعو للخلاص من الطموحات الإيرانية[٣].

تلك الدراسة التي أعدَّها الباحث الصهيوني روبي بوزجولو المتخصص

---

(١) الباحث الصهيوني روبي بوزجولو - ترجمة أحمد الغريب عن رؤية صهيونية - موقع islammessage.com

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق، ونلاحظ هنا أن الكيان الصهيوني يود ويعمل جاهدا على تأليب القادة العرب على إيران من أجل تشكيل تحالف عربي صهيوني ضد الجمهورية الإسلامية، كما نلاحظ أن التقرير كُتب قبل سقوط وزارة أيهود أولمرت، ونجد تلك الأقوال ممتدة أيضا مع بنيامين نتينياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني المتطرف، وهو موجود عند كل قادة ذلك الكيان بصورة عامة.

في الشؤون الأمنية والإستراتيجية، والتي نشرتها دورية *mago-e* الصهيونية المتخصصة في الشؤون الإستراتيجية حول سيناريوهات دخول إيران النادي النووي، وحصولها على قدرات نووية عسكرية، واحتمالات وقوع سيناريوهات كارثية وسوداء للإسرائيليين.

استهل بوزجولو دراسته بالتحذير من مغبة عدم إدراك ما أسماه حقيقة الخطر الإيراني على إسرائيل حال حصولها على قدرة عسكرية نووية، مشيراً إلى أنَّه ليس واثقاً من مسألة إدراك مواطني دولة إسرائيل لحقيقة اقتراب وقوع سيناريوهات كارثية كنتيجة مباشرة للقدرات التي تسعي طهران جاهدة من أجل الحصول عليها، وهو ما يشكل أكبر تهديد على حياة الإسرائيليين، ويجعلهم عرضة لخطر لم يتعرَّضوا له منذ وقوع ما عرف بالمحرقة النازية إبان عهد الزعيم النازي هتلر.

وأشار إلى أن كل التقديرات الإستراتيجية الصهيونية والتصريحات الصادرة من قبل المسؤولين الصهاينة تحذّر من مضي إيران قدماً نحو استكمال ما بدأته في برنامجها النووي، وأنَّها تخطو بخطى ثابتة نحو القنبلة النووية، وتتبوأ مكانة في عالم القوى العظمى النووية، وقال إن رئيس الموساد السابق شبتاي شابيط، وكذلك عضو الكنيست الصهيوني أفيجدور ليبرمان ـ وزير الخارجية الحالي ـ والعضو أفريم سنية، ووزير النقل شاؤول موفاز، ورئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت، ووزير الدفاع إيهود باراك، وعضو الكنيست بن يسرائيل وآخرين، أكّدوا جميعاً أن الإسرائيليين يقتربون من الهاوية، وهو ما كان قد وصفه المرشح في انتخابات الرئاسة الأمريكية السابقة جون ماكين بأن حصول إيران على السلاح النووي يعني محرقة جديدة

لليهود، ثم حاول الباحث الإسرائيلي في دراسته الإجابة عن بعض الأسئلة التي تدور حول مسألة إمكانية وصول إيران للسلاح النووي، مشيراً إلى أنَّ أوّل تلك الأسئلة يتعلّق باحتمالات تغيّر الأوضاع في حالة امتلاك إيران لهذا النوع من السلاح، وتنبأ الباحث بأن تتحول الحياة داخل إسرائيل إلى جحيم مستمرّ وخوف ورعب، وهو الأمر الذي عكسته التصريحات التي أدلى بها عضو الكنيست أفريم سنية، والذي شغل في السابق منصب نائب وزير الدفاع الإسرائيلي، بأنه: «حتى إذا لم يغامر الرئيس الإيراني أحمدي نجاد بالضغط على زر تشغيل السلاح النووي وإطلاقه تجاه إسرائيل، فإن ذلك لا يعني سوى أن تكون اسرائيل واقعة بشكل مستمرّ تحت التهديدات النووية، وهو الأمر الذي يعني نهاية الحلم الصهيوني».

وكذلك عكست التصريحات التي أدلى بها العميد الاحتياط بالجيش الصهيوني يوسي فيلد بشأن النووي الإيراني المخاوف وعززتها، حيث أكَّد فيها أن الكثير من الإسرائيليين سيدفعون إلى الهجرة من إسرائيل وسيتركون عائلاتهم، وذلك انطلاقاً من إمكانية وقوع كارثة لهم إذا ما بقوا فيها، وسينشغل جميعهم بالبحث عن إجابة لسؤال واحد، ألا وهو: متى ستتعرض إسرائيل لضربة نووية، اليوم أم غداً؟

كما أكَّد المسؤول العسكري الصهيوني أن حصول إيران على السلاح النووي معناه: «أنَّه حتى إذا لم يتم استخدام هذا السلاح فإنَّ قدرتهم على استخدامه وإطلاقه نحو الأراضي الإسرائيلية أمر ليس فيه جدال ولا يقبل النقاش، الأمر الذي يضع تساؤلات حول مستقبل بقاء اليهود في دولة إسرائيل» .

ثمّ تحدّث الباحث الصهيوني في دراسته عن استغرابه من التصريحات الصادرة عن البعض بشأن حقيقة المساعي الإيرانية من امتلاك قدرات نووية عسكرية، والقول بأن هدف طهران لا يتعدّى الحصول على مظلة نووية لتهديد الدول المعادية لها، وعلى رأسها إسرائيل، وأنّها لن تقدم على استخدامها أبداً، بل ستستخدمها كسلاح ردع من أجل التهديد فقط، وستستخدمها من أجل تعزيز محاولات نشر الثورة الإسلامية الإيرانية وأفكارها، وقال: إنَّ لديّ اعتقاداً راسخاً بأن الإيرانيين سيبحثون فيما بينهم في مسألة أعدائهم المستقبليين، ومن سيبقى، ومن سيقضون عليه، وسيصل بهم الأمر لبحث إمكانية أن يدمّروا الكيان الصهيوني تماماً.

ويرى الباحث روبي بوزجولو أن اعتقاده هذا يأتي من خلال الاستدلال ببعض التصريحات الصادرة عن الإيرانيين أنفسهم، ومن بينها التصريح الصادر عن علي أكبر هاشمي رافسنجاني، الذي أكّد أنَّ أيَّ هجوم نووي من شأنه أن يدمّر إسرائيل تماماً ويقضي عليها، أما في حالة وقوع ضربة نووية على إيران، فإن ذلك لن يلحق بها سوى بعض الأضرار فقط، وقال: إنَّه إذا كان ذلك هو رأي النخبة الإيرانية، فإنّه يجب على الإسرائيليين أن يشعروا من الآن فصاعداً، بالرعب القادم من قبل إيران.

ويرى باحث دورية *mago* ـ *e* الصهيونية المتخصصة في الشؤون الإستراتيجية أنه يجب على صانعي القرار في إسرائيل، أن يبحثوا عن كيفية التفكير الإيراني في مسألة الردّ على كلِّ ما هو ذي صلة بالعرب والفلسطينيين، فماذا لو وقعت حرب جديدة في لبنان، وماذا لو قام حزب الله أو الفلسطينيون باختطاف فصيلة كاملة من الجنود الإسرائيليين، وهل

ستكون لدى إسرائيل القدرة في حينه على القيام بردّ مناسب على مثل هذه العملية، وهل سيكون لدى الجيش الإسرائيلي القدرة على تنفيذ عمليات عسكرية في قطّاع غزّة إذا ما أقدمت حركة المقاومة الإسلامية حماس على إطلاق صواريخ القسّام على المستوطنات والمدن الإسرائيلية، وهل سيكون لدى إسرائيل القدرة على هدم منازل العرب الإسرائيليين التي جرى بناؤها بشكل غير قانوني، وقال: إنَّه من المؤكَّد أنَّ ما كانت تمارسه إسرائيل حتى الآن وتقول عنه أنَّه نشاط قانوني متعلّق بسيادتها، سيستمرّ كما كان

وتنبأ الباحث الصهيوني بتغير ميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط، وسيحدث خلل في ميزان التهديدات، وفي حينه سيشرع الجميع في خوض سباق تسلح نووي، وستكون دول مثل مصر وسوريّة وغيرهما على رأس القائمة التي ستطالب بالانضمام إلى النادي النووي، ويرى أنه وبفضل القوة العسكرية النووية، فإن إيران ستصبح قائدة للأمّة العربية، وستعمل مصر على تعزيز العلاقات معها، وستسعى من أجل إعادة العلاقات الدبلوماسية مع طهران، فيما ستسعى دول الخليج على تغيير شكل العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من منطلق إدراك الجميع في ذاك الوقت للزعيم الحقيقي في المنطقة، ألا وهو إيران، وسيكون شغلهم الشاغل في ذاك الوقت السعي من أجل توطيد علاقاتهم بالزعيم الجديد في المنطقة.

كما تنبّأ الباحث الصهيوني بمسألة تنامي ما أسماه بالنشاطات الإرهابية على الحدود مع إسرائيل، وقال سنعتاد على رؤية عناصر الحرس الثوري الإيراني قبالة الحدود الشرقية لإسرائيل، وهم يسعون من أجل تنفيذ عمليات ضد الإسرائيليين، وسيقلبون حياتنا لجحيم، وسينجحون حتماً في

دفع الأردن من أجل وقف اتفاق السلام الموقع مع إسرائيل، وذلك عبر ضغط من الإيرانيين أنفسهم.

ويرى أن إيران تطمح لأن تكون قوة عظمى عالمياً، وأن تعود إلى مكانتها السابقة لتصبح إمبراطورية تسيطر حتى شواطئ البحر الأحمر، وهي لا تخفي نواياها في هذا الصدد.

كما ستمتد العمليات الإرهابية للكثير من الدول في منطقة الخليج، أما العراق وفي أعقاب انسحاب القوات الأمريكية منه فستتمكن إيران حتماً من ابتلاعها، وسيسيطر عليها نظام حكم راديكالي شيعي متطرّف، فيما سينجح حزب الله في السيطرة على كامل الأراضي اللبنانية، وستقوم سوريّة بتوثيق علاقاتها مع إيران، ومع مرور الوقت ستصبح دمية في يد طهران، تفعل بها ما تشاء كما يزعم التقرير الصهيوني.

ويضيف الباحث أن الكثير من صانعي القرار في الكيان الصهيوني يرون أن الدولة العبرية لن يكون بمقدورها العيش تحت ظلّ تهديدات نووية في منطقة الشرق الأوسط، بل ستواجه خطراً كبيراً حال ظهور السلاح النووي في يد الإيرانيين، وقال: إنَّ العلاقة بالنووي الإيراني والمحرقة النازية هو أن الكثير من اليهود هاجروا من أوروبا للنجاة بأنفسهم من المحرقة وخطر الموت، وهو الأمر الذي تسبب بعد ذلك في بقاء بعضهم على قيد الحياة حتى الآن، وهو الأمر ذاته الذي سيدفع الكثير من الإسرائيليين للهجرة من إسرائيل قبل أن تحل بها كارثة من قبل إيران بفضل ما ستمتلكه من قدرات نووية.

وضع الباحث الصهيوني كذلك عدة أسئلة بشأن مستقبل المنطقة في حالة

حصول إيران على السلاح النووي، مشيراً إلى أن إسرائيل تنتظر مواجهة عسكرية خلال الفترة القادمة، وأن أي حكومة إسرائيلية لن يكون لديها القدرة على غض الطرف على مسألة أهمية تبنّي سياسة واضحة تجاه التهديدات التي تعترض إسرائيل، وعلى رأسها إمكانية إزالة إسرائيل من الوجود بفضل السلاح النووي، وقال: إنَّه لا يتفق مع هؤلاء الداعين لعدم الأخذ بزمام المبادرة تجاه إيران، ومهاجمة منشآتها النووية، لأنَّ ذلك قد يعرّضها لخطر التعرّض لآلاف الصواريخ الإيرانية، وكذلك من مغبة عدم إشعال التوتر في منطقة الشرق الأوسط بأسرها، وما سيترتب عنه من ارتفاع أسعار النفط العالمية، وفي حينه سيقف العالم جميعه في وجه الكيان الصهيوني، وسيعارض ما يقوم به، الأمر الذي يعني أنَّ الصهاينة يجب عليهم إذا ما أرادوا مواجهة السلاح النووي الإيراني أن يدخلوا في شراكة مع آخرين من أجل ذلك، حتى يتسنَّى القيام بعملية ناجحة يمكن خلالها تدمير كل المنشآت النووية الإيرانية، حتى تلك الموجودة في أعماق الأرض وأسفل الجبال، وقال: إنَّ هذا الوضع يضع سؤالاً مهماً بشأن الخيار الأمثل بين الدخول في مواجهة مع إيران، أو الانتظار حتى تصبح إيران قوة نووية. وأشار الباحث الصهيوني روبي بوزجولو إلى أنَّه ومن بين الأسئلة التي تلوح في الأفق بشأن مستقبل المنطقة في ظلّ النووي الإيراني سؤال عن مدى اقتراب إسرائيل من شنِّ هجوم على إيران، وقال: إنَّ التوقّعات جميعها تؤكّد أنَّ الدخول في مواجهة عسكرية مع إيران بات وشيكاً، ودعا الباحث القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل لتبنّي قرار الحرب على إيران، مؤكّداً أنَّ تلك الحرب واقعة لا محالة في ذلك، وأنه استشف من تصريحات رئيس

الوزراء الصهيوني السابق إيهود أولمرت لأسبوعية دير شبيجل الألمانية، والتي قال فيها «إن إسرائيل لا يمكنها أن تحيا تحت تهديد يمكن استخدامه في أي لحظة»، إن مسألة دخول الحرب أمر مرهون بقرار سيادي فقط، وقال: إنَّ المناورة الجوية التي قام بها سلاح الجوّ الإسرائيلي ووصلت فيها طائراته حتى الأجواء اليونانية، كانت بمثابة التدريب الأخير على عملية شنِّ هجوم جوي إسرائيلي على إيران وسط تدريبات استمرَّت نحو عام، وأن التسريبات بشأن تلك العملية جاءت مقصودة بهدف إرسال رسالة واضحة لإيران، مفادها أنَّ إسرائيل لديها النية على شنِّ الهجوم حتماً، وقال: إنَّه يختلف تماما مع كلٍّ من حاول القول بأن تلك التسريبات الهدف منها التخويف فقط، والقول لإيران بأن لدينا القدرة على أن نستهدف منشآتكم إذا ما أقدمتم على فعل أي شيء أحمق.... انتهى التقرير

من تلك الرؤية الصهيونية نجد أنَّ الخوف الصهيوني من الجمهورية الإسلامية ليس وليد اليوم، أو بسبب البرنامج النووي ـ الذي سنخصص له فصلاً لقراءته ـ بل هو ممتد منذ نجاح الثورة، ووقوفها بجانب الحقّ الفلسطيني، ودعمها لقوى المقاومة التي انتصرت على الكيان، وأجبرته على الانسحاب من جنوب لبنان، ومن غزة، ولكي يتوقّف الكيان الصهيوني عن ذلك، بدأ يعمل من خلال السياسة الأمريكية على تخويف العرب السنة من الشيعة عموما، ومن إيران خصوصا، فذهب بعض قادة العرب على أن الولاء الشيعي العربي لإيران قبل أوطانهم أو دون أوطانهم، أو التحذير من الهلال الشيعي في العراق والشام، والغريب هنا أن يدخل شيوخ علماء أفاضل للوقوع تحت تأثير الإعلام الصهيوني الأمريكي لينفخوا في الفتنة

الطائفية التي لم يتوقّف تأثيرها على العراق المحتلّ، بل وصل مداها لدول أخرى سعت على تخويف السنة من التمدد الشيعي، كما قال أحدهم في البلاد السنية الخالصة.

ثانيا: تخويف العرب من الخطر الإيراني

ارتبط الهجوم واحتلال العراق بتخويف العرب من الخطر الإيراني، أو الخطر الشيعي، ويهدف الأمريكان من هذا التخويف هو جعل المنطقة العربية تتحالف معهم، ومع الصهيونية ضدّ الجمهورية الإسلامية، وقد استغلَّت بعض حكومات الدول العربية احتلال العراق لتدّعي زورا بأن أمريكا احتلت العراق لتسلمه لإيران، رغم أنَّ تلك الدول العربية هي نفسها التي تحالفت مع أمريكا وإسرائيل ضد العراق، وقدمت له الدعم اللوجستي، وسهَّلت له المرور في أراضيها، ولكن الغرض مرض كما يقولون، فدور إيران في العراق يشهد أنه دور سلمي لا يُغلّب طائفة على طائفة، ويسعى من أجل وحدة العراقيين ووحدة الأرض العراقية، وإيران هي التي تساعد المقاومة ضد الاحتلال، المقاومة السنية قبل الشيعية، وقد اعترف العدو المحتلّ بذلك، ولكنَّه الدور العربي الذي يسمونه بالمعتدل، هو الذي يتحالف مع الأعداء ضد العرب أنفسهم، ولا يمكن أن ننسى أن تنظيم القاعدة يقتل العراقيين باسم الدين، ويتخفى التكفيريون وراء مصطلح السلفية أو أنصار السنة، ويقتلون البشر، الشيعة منهم بخاصة، ويقدم الدعم لهؤلاء التكفيريين من قبل التحالف مع الصهيونية، وكأن تنظيم القاعدة تحالف مع الصهيونية من أجل تفجير الوضع في العراق وغير

العراق، والتخويف من الشيعة، والمهم هنا هو أننا نرصد هذا المحور التحالفي العربي الصهيو / أمريكي، وذلك من خلال: الساسة العرب، وعلماء الدين العرب.

أوّلاً: الساسة العرب والتحالف مع أمريكا ضدَّ إيران

دور إيران الإيجابي في العراق

من أجل تبرير التعامل العربي الرسمي مع الكيان الصهيوني، وبما جاء بالتقرير السابق، قام الرسميون العرب بالزعم أنَّ إيران تدعم شيعة العراق لكي يقتلوا أهل السنة، أو أن أمريكا سلمت العراق للإيرانيين، وغيرها من المزاعم، ولقد كثر الحديث عن التدخّل الايراني في الشأن العراقي أكثر من الحديث عن تدخّل الأردن ومصر والسعودية نفسها، وكلّ من له دابّة على أرض العراق !..

والغريب في الأمر أنَّ الجميع لم يأت ولا بدليل واحد، ولم نر ايرانيا واحداً فجَّر نفسه وسط العراقيين، ولا حتى وسط المحتلّين، وذلك على خلاف ما ظهر بالدليل القاطع حول تدخّل الأردن والسعودية ومصر والتكفيريين الذين ينتحرون وسط الحشود العراقية (الشيعية تحديدا)، ومن كُلّ الدول العربية، ليكون ذلك دليلا قاطعا على أنَّ تصريح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل ـ على سبيل المثال ـ بأن أمريكا سلمت العراق لإيران لم يأت عن فراغ، بل جاء بعد الاحتلال، ثمَّ تصدير القتلة والمجرمين للعراق وتفخيخهم في مصانع البعث الصدامي في المناطق التي يدافع عنه سعود

الفيصل لينتحروا في الحلّة وكربلاء والنجف والكاظمية وأحياء وشوارع بغداد، كما نتذكر جميعا تصريحات الملك عبدالله الثاني قبيل وبعيد سقوط صدام عن الهلال الشيعي، وقول الرئيس حسني مبارك بأنَّ ولاء الشيعة لإيران دون أوطانهم، وأيضا القبض على من أسمتهم خلية حزب الله لإمداد الفلسطينيين بالأسلحة والمؤن، كما لا يزال موقف مصر والجامعة العربية على نفس النهج، فضلاً عن قطر واستضافة الإمارات لأزلام صدام.. فضلاً عن عمل المخابرات لكلِّ الدول الاقليمية والمحيطة في الساحة العراقية.

وايران واحدة من هذه الدول، ويكذب من يدّعي أنَّ مخابرات ايران لا تعمل على الساحة العراقية، لكنَّه كأيّ عمل مخابراتي سري معلوماتي لصالح دولته، والمخابرات ـ كل المخابرات ـ في العالم لا تعرف مصالح الشعوب، بقدر ما تلبّي مصالح حكوماتها..

واذا القينا نظرة سريعة على التدخّل الايراني في العراق لم نجد غير العمل المخابراتي..

إنَّها مجرّد أوهام وتصوّرات يختلقها البعض من أجل أن يضرب الحالة الاسلامية الإيرانية، والشيعية العراقية بصفة خاصة، والتي وصلت الى الجمعية الوطنية عن طريق صناديق الاقتراع.. نعم المظاهر العامة في الجنوب العراقي مظاهر اسلامية، والساحة الجنوبية ساحة اسلامية من دون منازع، وهذه الظاهرة نتيجة طبيعية لدماء مئات الآلاف من الشهداء الذين قدَّمهم أبناء الجنوب في طريق الاسلام..

وليس من السهولة القضاء على هذه الظاهرة لمجرّد إتهامها بالتبعية لإيران، لتشابه في المذهب أو لامتداد في الجغرافية..

ولا يوجد سبب وراء الترويج للوجود الايراني في الجنوب العراقي غير الدعايات السياسية المضادّة التي تهدف لتقويض الآخر، وهذه لعبة مكشوفة فشل صدام وبعثه وكلّ مؤسساته القمعية والدعائية في تسويقها للشارع العراقي..

لقد وصل المخطط الغربي إلى أقصى درجات خطورته، وذلك بمحاولة استبدال الثوابت بخلق عدوّ جديد مفترض للدول العربية والإسلامية، وذلك باللعب على وتر الخطر الشيعي على الدول والشعوب السنية، وربَّما نجحوا نسبيا في ذلك، ففجّروا المراقد الشيعية، والمساجد السنية كشرارة للتطرّف الطائفي المقيت.

إن إيران الإسلامية ذات الأغلبية الشيعية، تتوافق مع النسيج العربي والإسلامي السني، أكثر من الصليبية والصهيونية، فمهما بلغت الخلافات العقدية فإنها بعيدا عن أصول الدين يمكن تجاوزها أصول واحدة: توحيد، وصلاة، وصوم، وحج، وكتاب واحد ونبيّ واحد وقبلة واحدة وعدوّ واحد، وما دون ذلك يمكن احتواؤه، فكما بين السنة والشيعة خلافات فلا يخلوا أهل السنة أنفسهم من خلافات، لكن السيد الأمريكي الذي يمقت السني قبل الشيعي، ويعتبر الإسلام بعد انتهاء الحرب الباردة، وتنحي الخطر الشيوعي، بان الإسلام هو العدوّ الافتراضي، وتجسيد هذا العداء بإعلانها حرب صليبية توراتية ضدّ الإسلام دون استثناء، وجعله رديفا للإرهاب.

التعاون السري الرسمي مع العدو الصهيوني

وعموما يمكن القول: إنَّ الساسة العرب وقعوا في الفخ الأمريكي

الصهيوني، وربَّما لا يمكنهم الخلاص منه، والدليل على ما نقول هو أنَّ الصهيونية الأمريكية تريد أن تقيم صراعا بديلا للصراع الإسلامي الصهيوني، لكي ينشغل الجميع في الفتنة، ولا يستفيد منها سوى الصهيونية، ومن ضمن ما حدث ما قررته وكالة المخابرات الفرنسية ونشرته جريدة صوت الأمّة المصرية[1]، وذلك في ١٥ نوفمبر / تشرين الثاني العام ٢٠٠٦ بعد انتهاء الحرب على لبنان، ونورد ما جاء بتقرير المخابرات حسب ما أرودته جريدة صوت الأمّة: «عندما قررت اسرائيل وأربعة بلدان مسلمة سنية ـ الأردن، السعودية، مصر، وتركيا ـ تشكيل تحالف استخباراتي إقليمي لمواجهة إيران، بسبب محاولاتها لتصنيع سلاح نووي، وجهودها لإقامة هلال شيعي يمتدّ من طهران الى بيروت.

ومن جهة ثانية، كشفت مصادر دبلوماسية النقاب عن أنَّ العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني نجح في إقناع نظيره السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز بالحاجة لتأسيس علاقات سرية مع إسرائيل.

وذكر موقع *Intelligence Online* الفرنسي أنَّ هذا التحرّك جاء بمبادرة من العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، الذي كان على اتصال دائم مع العاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز منذ بداية الحرب بين حزب الله وإسرائيل في ١٤ أغسطس/ آب.

وتابع المصدر أنَّ الملك السعودي قلق أيضاً بشأن خطر المدّ الشيعي الذي

---

(١)جريدة صوت الأمة المصرية في ١٥ نوفمبر / تشرين الثاني العام ٢٠٠٦، وقد عقدنا في مركز يافا للدراسات ومركز الفارابي مجموعة ندوات عن ذلك المؤتمر السري تم تهديدنا بسببها، ولكن أحدا لم ينكر الاجتماع وما جاء فيه.

ينتشر بالمنطقة، وأنَّ عبدالله الثاني يلقى دعما من رئيس وزرائه الجنرال معروف البخيت، المدير السابق للمخابرات العامة الأردنية، والذي عمل سابقاً سفيراً للأردن لدى إسرائيل.

وذكر أن ملك الأردن نجح في إقناع نظيره السعودي بالحاجة لتأسيس علاقات سرية مع الحكومة الإسرائيلية من أجل تنسيق الجهود، وأن ملك السعودية قبل أن يلزم نفسه بهذه العلاقات استشار الأمير بندر ابن سلطان أمين عام مجلس الأمن القومي السعودي، وسفير المملكة السابق لدى واشنطن، حيث كان يحتفظ باتصال دائم مع الإسرائيليين، كما استشار الأمير مقرن بن عبدالعزيز رئيس إدارة المخابرات العامة السعودية.

وأضاف المصدر أنه بعد أن أبدى كل من بندر ومقرن اهتماماً بفتح قنوات مع الإسرائيليين، قام عبدالله بن عبدالعزيز باستشارة وزير خارجيته الأميركي سعود الفيصل، الذي يُعدُّ من أكثر المستشارين الذين يثق بهم العاهل السعودي، ووافق سعود الفيصل أيضاً على الفكرة.

وبعد ذلك استشار ملك السعودية رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، الذي أرسل على الفور مسؤولين كبار من جهاز المخابرات المركزية التركية *MIT* إلى الرياض للقاء بندر ومقرن.

وأشار إلى أن مدير المخابرات المصرية اللواء عمر سليمان سافر مرتين إلى الرياض رسمياً من أجل تنسيق جهود ما بعد الحرب في لبنان، والدفع من أجل تشكيل حكومة وحدة وطنية في فلسطين بين فتح وحماس، بينما في الحقيقة سليمان زار الرياض لينقل موافقة الرئيس المصري حسني مبارك على الاتصالات السرية بين السعودية وإسرائيل.

وذكر أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز بعد حصوله على التشجيع السياسي والدبلوماسي أمر بندر بأن يجري مباحثات مع رئيس الموساد الجنرال مائير داغان، ووفقاً لمصادرنا، فإن هذا اللقاء حدث يوم ١٨ سبتمبر في قصر عبدالله الثاني بالعقبة، وحضر مع داغان يوران تربويتز وجادي شاماني مستشاري رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت.

ورافق بندر ثلاثة مساعدين بارزين في المخابرات، وحضر مع عبدالله الثاني الذي رحب شخصياً بضيوفه كلٌّ من البخيت، والمدير السابق للمخابرات العامّة الأردنية الجنرال محمد الذهبي، والسفير الأردني لدى إسرائيل علي العايد، ووفقاً لما قاله شهود عيان جرى الاجتماع في جوٍّ مريح للغاية، سيما وأنَّ بندر وداغان التقيا من قبل في عدّة مناسبات في واشنطن.

وأضاف التقرير أنَّ داغان قدَّم خلال المحادثات تقريراً حول آخر مستجدات البرنامج النووي الإيراني، وتحدَّث عن الدور الذي لعبته دوائر علمية باكستانية، وكذلك التعاون الروسي في هذا البرنامج، لكنَّ المباحثات تركّزت أساساً على الإرهاب الشيعي، وجهود إيران لتصدير ثورتها.

وتابع التقرير أنَّ عبدالله الثاني اتفق مع داغان على أنَّه من غير المتوقَّع أن يحدث تحوّل سياسي مهم من جانب حماس، لأن قيادة الحركة في فلسطين يعترضها صقور يعيشون في المنفى في دمشق وطهران.

وأشار التقرير إلى أن بندر من جانبه أصرَّ على أن تستأنف إسرائيل وبسرعة محادثاتها مع الرئيس محمود عبّاس من أجل تقوية موقفه في مقابل حماس، وفي نهاية اللقاء تقرر العمل على تبادل المعلومات الاستخباراتية بسرعة من أجل التعامل مع التهديد الإيراني، وفي هذا الإطار سيعمل مدير

المخابرات الأردنية كضابط اتصال بين المخابرات السعودية والموساد، وهذا التعاون يهدف إلى تهيئة الأرض لتشكيل تحالف استخباراتي إقليمي يضمُّ تركيا ومصر.

وأضاف التقرير أنَّ إيران أبدت ردَّ فعل سريع على اتفاق العقبة، إذ قامت في الأيام الأخيرة بإرسال أسلحة مضادة للدبابات والطائرات لحماس في غزَّة لأوّل مرّة، الأمر الذي يقوّي احتمال حدوث صدام جديد مع إسرائيل».

انتهى ما جاء بتقرير المخابرات الفرنسية وأوردته جريدة صوت الأمّة المصرية.

ردود على ساسة العرب

ماذا يعني ذلك، ألا يعني أنَّ القادة العرب أوقعوا أنفسهم في فخ الصهيونية، أو أن الولايات المتحدة الأمريكية أجبرتهم على التعامل الرسمي مع الكيان الصهيوني، ومن ثمَّ صاروا أمام شعوبهم لا يمثّلون أمانيهم؟ بل هم الذين يكشفون أنفسهم أمام تلك الشعوب المقهورة، فمن الذي يشكل الخطر على العرب والإسلام، من؟ ولنا أن نردَّ على تلك المزاعم العربية الرسمية التي تقول بأن الخطر الإيراني أشدّ من الخطر الصهيوني، وقد اخترنا بعض تلك الردود كأمثلة لكتّاب وإعلاميين عرب ردوا على تلك الأقوال، ولعل من أصدق من أجاب هذا السؤال، وعن الخطر الإيراني المزعوم ضدَّ العرب، أو عن الخطر الشيعي على أهل السنة هو ما قاله الدكتور فيصل الجاسم[1]، وذلك عندما قال أثناء الحرب على لبنان في صيف العام ٢٠٠٦ ما

---

(١)فيصل القاسم . نقلا عن موقع مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية،

يلي: «برز في الآونة الأخيرة مصطلح إعلامي عربي جديد هو «التحالف الصهيو ـ صفوي»، ويروّجه خصوم إيران في العالم العربي والمحذرون من تغلغلها في عموم المنطقة، وقويت شوكتها في لبنان وفلسطين ومناطق أخرى، وأصبحت تمتلك قوّة نووية.

ولكي لا يعتقد البعضُ أننا نؤيّد الأطماع الفارسية والصفوية في بلادنا، إن وجدت، لنسلّم مع المحذّرين جدلاً بأن هناك خطراً إيرانياً محدقاً بالمنطقة، كما يجادل بعض العرب، وخاصّة العراقيين منهم».

لكن ألا تعتقدون أن الحديث عن حلف «صفوي ـ أمريكي» أو «صهيو ـ مجوسي» يبعث على الضحك والسخرية أكثر من أي شيء آخر، ليس لأنه غير خطير، فهو قد يكون في غاية الخطورة، إن وجد، بل لأنَّ العرب، لا الإيرانيين، هم أكبر المتهافتين على التحالف مع الأمريكيين والصهاينة، إن لم نقل على الارتماء في أحضانهم «عمال على بطال»[1]، من أجل فتات لا يسمن ولا يغني من جوع.؟

إن الذين يحذّرون من مخاطر التآمر الإيراني ـ الإسرائيلي، أو الإيراني ـ الأمريكي المشترك على العالم العربي يعطوننا الانطباع كما لو أن الأنظمة العربية الحاكمة لا هم لها إلا مقارعة الأمريكان والصهاينة ليل نهار، وإنَّها تمضي جُلَّ وقتها في مناهضة مخططاتهم ومشاريعهم الاستعمارية، وإن أكثر ما

والدكتور فيصل القاسم إعلامي معروف وهو صاحب برنامج الإتجاه المعاكس، وبسببه فإن كثيرا من الدول العربية اعترضت عليه وعلى قناة الجزيرة لأنها تعطي العالم العربي الصورة على حقيقتها لا كما يريد بعض قادة الدول العربية

(١) عمّال على بطّال كلمة تعني دائما بدون توقف

يقلقها ويعكر صفوها هو الهيمنة الأمريكية / الإسرائيلية على المنطقة، وضرورة التصدّي لها بكلّ الوسائل، بينما معظم حكوماتنا في الحقيقة تستقتل في التحالف مع الأمريكيين والإسرائيليين حتى على حساب مصالحها، لا بل تتنافس على كسب ودّهم ورضاهم.

وإذا كان هناك تحالف صهيو ـ فارسي من تحت الطاولة فإن التحالف الصهيو ـ عربي معلن ومفضوح على رؤوس الأشهاد، فالأعلام الإسرائيلية ترفرف في سماء عواصم عربية عدّة «على عينك يا تاجر» بكلّ اعتزاز وافتخار، ناهيك عن المعاهدات والاتفاقيات التجارية والاقتصادية الاستراتيجية بين الدولة العبرية وبعض الدول العربية.

وحدث ولا حرج عن التعامل المخفي بين إسرائيل وبلدان عربية عديدة، قد يصل أحياناً إلى درجة التحالف غير المباشر، بالرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية معها.

رأينا أثناء العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان[1] كيف أنَّ بعض الدول العربية وقفت جهاراً نهاراً مع الهمجية الصهيونية ضدَّ المقاومة الوطنية اللبنانية دون أن يرمش لها جفن، مما جعل رئيس الوزراء الإسرائيلي يثني على «أولئك القادة العرب الحكماء» الذين باركوا فاشيته بحقّ الشعب اللبناني.

فلو أنَّ العرب الذين يحذّرون من مخاطر التواطؤ الإيراني الإسرائيلي أو الأمريكي كانوا مقاومين يتصدّون للهيمنة الصهيونية على المنطقة، لصدّقنا

---

(١) ذكر الدكتور ذلك بعد الحرب على لبنان في صيف العام ٢٠٠٦، وهو صالح بعد الحرب على غزة، وصالح في أي وقت

هواجسهم ومخاوفهم ممّا يسمّونه بالحلف «الصهيو ـ صفوي» المتآمر على العرب والعروبة، أمّا وأنَّهم يرون القشة في عين الإيرانيين ولا يرون الخشبة في أعينهم، فوالله إنَّهم منافقون أفاكون كالطبيب الذي يداوي الناس وهو عليل.

كيف لنا أن نقلق من ذلك التحالف الحقيقي أو المزعوم إذا كان الكثير من العربان المتخوّفين من الخطر «الشعوبي ـ الصهيوني» يتكالبون على التنسيق مع إسرائيل والسير على خطاها.

إن الفرس، فيما لو كانوا متحالفين مع الصهاينة على تقاسم النفوذ في الشرق الأوسط، قد يكونون محقّين، من منطلق أنَّهم قوّة عظمى إقليمية ناشئة لا تسمح لإسرائيل بالاستفراد بالنفوذ، وبالتالي تريد جزءاً من الكعكة الإقليمية، بينما لايمكن، بأي حال من الأحوال، تبرير التحالف «الصهيو ـ عربي»، لا سيما وأنَّ إسرائيل تحتلّ أراضي عربية، وتنكّل يومياً بالشعبين الفلسطيني واللبناني، وتحرق الشجر والبشر والحجر، وتتآمر على أبعد نقطة في الخارطة العربية ألا وهو السودان، مما يحتم على العرب مقاومتها بالغالي والرخيص بدلاً من عقد تحالفات ومعاهدات معها.

بعبارة أخرى فإن التحالف «الصهيو ـ صفوي»، إن وُجد، يأتي من موقع قوّة، بينما لا يمكن وصف التواطؤ الصهيو ـ عربي إلا بالاستسلام والتخاذل والتبعية.....

يجب أن نعترف أيضاً بأن إيران لم تسمح لجندي أمريكي واحد بالعبور إلى العراق عبر أراضيها، فيما وضع العديد من الدول العربية برهم وبحرهم وجوهم تحت تصرّف القوّات الأمريكية، وربَّما الإسرائيلية، كي تعيد العراق إلى العصر الحجري، كما توعّد وزير الدفاع الأمريكي السابق دونالد

رامسفيلد وأوفى بوعيده، ناهيك عن أنَّ مناورات «النجم الساطع» الأمريكية كانت قد جرت في صحراء عربية بمشاركة أكثر من خمسين ألف جندي أمريكي وعربي للتدرّب على القتال في الأراضي العراقية والخليجية، حتى قبل الغزو العراقي للكويت بوقت طويل، وذلك لأنَّ القوّات الأمريكية ليست معتادة على القتال في الصحاري والفيافي، أي أنَّ مخطط التآمر الصهيو ـ أمريكي ـ عربي على العراق كان يُطبخ على نار هادئة قبل مغامرات صدام حسين في الكويت، أيَّهما أخطر في هذه الحالة على الأمّة العربية، التحالف «الصفوي ـ الأمريكي» أم «العربي ـ الأمريكي» ؟

وحتى لو تحالفت إيران مع إسرائيل والأمريكان ضد العراق، فقد يكون ذلك مبرراً إلى حدٍّ ما، على اعتبار أن الإيرانيين خاضوا حرباً ضروساً ضد العراق، لمدة ثمان سنوات، حصدت أرواح مئات الألوف من مواطنيهم وكلفتهم المليارات.

أما العرب الذين تحالفوا مع أمريكا وإسرائيل ضدَّ العراق وغيره ليس هناك ما يبرر لهم جريمتهم النكراء، خاصة وأنَّ النظام العراقي السابق خاض مع «الفرس» نيابة عنهم حرباً مدمرة استنزفته مادَّياً وبشرياً، دفاعاً عن البوابة الشرقية للوطن العربي، وذوداً عن العديد من البلدان العربية التي خشيت من وصول الإمام الخميني ﷺ إلى السلطة عام ١٩٧٩ وإمكانية تصدير ثورته إليهم، وممَّا يزيد في سخرية المراقبين أنَّ العرب الذين يحذّرون الآن من خطورة إيران على المنطقة هم الذين مكّنوها من رقبة العراق كي تصول وتجول فيه وتستبيحه على هواها..... وقد يرى البعض في الدعم الإيراني لحزب الله في لبنان وحركات المقاومة الفلسطينية محاولة فارسية

مكشوفة لخداع الشارع العربي، وكسب النفوذ في المنطقة العربية، والتغلغل فيها عبر وكلاء الفرس المحليين، لكن حتى في هذا، فإن العرب الذي يحذرون، من الخطر الإيراني يخسرون في لعبة المقارنة، فالحركات التي تدعمها إيران أبلت بلاء حسناً ضد عدو العرب الأوَّل إسرائيل، ومرّغت أنفها بالتراب، فيما لم يقدم خصوم إيران العرب لحركات المقاومة سوى المؤامرات من أجل عيون إسرائيل. فقد وصل الأمر ببعض الناطقين بالعربية إلى تحريض حكام تل أبيب والشدَّ على أيديها لسحق المقاومين عن بكرة أبيهم، بينما كانت الأسلحة الإيرانية التي يستخدمها المقاومون تدمّر البوارج الإسرائيلية في عرض البحر، وتضطر أكثر من نصف سكان إسرائيل للنزول إلى الملاجئ ليعيشوا هناك كالفئران المذعورة.

هل يحقُّ للعرب بعد كل ذلك أن يعيّروا الإيرانيين بتحالفاتهم مع أمريكا وإسرائيل، إذا وجدت؟ لماذا «التحالف الصهيو ـ صفوي» حرام والتحالف «الصهيو ـ عربي» حلال زلال؟

إن حكاية العرب المحذّرين من التحالف «الصهيو ـ فارسي» يذكرونني بقصة ذلك اللص الذي كان يحاول سرقة خروف، فلم يعرف كيف يتغلّب عليه ويحمله، فمَّر عابر سبيل بجانبه صدفة، وأرشده إلى كيفية حمل الخروف، فلما مشى الشخص، صاح اللص معيّراً إياه: «آه يا حرامي الخُرفان»

انتهى ما قاله الدكتور فيصل ببعض تصرّف، وذلك بسخريته المريرة المعروفة، والتي تثبت أن حكاية الترويج لتحالف صفوي أمريكي هو في الواقع لإخفاء التواطؤ العربي الأمريكي.

وهو أيضا ما ذهب إليه الأستاذ محمد حسنين هيكل فقال: «إيران ليست

عدوّا، وإنَّما هى جار موجود في المنطقة، قد تكون بيننا وبينه تناقضات ولكنَّها عرضية، خلاف العرب هو مع نظام الثورة الإسلامية وليس الشيعة، إيران ليست حركة صهيونية وناس جايين من خارج المنطقة، أنا أمام شعب مسلم موجود وله تاريخ، يجب أن نفرق بين إيران كسياسة، وإيران التاريخية المسلمة»[١]

وهو أيضا ما رآه الأستاذ فهمي هويدي الذي حلل فيه مغزى ودلالات الشهادة التي أدلى بها المسؤول الأمني الأوّل في اسرائيل... فتحت عنوان: تجليات العبث «الإسرائيلي» في ديارنا كتب الأستاذ هويدي قال[٢]: لسنا بحاجة إلى سيناريو «المؤامرة» لكي نتتبع تجليات الاختراق والعبث «الإسرائيليين» في دول المنطقة، فالوثيقة التي تسرَّبت حول الشهادة المثيرة التي أدلى بها المسؤول الأمني الأول في الدولة العبرية تسلّط أضواء كافية على تدابيرهم ومخططاتهم، تغنينا عن الاجتهاد والتخمين في الموضوع.

واضاف: إنَّ الحديث كان عن استراتيجية الدولة العبرية في المنطقة، التي تناولتها محاضرة آفي ديختر رئيس «الشاباك» السابق جهاز أمن الدولة الإسرائيلية الذي صار وزيراً للأمن الداخلي في حكومة إيهود أولمرت، وهو في منصبه الأخير أدلى بشهادته أمام الدارسين في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، وهذه خلاصتُهُ:ـ

---

(١) كلام الأستاذ هيكل منقول عما ورد في وسائل الإعلام المختلفة أثناء وبعد مؤتمر القمة العربية في الدوحة في ربيع عام ٢٠٠٩

(٢) فهمي هويدي ـ فهمي هويدي تجليات العبث الاسرائيلي في ديارنا ـ جريدة البيان الإماراتية ٢٠٠٩/٤/١٥

في ما يخص الساحة الفلسطينية، قال: ديختر إنَّ إسرائيل استخدمت فيها كلّ الخيارات، فخيار القوّة مشهور ومعلوم للكافّة، أما الخيار الثاني الذي لجأت إليه فيتمثّل في السعي المستمرّ لتعميق الصراع بين الفصائل الفلسطينية وبين السلطة، التي أفرزتها اتفاقية أوسلو ١٩٩٣.

وذكر في هذا الصدد أنَّه حين كان رئيساً للشاباك، شارك في إعداد الحملات والملاحقات ضدَّ ما أسماه المنظمات الإرهابية، التي قامت بها الأجهزة الأمنية الفلسطينية، خاصة جهاز الأمن الوقائي، وقال صراحة: إنَّه في تلك المهمة وجد تعاوناً على أوسع نطاق من مسؤول الأمن في غزة، ومسؤول الأمن في الضفة!!، وحسبما ذكر فإن تلك الحملات أدَّت إلى إفشال مئات العمليات التخريبية، كما أدَّت إلى اعتقال العشرات من قيادات وكوادر تلك المنظمات، وأسهمت في وصول اليد الإسرائيلية إلى قيادات مهمة مثل المهندس يحيى عيّاش، والدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، والشيخ أحمد ياسين، وأبوشنب، وأبوعلي مصطفى وغيرهم.

تباهي ديختر بأن الصراع الذي دارت رحاه بين حركتي حماس وفتح كان نتاج سياسة إسرائيلية محكمة.

وقال: إنَّ ثمّة عوامل ساعدت على إنجاح ذلك المخطط، منها مثلاً إدراك الجهات المعنية في إسرائيل لعمق العداء لحركتي حماس والجهاد، بين قادة المؤسسة الأمنية الفلسطينية ومعهما بعض قيادات السلطة وفتح.

وهو العداء الذي ظهر جلياً بعد رحيل أبي عمار، ومن تلك العوامل أيضا شعور قادة الأجهزة الأمنية بأن تنامي حركة حماس يشكل تهديداً وجودياً لهم، واقتناعهم بضرورة حسم هذه المسألة خصوصاً بعدما تولَّى

أبومازن رئاسة السلطة..

وأضاف في هذا الصدد أن تيار الحسم الذي يستهدف قمع حركة حماس وإقصاءها لقي تأييداً مالياً وسياسياً ومعلوماتياً ليس من إسرائيل وحدها، وإنَّما أيضا من الولايات المتحدة والرباعية الدولية، وخلص الرجل إلى أنَّ استمرار الصراع في الساحة الفلسطينية يحقق مصلحة إسرائيلية من الدرجة الأولى، وأنَّ القضاء على حماس والجهاد يظلُّ هدفاً استراتيجياً ينبغي ألا تتوقف مساعي تحقيقه بكل السبل، وعن لبنان قال هويدي: في شهادته اعتبر ديختر أنَّ لبنان أكثر بيئة إقليمية تفرض التحدي الاستراتيجي على إسرائيل، وقال: إنَّ خيار القوة استخدمته إسرائيل مع حزب الله في عام ٢٠٠٦، وعدم نجاحها في تلك الجولة لا يعني استبعاد ذلك الخيار، الذي سيظلُّ قائماً، والاستعدادُ له مستمراً بوتيرة عالية. في الوقت ذاته فإن إسرائيل لم تتوقف عن السعي لإحداث الاضطراب وتعميق الشقاق في الساحة اللبنانية، وقد حققت في ذلك نجاحات عدّة، منها مثلاً أنَّها استطاعت خلق بيئة معادية للمنظمات الفلسطينية توّجت باندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥.

وفي هذا الصدد أشار إلى التنسيق الذي قام بين إسرائيل وبين بعض القوى اللبنانية في تلك الحرب، حيث زوَّدت إسرائيل تلك القوى بالسلاح والأموال، بموافقة رئيس الوزراء آنذاك إسحاق رابين ووزير الدفاع شمعون بيريز.

ومن هذه النقطة استطرد قائلا: إن المجهودات الإسرائيلية الاستخباراتية داخل لبنان والسياسية في المحافل الدولية، هي التي أجبرت السوريين على الانسحاب من لبنان.

إن الدور الإسرائيلي في إيجاد بيئة معادية للمنظمات الفلسطينية في

السبعينات تكرر مع حزب الله، الذي بذلت الأجهزة الإسرائيلية جهداً خاصاً لتشويه صورته وحصاره، ومحاولة استنزافه، وتمزيق قوتّه.... وهي في ذلك تخوض حرباً سرية لم تتوقف ضدَّ الحزب بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تقوم بحشد المنظمات، وإقامة المعسكرات للفرق التي تلتقي مع البلدين حول هدف التخلّص من خطره، وتحدّث في هذا السياق عن معسكرين لم يفصح عنهما، تتطلع إسرائيل إلى مساندتهما وتعظيم قوّتهما في لبنان، لكسب المواجهة الحاسمة ضد حزب الله.

بالتوازي مع ذلك أضاف أن إسرائيل تجرّب مع الولايات المتحدة محاولة اختراق الساحة اللبنانية، وزرع الاختلالات فيها، لتعميق النزاعات السياسية والمذهبية والطائفية، وقطع الطريق أمام تحقيق التوافق بين القوى السياسية، ومن ثمَّ استمرار إذكاء العداء لحزب الله ولسوريّة وإيران.

وبالنسبة لسوريّة قال هويدي: أمّا سوريّة فمن رأيه أنَّها غير جادّة في التوصَّل إلى سلام مع إسرائيل، وأنَّ أولمرت اعتبر أنَّ التفاوض معها يخدم خيارات إسرائيلية في التعامل مع كلٍّ من إيران وحزب الله، وهو ما لم يؤيّده ديختر الذي ذكر أن خيار استخدام القوَّة ضدّ سوريّة يؤيّده قطاع عريض من القيادتين السياسية والعسكرية.

إلى جانب ذلك اعتبر أن ثمة خيارات ثلاثة متاحة في الوقت الراهن للضغط على سوريّة،

أوّلها استراتيجية شدّ الأطراف التي كانت مطبقة منذ الخمسينات، وبمقتضاها لعبت تركيا دوراً مهماً في الضغط على سوريّة، ولكن بعد التحسَّن الذي طرأ على علاقات أنقرة ودمشق خلال السنوات الأخيرة،

فمن الممكن أن يقوم الأكراد بهذا الدور، وهو ما سعت إليه إسرائيل خلال السنوات الخمس الأخيرة، حين بذلت جهوداً حثيثة لتشجيع الأكراد على إقامة كيان خاصٍّ بهم في شمال العراق، والذي أصبح الآن دولة من الناحية العملية، معتبرة أن الدور الكردي في الضغط على سوريّة يمكن أن يعوض الدور التركي.

الخيار الثاني يتمثّل في استخدام الساحة اللبنانية للضغط على سوريّة، وحسب كلام ديختر فإن لإسرائيل أصدقاء في لبنان على استعداد للقيام بهذا الدور، لكنَّهم لا يريدون الكشف عن العلاقات التي تربطهم بتل أبيب، التي تحرص على استثمار موقف أولئك الأصدقاء بالتعاون مع الولايات المتحدة.

الخيار الثالث يكمن في التعامل مع المعارضة السورية، حين ساندتهم سياسياً ووفّرت لهم الدعم المالي الأمريكي، كما دربتهم عسكرياً، وهو نفس الأسلوب الذي اتبع مع بعض القوى المعارضة في السودان ولبنان.

في ختام هذه النقطة قال ديختر: إن شد أطراف الساحة السورية أمر ميسور، وإن هناك منافذ عدّة تحقق ذلك الغرض، عبر الأردن ولبنان وكردستان العراق.

وبالنسبة للعراق وايران قال هويدي: المعادلة الحاكمة لموقف إسرائيل الاستراتيجي من العراق تنطلق من الحرص على تقويض مظان القدرات العربية في دولها الرئيسية، من أجل تحقيق المزيد من الأمن القومي الإسرائيلي... هذه كلمات ديختر التي أضاف عليها أن العراق لا ينبغي أن يعود إلى سابق عهده وقوته، بحيث يصبح دولة مواجهة ضد إسرائيل وصاحبة دور على الصعيدين العربي والإقليمي، وهم يعوّلون كثيراً على

الأكراد الذين يحتفظون معهم بعلاقات تاريخية وثيقة منذ السبعينات، ولكنّهم لا يريدون الاكتفاء بما يمثّلونه من ضمانة لهم في شمال العراق، ولكنَّهم يتطلَّعون إلى توفير تلك الضمانة في بغداد ذاتها، حيث تحاول الأجهزة الإسرائيلية نسج علاقات مع بعض النخب السياسية والاقتصادية، تستهدف إبقاء العراق خارج دائرة الدول العربية المشتبكة مع إسرائيل، في هذا الصدد ذكر الرجل أن تحييد العراق عن طريق تكريس أوضاعه الحالية ليس أقل أهمية وحيوية من تكريس وإدامة تحييد مصر.

وحين تطرق الرجل إلى إيران، فإنه اعتبرها أكثر الساحات تهديداً لإسرائيل، وتصديراً للتحديات... وقال: إنَّ الحلَّ الأمثل هو تقويض النظام القائم في طهران، واستبداله بنظام علماني يستطيع أن يتفاهم مع الولايات المتحدة وإسرائيل.

لذلك فإنَّه انحاز إلى فكرة العمل العسكري الذي يستطيع أن يحقق هذا الهدف، وإلى جانب ذلك هناك خياران آخران هما: أوّلاً الضغط على إيران من خلال الوجود الأمريكي في العراق، ودعم منظمة مجاهدي خلق، واستخدام النفوذ الأمريكي في الخليج، وتطويق إيران من خلال الدول المحيطة بها.

أما الخيار الآخر فيتمثَّل في تفكيك الدولة الإيرانية التي تضمُّ عرباً وأكراداً وبلوشاً وفرساً وأتراكاً.. إلخ وهذه مهام لن تتحقق لها الفاعلية المطلوبة إلا إذا شاركت فيها الولايات المتحدة بشكل جادٍّ.

وفي رأيه أن لدى إسرائيل معلومات تشير إلى أنَّ إيران قد تنتهي من صنع أوَّل رأس نووي في العام الحالي (٢٠٠٩)، كما أنَّها حصلت من روسيا على

منظومة متطوّرة جدّاً مضادّة للجوّ، وهي أمور ينبغي ألا تسكت عليها إسرائيل، التي ينبغي أن تتحرّك لمواجهتها بحزم وسرعة.

وختم هويدي مقاله بالتساؤل التالي: ثمة أسئلة عديدة تلحُّ على المرء، وهو يستعرض هذه المعلومات منها مثلا: هل هناك أحد في العالم العربي يفكر في هذه الأمور، وهل هناك تشاور من أي نوع بين أركانه حول كيفية التعامل مع العبث الإسرائيلي، الذي لايزال يرى أن إسرائيل لن يهدأ لها بال، إلا إذا تمَّ إنهاك وتفكيك العالم العربي، وتدمير القوّة الإيرانية، لست واثقاً من وجود ردّ إيجابي عن هذه التساؤلات، الأمر الذي يدفعني إلى تخفيض سقف التوقّعات والاكتفاء بإبلاغ القارئ، لكي يكون على وعي بما يحيط به، والأمر متروك له بعد ذلك، ولله الأمر من قبل ومن بعد.... انتهى ما قاله الأستاذ هويدي...

ونحن هنا من جديد نعيد القول: إنَّ ذلك من ضمن المخطط المرسوم بعناية، وهو الهدف الإستراتيجي الصهيوني الأمريكي، وأنَّ الفزع المصطنع من إيران هو الذي تهدف إليه الصهيونية في كلِّ مراحل تأسيس كيانها، ولذا نؤكّد على أنَّ الساسة العرب يقفون ضدَّ إرادات شعوبهم، ويحاولون استخدام الدين لخدمة سياستهم المتطابقة مع السياسة الصهيونية الأمريكية، ووجدوا في بعض رجال الدين من يؤيّدهم، ربَّما عن حسن قصد، ولكنَّه في النهاية يصبُّ في مصلحة أعداء الأمة.

ثانيا: دور بعض علماء الدين ضدَّ الجمهورية الإسلامية

تستعمل الفتنة المذهبية لتأليب الرأي العام الإسلامي ضدَّ إيران، وقام الساسة العرب بالتخويف من إيران لأسباب سياسية أمريكية، ولكن

الغريب العجيب أن يتدخَّل بعض علماء المسلمين في النيل من إيران تارة، أو من مذهب أهل البيت عليهم السلام تارة أخرى، وذلك لأسباب لا تبدو مجهولة، ولكنَّها في النهاية تصبُّ في خانة الفتنة وتأجيج لهيبها، ولأنَّنا ندرك دور التكفيريين الذين لا يقتصر تكفيرهم على الشيعة، بل يكفرون كلَّ المسلمين المخالفين لهم في الرأي، ولكنْ أن يأتي علماء محسوبون على التقريب بين مذاهب الأمّة، فذلك هو الخطر الحقيقي، وخاصّة الدكتور يوسف القرضاوي الذي يحسب على العلماء المستنيرين، وله كتابات عن الوحدة الإسلامية، ولكنَّه فجأة انقلب على الشيعة، وراح يروّج لما زعم أنَّه تبشير شيعي في الدول السنيّة الخالصة مثل مصر، كما روّج آخرون لما أسموه الخطر الصفوي في مزاعم لا يقول بها العقل المسلم، ولنتذكر أن الخطر الصفوي كان يجسّده شاه إيران، وهو كان شرطي الخليج المسنود أميركيا وإسرائيليا. وأنَّ الثورة الإسلامية في إيران هي التي أغلقت سفارة إسرائيل، وحوَّلتها إلى السفارة الفلسطينية، أمَّا السفارة الأميركية، فقد احتلَّها الطلبة الثائرون.

استهداف الشيعة من أجل ضرب إيران

إنَّ المسلمين السنة ابتهجوا بالثورة، وتعاملت الشعوب العربية والمسلمة بإعجاب وانبهار بالثورة الإسلامية، ولكنَّ الموقف الرسمي تعامل معها باعتبارها خطرا على الأنظمة، ولكن شيوخ التكفير راحوا يكيلون لها الاتهامات، وأخيرا قال الدكتور القرضاوي ما قال في سابقة غير مألوفة منه[1]،

(١) ما قاله الدكتور يوسف القرضاوي معلوم ومنتشر، وقاله في أكثر من مناسبة وأكثر من مكان

ورغم أنَّ الأزهر الشريف فرّغ دعوة القرضاوي من مضمونها، ولكن لأنَّها مدعومة سياسيا نجد لها صدى كبيراً عند التكفيريين وعند السياسيين، وعند الأمريكان والصهيونية كلهم على قدم المساواة، ولكنَّ الشيخ القرضاوي أعطى لنفسه الحق، في التحدّث نيابة عن جموع أهل السنة، ويروج لما يروج له الكتفيريون، بل إننا نقول: إنَّه كان يخفي ميوله، ولكنه عندما رأى شيعة أهل البيت عليهم السلام بحكم أكثريتهم في العراق وصلوا الحكم بانتخابات نزيهه رغم قوّات الاحتلال، وهي انتخابات نزيهه بالقياس فيما يجري في الدول الإسلامية الأخرى، والتي لم يهاجمها القرضاوي أبدا، بل كال المديح للأمراء والشيوخ والرؤوساء جميعا، ولناخذ نموذج من إحدى خطبه للجمعة من أحد مساجد العاصمة القطرية الدوحة[1] الذي تباكى على أهل السنة في العراق، وحمَّل الشيعة مسؤولية قتلهم، وهتك حرماتهم، ودعا الى حفظ دمائهم، ورفض القتل الحاصل على الهوية ضدَّ ابناء السنة في العراق.

إنَّ القرضاوي لايرى القتل على الهوية الحاصل ضدَّ شيعة العراق، فلقد انبرى القرضاوي ودافع عن التكفيريين، وقال لم يثبت أنَّهم هم من قاموا بهذا، والفاعل مجهول، بل انه أشار بالايحاء الى الحكومة العراقية، التي وصفها بالحكومة الشيعية، وقوات الاحتلال والصهاينة انهم هم وراء الحادث؟.

الشيخ لا يرى الامريكان في قاعدة السيلية، وقنصلية اسرائيل التي هي بقرب المسجد الذي يلقي به خطبته، ولا يرى أنَّهم محتلّون لبلدة قطر التي حصل الشيخ على جنسيتها، وأصبح مفتيها الأوَّل، والمدافع عنها، وممثلها

---

(١) من خطب الشيخ القرضاوي المسجلة والتي استمعنا إليها .

في المؤتمرات والندوات الدينية...

إنَّ القرضاوي اليوم دافع عن مظلومية أهل السنة، لكنَّه أغمض عينيه لعقودٍ من الزمن عن اضطهاد آل سعود للشيعه، وانتهاك حقوق الشيعة في البحرين، وما حصل لشيعة العراق على يد صدام وزبانيته كل هذا لم يره القرضاوي...

الشيخ القرضاوي شارك بالتحريض ضدَّ شيعة العراق، وهاجم رموزهم الدينية، وألقي بالتهمة على مراجعهم الذين دعوا الى التظاهر السلمي للتعبير عن الاحتجاج على الحادث المروّع في تفجير ضريح الإمامين العسكريين في سامراء، ولا يتحمَّلون مسؤولية ما جرى على مساجد أهل السنة، ولم يدعون الى مهاجمتها، بل حرَّموا هذا العمل، ولا يمكن اعفاء القرضاوي من مسئوليته بحكم موقعه كرئيس لاتحاد علماء المسلمين، وقد أخذناه نموذجا لبعض علماء الأمّة الذين يخدمون الاستعمار بحسن قصد، على أهون التقديرات، كما أنَّه يخدم الرؤية الأمريكية الصهيونية في التفريق بين المسلمين جميعا.

ولكن من الجانب الآخر هناك علماء أجلَّاء رفضوا ما ذهب إليه القرضاوي، مثل فهمي هويدي ومحمد سليم العوَّا وغيرهم، ونأخذ مثالا واحدا منهم، وهو المستشار طارق البشري الذي سمَّى ما قاله القرضاوي بالفشايست، ونورد ما قاله بنصَّه نظرا لأنَّه يمثل وجهة النظر الحقيقية التي يراها المسلمون، والتي تخالف مع ما يروّجه الساسة والتكفيريون، فقال المستشار البشري[1]: «فشت الفاشية في الأيام الأخيرة، من عدد من علماء

---

(١) جريدة الدستور المصرية، وقد نشر رد المستشار البشري في كثير من المواقع الاكترونية.

المسلمين من السنة، والمهتمين بالشأن الإسلامي العامّ، حول ما وصفوه بأنه نشاط للتبشير الشيعي في صفوف سنّة المسلمين، وإحياء لما ردده بعض غلاة الشيعة قديماً عن الصحابة، ممّا تستنكره الغالبية منهم، وتعميماً لأقوال قديمة لهذه القلّة بحسبانه من أصول المذهب الشيعي، ومؤاخذة لجمهور العامّة بأقوال هذه القلّة المستهجنة.

ونحن في هذا الأمر نريد أن نضع أمام القارئ المسائل الآتية:

أولاً: أن مذهب الشيعة الجعفرية من مذاهب المسلمين، وهو يدور في إطار أصول الدين الإسلامي التي تعتبرها جماعة المسلمين من ثوابتها العقيدية، وغير الرسمية.

ثانياً: إنَّ الحراك الذي قد يجري بين مذاهب المسلمين المعتبرة هو حراك داخل الجماعة الإسلامية، مادام يقوم في إطار الالتزام بثوابت الدين وأوامره ونواهيه، وهو بهذه المثابة يمثّل نوعاً من تعدد الاجتهادات، وتنوع النظر في الشئون الجارية ما دام ينطلق من ضوابط العقيدة الإسلامية بوصفها المرجعية العامة.

ونحن إنْ كنّا نحذّر من أن يتّخذ هذا الحراك أساليب تؤدّي إلى الاحتكاك بين ذوي المذاهب المتعددة، إلا أننا نلفت النظر إلي ما ينبغي من وضع هذه المسألة في مصافّ الأمور الثانوية، مقارنة بما يواجه الإسلام والمسلمون الآن من محن ومخاطر وأزمات.

ثالثاً: إنَّنا في ظروف تاريخية وسياسية تستوجب علينا أن نجعل معيار التصنيف والتميز للمواقف والجماعات والأحزاب والمؤسسات والأشخاص، هو مقاومة العدوان والتهديدات الاستعمارية والصهيونية على شعوبنا وبلادنا

وأراضينا وثقافاتنا، دون تفرّق بين فريق وفريق داخل أهل كلّ مذهب، فلا ننظر للموالين لكل مذهب بحسبانهم جماعة واحدة، ولكن نتعامل مع كل فريق بموجب اندراج أهله في صفوف المقاومة والمنعة، أو في صفوف المتخاذلين والمتهاونين.

رابعاً: أن تفشو الفاشية الآن باسم السنة جميعاً ضدَّ الشيعة بعامّة، هو أخطر ما يمكن أن يواجه الأمّة الإسلامية، لأنّه يحوِّل بأس المسلمين إلى بعضهم البعض، بدلاً من أن يكون بأسهم من المعتدين عليهم الغازين لأرضهم المستعبدين لأوطانهم.

وليس ممّا يصحُّ في موازين تقدير الواقع أن يثير البعض مخاوف أهل السنة جميعاً، وهم أربعة أخماس المسلمين من خمسهم الآخر، وذلك بزعم غير محقق ولا مؤكَّد عن أن لهم نشاطا دعوياً مذهبياً بين أهل السنة.

وليس يصحّ في تقدير الأحجام والأوزان البشرية، أن تنظر الغالبية السنية إلى شهادة تسعة أعشار المسلمين بحسبانها طائفة إزاء العشر الباقي، ولا يصحُّ أن يخفي على هذه الغالبية أنَّها بموجب حجمها ووزنها عليها المسئولية الأكبر في حفظ وحدة الجماعة واحتضان فصائلها والتقريب بين بعضهم البعض.

خامساً: لو كنا ذوي أديان مختلفة لحق علينا أن نتوحَّد في مواجهة أعدائنا المشتركين المعتدين علينا، لا أن نتخالف هكذا في مواجهة ما نلقاه من عدوان وغزو ومحاولات للمحو والسحق.

إنَّها ريح تأتي من غير أحباب المسلمين، وهي لا تفرق في اهدار كرامتنا، وطمعها فينا بين سني وشيعي، وهي تهدف لإرساء الفرقة بيننا لنكون ألين مكسراً

سادساً: إننا نعجب أن هذه الفاشية جمعت بين من عرفوا بالاعتدال والوسطية، وبين من عرفوا بالغلو ودعوا للعنف، جمعت بينهم في ذات الموقف السياسي، وفي ذات التوقيت، وجمعت بينهم بمبادرة منهم، دون أن تقوم مناسبة تستوجب تخويف سنة المسلمين من شيعتهم، ودون أن يثور حدث يفسر شيئاً من ذلك، إنَّما ظهر الأمر بالأقوال والتصريحات والأحاديث والبيانات، ليثير الأحداث ويقلِّب الواقع ويصرف الناس من شأن إلى شأن.

ويجري ذلك في الوقت الذي تعمل فيه السياسة الأمريكية الإسرائيلية على محاصرة حزب الله اللبناني وتصفيته، وهو الآن من أهمّ قوى المقاومة الوطنية الضاربة القليلة التي يملكها العرب، وهو الداعم لحركة المقاومة الفلسطينية السنية، كما تعمل ذات السياسة علي ضرب النظام الوطني في إيران المناوئ للعدوان الأمريكي الإسرائيلي في المنطقة، وتهددها إسرائيل بضربة عسكرية سريعة، ومن ثمّ تسعي السياسة الأمريكية الإسرائيلية إلى عزل قوى المقاومة هذه في محيطها العربي الإسلامي ليسهل ضربها، وعلى تحويل كراهة المسلمين من الخطر الصهيوني الحقيقي إلى خطر شيعي متوهّم.

سابعاً: أن هذه الفاشية نكاد نلحظ في دوافعها موقف بعض الدول بالمنطقة، التي اعتادت أن تنطق باسم الإسلام والسنة، واعتادت مناصرة السياسة الأمريكية المناصرة للموقف الإسرائيلي، وهي ذاتها من كانت تضع أيديها في أيدي شاه إيران الشيعي الفارسي الصفوي في ستينيات القرن العشرين ضدَّ سياسة مصر الوطنية، ومنها السياسات العربية الوطنية وقتها، رغم أنَّها كانت سياسات عرب وسنة مسلمين، فليس الثابت هو الموقف من

الشيعة، ولكنه الموقف المؤازر للسياسة الأمريكية.

ثامناً: إننا نرجو من علمائنا الذين نعرف فضلهم وقدرهم في الاجتهاد الفقهي والدعوة الإسلامية والمواقف الوطنية، أن ينأوا بأنفسهم عن أن تستخدم آراؤهم في غير ما يحبّون وفي غير ما قضوا حياتهم وبذلوا جهودهم في الدفاع عنه، وهو نهضة المسلمين ومقاومة أعدائهم»

انتهى ما قاله المستشار البشري. وهو ما يؤكّد أنَّ العلماء الحقيقيين يرون الخطر، ويحاولون محاربته، ولكنَّ السياسة الآن لا تأخذ من هؤلاء العلماء، وتأخذ ممّن يخدم سياستهم، ومن رجال دين يفترض أنهم يسعون لوحدة الأمة، حيث نجد علماء دين يروّجون للفتنة، مثل الفتوى التي قالها الشيخ التكفيري عبد الله بن جبرين أثناء ما كان الكيان الصهيوني يضرب الأبرياء في لبنان عام ٢٠٠٦، وهي الفتوى التي نشرتها الصحف الإسرائيلية دليلا على أنَّ الخطَّة التفريقية الصهيونية مكللة بالنجاح[١]، فقد قال ابن جبرين في فتاوه عن حزب الله، «لا يجوز نصرة هذا الحزب الرافضي، ولا يجوز الانضواء تحت امرتهم، ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين، ونصيحتنا لأهل السنة أن يتبرّأوا منهم، وأن يخذلوا من ينضمّوا اليهم، وأن يبينوا عداوتهم للاسلام والمسلمين، وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فانَّ الرافضة دائماً يضمرون العداء لاهل السنة ويحاولون بقدر الاستطاعة اظهار

---

(١)فتوى ابن جبرين ضد حزب الله روجها الإعلام الصهيوني، وعلى العموم ننصح بمراجعة فتاوى شيوخ تكفير من يخالف السياسيين، ويخالف مذهبهم، مثل فتاوى الشييوخ با باز وابن عثيمين والفوزان وأمثالهم من جمعيا أنصار السنة في البلاد المختلفة، وفاتوى قادة طالبان الذين قتلوا شيعة مزار شريف وغيرهم ....

عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، واذا كان كذلك فانَّ كلَّ من والاهم دخل في حكمهم لقول الله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)[١]».

ومثلها الفتاوى التكفيرية التي تطلب من المسلمين عدم الإضراب أو الاعتصام أو مقاطعة السلع الصهيونية[٢]، وذلك أثناء الحرب الصهيونية على غزة، فهل هناك أكثر من تلاعب بالدين؟ !

من هنا نجد خطورة اللعب بالفتاوى على وحدة الأمَّة، لأنَّ الصهيونية لا تفرّق بين المسلمين حسب مذاهبهم، ومن ثمَّ لابدَّ من ذكر أن السياسة تستخدم الدين في خدمة الاستعمار، ولا نملك إلا أن نحتسب ذلك عند الله سبحانه وتعالى....

---

(١) سورة المائدة : ٥١

(٢)وردت فتاوى كثيرة لشيوخ كبار تمنع مقاطعة السلع الصهيونية والأمريكية، وهي فتاوى تخدم السياسة العربية المتعاونة مع الأمريكان، ونقارن ذلك بفتوى الإمام الخميني ﷺ الذي حرم استعمال أي أدوات صهيونية، لنتأمل ذلك جيدا !

الفصل الخامس

إستراتيجية الثورة

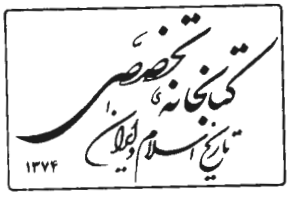

بعد أن استعرضنا الإستراتيجية الأمريكية الصهيونية ضدَّ الدول الإسلامية، وضد الجمهورية الإسلامية بصفة خاصّة، لما تراه الدولة الصهيونية خطرا عليها، نجد أن الجمهورية الإسلامية وضعت لنفسها استراتيجية عامّة وشاملة، من أجل الوقوف ضدَّ المشروع الاستعماري الأمريكي الصهيوني، تقوم على ذراعين أساين هما القوة الاقتصادية، ودعم قوى المقاومة، لأنَّ إستراتيجية أيَّ ثورة تنبع في الأصل في تطبيق الشعارات الثورية بعد الثورة، ثم كيفية تطبيقها بعد نجاح الثورة، ومعظم الثورات لم تتمكن من تحقيق شعاراتها، ولكن وفي حالة الثورة الإسلامية، نجد أن شعاراتها قامت على التصدي للاستكبار العالمي والصهيونية العالمية، ثم السعي نحو تحقيق اقتصاد إسلامي، وأيضا تحقيق قدر من الوحدة الإسلامية، وبعد الثورة بثلاثة عقود نستطيع القول إنها نجحت في ذلك نجاحا بارزا ومؤثّراً ومهمًّا وملهما، فقد قامت بالعمل على أربعة مرتكزات من أجل تحقيق أهدافها، وهي الاكتفاء الذاتي اقتصاديا وعلميا، والعمل على حرية الشعب الإيراني في اختيار قادته، والعمل على الوحدة بين المسلمين جميعا، ثم دعم المقاومة في البلاد الإسلامية. ومن خلال تلك الإستراتيجية تمكّنت الجمهورية الإسلامية على تحدي الحصار الظالم الذي فرضته عليها

الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن قوى المقاومة التي ساعدتها إيران تمكنت من إلحاق الهزيمة تلو الأخرى للكيان الصهيوني المدعوم بالقوّة الاستعمارية الكبرى في العالم وهي أمريكا، ولذا في هذا الفصل نتحدّث عن الإستراتيجية للجمهورية الإسلامية عبر ثلاثة أسس....

أوّلاً: القوّة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي

لابد لمن يواجه القوى الاستعمارية عليه أن يتسلّح باقتصاد ذاتي مكتفي، فلا يطلب معونة ولا يستورد سلعة غذائية يمكن قطعها عنه، فمن يستورد غذاءه يصدر إرادته، وفهمت الجمهورية الإسلامية ذلك، فسعت إليه فلا تحتاج لأحد، ومن هنا نجد أنها اكتفت من غذائها، بل صدَّرته ومنحته للمستحقّين، والانجازات الاقتصادية عديدة ومتنوعة للجمهورية الإسلامية أثبتت أن الإسلام عندما يطبق في صورته الرسالية يمكنه تحقيق المعجزات، فالمنجزات الاقتصادية للثورة الإسلامية في إيران يمكن تلخيصها فيما يلي[1]:

١. صيانة وحفاظ مصادر الثروة الطبيعية في البلاد، والحؤول دون نهبها من قبل الأجانب.

٢. الحفاظ على بيت المال ومنع الإسراف والتبذير في ثروات البلاد.

٣. الاهتمام بالقرى والمناطق المحرومة، وتوفير إمكانات البناء والأعمار فيها.

٤. تطوير إمكانيات الحياة في المدن.

---

(١) إيران على أعتاب عام ٢٠٠٠ ـ مصدر سابق

٥. تقوية البنى التحتية للتنمية، ويأتي في هذا الإطار إعداد القوى البشرية الفاعلة والماهرة.

٦. تطوير مصادر الطاقة وبناء السدود وتوسيع شبكة الاتصالات والطرق والموانئ.

٧. تطوير المراكز التعليمية في كافة أنحاء البلاد والسعي من أجل الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية، وفي مجال الصناعات العسكرية، وفي إطار تقوية البنى والأسس في ظلّ الاقتصاد الإسلامي، فإن الهدف هو تلبية حاجات الإنسان على مسيرة تكامله[١].

والنظام الاقتصادي الإسلامي وخلافاً للنظم الاقتصادية الأخرى، يرفض تركيز الثروات وتكاثرها ويرفض الاستثمار بمعناه السلبي أي الاستثمار غير الصحيح.

إنَّ المدارس المادية في حدِّ ذاتها تعتبر الاقتصاد هدفاً، ومن هنا فإن الاقتصاد غير الإسلامي قد يكون سبباً للفساد بأنواعه المختلفة، وعاملاً يسهم في نخر بنية المجتمع.

أمَّا في إطار الرؤية الإسلامية، فإن الاقتصاد يعتبر وسيلة لا هدفاً، وبطبيعة الحال فإن الوسيلة من شأنها تحقيق الهدف المنشود من خلال سلوك أفضل الطرق[٢].

ومن خلال الاستضاءة بهذه الرؤية يمكن لنا أنْ نقول: إنَّ البرنامج

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الاقتصادي الإسلامي يهدف إلى توفير الأجواء المناسبة للنمو والازدهار وسعادة الإنسان. الاقتصاد الإسلامي يوفّر الإمكانيات بالتساوي، وبما يتناسب والجميع في المجتمع، بغية رفع الحاجات الضرورية للإنسان ومن أجل ديمومة المسيرة التكاملية لديه.

فهذا كلّه من واجب الحكومة الإسلامية[١].

إن التبعية الاقتصادية في أي بلد تقود بلا أدنى شكّ إلى تبعية ثقافية وأخرى سياسية فيه. ومن الأمور المهمة في أيّ اقتصاد الواردات والصادرات وخلال فترة حكم النظام البهلوي، ازداد حجم التجارة الدولية لإيران، لاسيما مع الغرب وخاصَّة مع أمريكا، بيد أن الجمهورية الإسلامية في إيران، سعت بعد انتصار الثورة لتغيير خطّ سير هذه التجارة، وأصبح القسم الأوفر من التجارة الخارجية لإيران مع بلدان العالم الثالث، أو البلدان النامية[٢].

إنَّ الصناعة تشكّل جزءاً كبيراً من الاقتصاد، وفي الدول المتقدّمة تطوّرت الصناعات المختلفة، وكان أن ورثت الجمهورية الإسلامية عن النظام السابق في إيران، صناعة التجميع وهي لا تدخل في حيز الصناعات الأساسية والمتطوّرة، لأنَّها تعتمد على تقنيات الآخرين، ولو اطلعنا على نشاطات الجمهورية الإسلامية في مجال الصناعات الثقيلة والصناعات الأم، وهي في أغلبها تابعة للقطّاع الحكومي، لألفينا أن إيران قد حققت أهدافا سامية في

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

هذا المجال[١].

ومن هنا جاء اهتمام الحكومة الإيرانية في العهد الجمهوري بأمَّهات الصناعات في البلاد، مثل صناعة تعدين النحاس في سرجشمه في كرمان، وصناعة الفولاذ في(مباركة) في أصفهان، ومصانع السيارات، ومحطَّات توليد الطاقة، وحتى في أقسى الظروف لم تغفل حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران عن مساعيها في تكميل وتطوير هذه الصناعات الأساسية. إنَّ النفط هو ثروة طبيعية هائلة في إيران، ولهذا الذهب الأسود كما يسمونه صناعاته الخاصَّة به، من البحث والتنقيب والكشف والاستخراج والتكرير والتصفية، هذا فضلاً عن الصناعات المشتقَّة عن حقل البترول، مثل الصناعات البتروكيميائية، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩ تمَّ تأميم النفط الإيراني بشكل حقيقي، حيث قامت حكومة الجمهورية الإسلامية بالاستغناء عن خدمات ١٨٠٠٠ من العاملين في المجال النفطي من الأجانب، واستعاضت عنهم بأيدي عاملة وطنية[٢].

وعلى الرغم من أن الصناعات النفطية في إيران، وعلى مدى ثمانية أعوام من الحرب المفروضة، كانت الهدف الأساسي لهجمات الأعداء، فإن النجاح كان حليفها في مختلف مجالاتها، حيث توفّرت في البلاد مصادر الطاقة اللازمة للحياة اليومية للناس، وتوفّر الوقود اللازم لتحريك وسائل النقل والمعدات الحربية، وفضلاً عن هذا كانت الصادرات النفطية الإيرانية تشقُّ

---

(١) نفسه

(٢) المصدر السابق

طريقها إلى الخارج عائدة على البلاد بمصادر مالية من العملة الصعبة.

وفي مجال صناعة ونصب الآلات والمعدّات أثبت المهندسون الإيرانيون جدارة ملفتة للنظر. وبشكل عام فإن عدد العاملين الأجانب أو الخبراء الأجانب، قد انخفض إلى أدنى مستوى في إيران بعد انتصار الثورة[١].

وفي مجال افتتاح وتشغيل المشاريع الاقتصادية المتعددة بعد الثورة، تتحدث التقارير ذات العلاقة عن فاعلية كبيرة وموفّقة، صناعة النفط في إيران، بعد الثورة لها سجل وضّاء، كما أن الصناعات العسكرية هي الأخرى أصبحت مضرب المثل، وكان الاهتمام بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران ينصبُّ على إعداد الكوادر الكفؤة، وأصبح التقدّم ملحوظاً بالكامل[٢].

إرساء دعائم الاقتصاد الإسلامي لدعم المحرومين

ومن المنجزات المهمَّة للثورة الإسلامية في إيران السعي لتطبيق قوانين الاقتصاد الإسلامي، وجعل القوانين والأحكام الإسلامية هي الأساس في هذا المجال[٣].

وحيث إنَّ النظام السابق ما كان ملتزماً بالقوانين والأحكام الإسلامية، فإن سياساته الاقتصادية، وكما هو الحال في سائر سياساته كانت بعيدة عن الضوابط الشرعية والإسلامية، بيد أن الحكومة الإسلامية في إيران قد طبَّقت الاقتصاد الإيراني مع المعايير الإسلامية، فالإمام الخميني ﷺ كان

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

يرفض المذاهب والمدارس الاقتصادية غير الإسلامية، لاسيما الاقتصاد الماركسي، والاقتصاد الرأسمالي، وكان سماحته يؤكّد على الدوام على لزوم تطبيق القوانين والمقررات المستوحاة من روح الاقتصاد الإسلامي[١].

مواجهة الفساد المالي والاقتصادي

من أسباب معارضة الإمام الخميني ﷺ لنظام حكم الشاه البهلوي هو سيادة النظام الرأسمالي في عهد ذلك الحكم على إيران وما جرَّه هذا الأمر من أنواع الفساد المالي والاقتصادي.

وكان البناء السياسي لنظام حكم الشاه لا يسمح إلا للرأسماليين وكبار الملاك بتصدي واضطلاع المسؤوليات الأساسية في البلاد، وكان أن أدَّى هذا الأمر إلى هيمنة هذه الفئة على مقدّرات الناس، وقاد في ذات الوقت إلى إشاعة الفساد الاقتصادي والمالي على أيدي رؤوس النظام وأقطابه، فنخر هذا الأمر في بنية اقتصاد البلاد.

كان من نتائج كلّ ذلك أن صار الاقتصاد الإيراني يفوق كثيرا من اقتصاديات الدول المتقدّمة، رغم الحرب والحصار الدائم وتجميد الأموال الإيرانية في البنوك الغربية، وكان ذلك من أهم معالم الإستراتيجية الإيرانية في عهد الثورة، فتحرير الاقتصاد أدّى لتفجير طاقات المجتمع، ولا يمكن لدولة تتصدّى لإستراتيجية ظالمة دون الاعتماد على النفس[٢]، وذلك من أوليات الخطّة

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الإستراتيجية للجمهورية الإسلامية للوقوف ضدّ الهجمة الامبريالية الصهيونية وخططها الإستراتيجية، ولو لم تفعل الجمهورية الإسلامية ذلك التحرر الاقتصادي، والانحياز للاقتصاد الإسلامي لما تمكّنت من الشروع في البرنامج العلمي الشامل لها، ولما تمكنت من مساعدة قوى المقاومة.

ثانيا: مساعدة الثورة للمسلمين

تأسست الإستراتيجية الثورية للثورة الإيرانية كما قلنا على أسس، منها مساعدة المسلمين في كل مكان وذلك بعد أن اسست اقتصادا إسلاميا رساليا مكتفيا بذاته، وذلك في إطار إسلامية الثورة بصفة عامة، وليس في انتصارها فقط لشيعة أهل البيت عليهم السلام، مع العلم بأن مساعدة الثورة للمسلمين في العالم تأتي ضمن الإطار الإستراتيجي للثورة، لأن التمدد الثوري له ما يبرره في الإطار الإسلامي والإنساني، لأن الثورة للمستضعفين في العالم بأسره، ولو أن الثورة لم تساعد قوى المقاومة، لاتهمها المسلمون بالمذهبية، ولكنها ساعدت المسلمين رغم كل الحروب العسكرية التي قادها صدام حسين، وأسهم فيها الكثيرون من الأنظمة الإسلامية، وأيضا يتمّ تشويه الشيعة من أجل تنفير الناس من الثورة، ورغم كلّ ذلك، فقد ساعدت الثورة المسلمين، في البوسنة والهرسك ولبنان وفلسطين وغيرها من بقاع العالم، رغم أنَّ مجازر حدثت لشيعة أهل البيت عليهم السلام في كثير من المناطق، كما حدث على سبيل المثال في مدينة مزار شريف في أفغانستان، عندما كانت تسيطر طالبان على الأرض الأفغانية، ولكن إيران الدولة والثورة يعنيها فقط مساعدة المسلمين والتصدّي للمشروع الصهيوني الأمريكي ضدّها، وهنا نورد بعض تلك المساعدات التي

قدّمتها الجمهورية الإسلامية لبعض المسلمين، لا كلَّ ما قدمته..

الثورة الإسلامية والبوسنة

قامت الثورة الإسلامية وكانت البوسنة والهرسك ولاية يوغسلافية تحت وطأة النظام الشيوعي الذي تنبأ الإمام الخميني ﷺ بسقوطه، وهو ما حدث بالفعل، وعندما أراد مسلمو البوسنة الاستقلال، والبحث عن هويتهم الإسلامية، وقف لهم الصرب بالمرصاد، وأقاموا المجازر الجماعية ومذابح التطهير العرقي، كما حدث في المذبحة الكبرى التي أقامها الصرب في مدينة سربرنيتشا عام ١٩٩٦، في ذلك الوقت حاول المسلمون وقف تلك المذابح الدامية، وكان للجمهورية الإسلامية الدور الأكبر في ذلك، فقد دعمت إيران الجهاد البوسني بكلّ ما أوتيت من فكر وروح وقوة وعزم وصلابة موقف وسلاح وعتاد وخبرة لوجستية عسكرية سياسية ودينية، إلى ما هناك من أنواع من الدعم النابع من عمق المفهوم الإسلامي، والمرتكزات الثورية، التي كانت أساس الهيكل الثوري في إيران، القاضي بأن تكون نصيرة للمستضعفين في الأرض بمواجهة المستكبرين.

وقد عبر خير معبر عن حقيقة هذا الدعم زعيم البوسنيين علي عزت عزت بيوغوفيتش أثناء زيارته لإيران من أمام ضريح الإمام الخميني ﷺ مبديا امتنانه هو ومسلمي البوسنة لحكومة آية الله خامنئي، وحكومة وشعب إيران كونهم أكثر من قدّم الدعم لبلاده وشعبه في مواجهة المجازر الصربية[1]

---

(١) المصدر السابق

ومن إيران الإسلام أعلن تصريحه الفريد في دلالته في الزمان والمكان قائلا: «إذا استمرَّت الحالة الراهنة لشعب البوسنة سنضطر إلى استخدام الغاز السام للدفاع عن أنفسنا، ووضع حد للجرائم التي ارتكبها الصرب، رغم أن هذا قد يكون ضدَّ رغباتنا الحقيقية»[١].

هذا وقد كان الإمام الخامنئي في إيران قبل زيارة علي عزت بيغوفيتش بأسبوعين عام ١٩٩٢ بالاستعداد لإرسال متطوعين للبوسنة، وقد ذهب الكثير منهم فيما بعد كمدرّبين عسكريين بينهم ٥٠ مدرّبا أرسلهم حزب الله، وحركة التوحيد الإسلامية، التي تربطها علاقات إستراتيجية بإيران، وهي التي قد تأسست تأثرا بثورتها، ليترسخ التحالف بعد الموقف المشرف للإمام الخميني في الاستجابة للشيخ سعيد شعبان أمير حركة التوحيد الإسلامي في لبنان عندما حوصر في طرابلس من بعض القوى اليسارية، إذ أرسل المذكور برقية إلى كثير من حكام العرب والمسلمين يطلب منهم إنقاذه ممّا يتعرض له وأتباعه من عملية إبادة، فلم يتلقَّ منهم جواباً باستثناء الإمام الخميني ﷺ، الذي أرسل السيد علي الخامنئي وكان رئيساً للجمهورية على رأس قوّة من حرس الثورة فدخلوا لبنان، بأسلحتهم، واخترقوا الحصار وأنقذوا الشيخ المحاصر وجماعته من هلاك كانوا يتعرضون له[٢].

ولم تكتف إيران وحزب الله بهذا، بل اوغلوا في الدعم حتى بعد الحظر

---

(١) متابعاتنا لمذبحة التطهير العرقي الذي حدث في البوسنة والهرسك خلال أوائل أعوام التسعينيات، فقد كنا نتابع مجهودات الدول المختلفة التي ساعدت المسلمين، وكذلك يراجع موقع جمهورية البوسنة والهرسك

(٢) المصدر السابق

الجوي المفروض من الغرب على مطار زغرب، فقد استمروا في إرسال السلاح تحت غطاء المساعدات الإنسانية، لتكون إيران الدولة الوحيدة التي تكسر الحظر الجوي، وقد تم اكتشاف إحدى شحنات الأسلحة المرسلة حينها بحسب مسئول في الأمم المتحدة في مقال لصحيفة أوسيرفر (لندن) الأحد، في ١٨ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٢.

وقد أعاد القيادي الإخواني المصري إبراهيم صلاح إلقاء الضوء على هذه النقطة في معرض ردّه على الهجوم ضد إيران، وخطها العقائدي دفاعا عنهم، وإحقاقا لحقّهم، فقال[١]: «ومازلت أذكر أنه حينما ضيقت أوروبا الخناق على مسلمي البوسنة، وقامت بإغلاق مطار زغرب الذي كان يستقبل المساعدات قامت المخابرات الإيرانية بعقد اجتماع في طهران حضره ممثلون عن قيادة البوسنة، والمافيا الإيطالية لتنسيق إرسال الأسلحة إلي البوسنة،» وقد كتب كريستوفر كوكس في ٢٦ أبريل / نيسان ١٩٩٦ مقالات تحت عنوان «تعزيز النفوذ الإيراني في البوسنة» حول بعض العمليات السرية التي نفذّها الحرس الثوري عبر تسيير ٨ رحلات شهريا معبأة بآلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر التي يكون منشؤها إمَّا في إيران، أو تمَّ شراؤها وشحنها مع الدعم الإيراني، وقد تمَّ تسريب العديد من المدرّبين الإيرانيين أيضا، لرفد البوسنيين بالخبرة والقتال لجانبهم، وقد تراوح عدد المتطوّعين الإيرانيين ما بين ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ متطوّع بقي منهم من ٢٠٠ لـ٣٠٠، حتى فترة ما بعد انتهاء الحرب.

---

(١) المصدر السابق

و قد اقتحم رجال الكوماندوز الفرنسي شاليه معزولا في البوسنة في ١٥ شباط / فبراير ١٩٩٦ مركز تدريب يزخر ببنادق للقناصة وقاذفات صواريخ ومتفجّرات في زيّ لعب الأطفال، وفي وقت لاحق من ذاك الشهر، اعتقل ثلاثة إيرانيين من قبل القوة الفرنسية التي أرسلها حلف شمال الأطلسي.

وقد أوردت صحيفة نيويورك تايمز في ٣/ آذار ١٩٩٦ نقلا عن مسئول وضابط عسكري أوروبي رفيع المستوى أن التدخّل الإيراني كان يتمُّ أيضا عبر تسهيل سفر مقاتلين بوسنيين لإيران ليدرّبوا فيها وهو ما اعتبر اكبر تهديد للغرب[١].

أما لاري كريغ وجاد ويست في ٦ كانون الثاني / ١٩٩٧ في بحث مطول نورد بعض مقتطفاته أن علي عزت بيغوفيتش زعيم البوسنيين قد حصل بحسب وكالة المخابرات المركزية على دفعات عديدة من الأموال[٢].

ويكمل التقرير أنه إلى جانب تدريب البوسنيين في إيران والبوسنة من قبل الحرس الثوري ودخول المتطوّعين الإيرانيين، فقد سهلت إيران عبر مخابراتها دخول الكثير من المجاهدين العرب من بلدان عديدة كماليزيا السودان،تركيا وغيرها.

وقد كان السلاح يمرُّ بعضهم عبر كرواتيا مع العلم أنَّ جزءاً من الكرواتيين كانوا معارضين لدخول السلاح عبر أراضيهم للمسلمين في

---

(١) المصدر السابق

(٢) إبراهيم صلاح- جريدة المصري اليوم وأيضا في موقع www.aljazeeratalk.net

البوسنة[١].

وقد جاء في تقرير لإحدى لجان مجلس النواب حول الدور الخطير التي تلعبه عناصر إيرانية أوجدت موطئ قدم لها في أوروبا يشكّل خطراً استراتيجيا على المصالح الأمريكية بفضل إنشاء علاقات وثيقة مع قادة البوسنة، والجيل الذي سيليهم من القادة، ما أوجد هيكلية كاملة للأجهزة الإيرانية كالاستخبارات التي تدير المنطقة البرية من خلال تطوير شبكات متعددة.

والجدير بالذكر أن بيغوفيتش كان عضواً في منظمة فدائيان إسلام منذ قبل الحرب البوسنية تلك الجماعة التي يرجع تاريخها لسنة ١٩٣٠

وقد ذكرت المعلومات بحسب مصادر أمريكية وصربية أن ثلثي الأسلحة التي دخلت البوسنة وعلى سبيل المثال كانت كمية الأسلحة بين أيار ١٩٩٤ و١٩٩٦ تناهز الـ٥٠٠٠ طن.

وقد عرضت دول حليفة للولايات المتحدة كتركيا توريد السلاح، لكن بيغوفيتش رفض لعدم اتفاقه مع النموذج التركي العلماني الأتاتوركي ولإعجابه الشديد هو وحزب العمل الديمقراطي البوسني بنموذج الثورة[٢].

وقد تفاوتت أوجه الدعم وتنوَّعت فمن إنشاء مطار عسكري في منطقة فيسكو إلى تدريب الجيش البوسني في منطقة كاكان، ثم التبَّرع بـ ٨ طائرات

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

مروحية للنقل وجلب الذخائر والمعدّات العسكرية المختلفة[١]، مساعدة أصحاب مراكز الشباب المختلفة والنوادي الأدبية ، وإعادة تثقيف الشعب البوسني بقضية فلسطين ومركزيتها الإسلامية[٢].

الثورة الإسلامية والمقاومة في لبنان

استقبل المسلمون أنباء انتصار الثورة الإسلامية في إيران بالفرحة الغامرة والابتهاج، واعتبروها قوّة روحية تقف إلى جانبهم في مواجهة عدوّهم الصهيوني ـ الأميركي، رأى المسلمون ثورة شعبية دينية تقوم على الإسلام، ثورة يقودها جماهير عزلاء تواجه جيشاً في عنفوان قوّته وتنتصر عليه، وترتفع شعارات تحرير الإنسان والتصدّي للقوى الكبرى الاستعمارية[٣].

ورأى المسلمون كذلك كيف قامت هذه القوى الاستعمارية بفرض حصار على الثورة وإدخالها في حرب بعد انتصارها بعام واحد، لمنع انتشار أفكارها وإشغالها بالحرب عن المهمَّة الأولى التي قامت من أجلها، وهي تحرير شعب إيران من الطغيان، وتحرير الأماكن المقدسة في فلسطين من الاحتلال الصهيوني[٤].

«إن الشهيد هو محور التاريخ»[١]، هذه إحدى عبارات الإمام

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(١)علي أبو الخير ـ المقاومة الإسلامية في لبنان من منظور رسالي ـ بحث قدّم لمؤتمر المقاومة في لبنان، عُقد في بيروت في ٢٥ / ٥/ ٢٠٠٦

الخميني ﷺ، وهي مقوله صدق فالشهيد هو البطل الحقيقي، هو الذي صان الإسلام من الانحراف العقائدي في ثورة الحسين الشهيد عليه السلام، وهو الذي تمكّن من الانتصار علي الشاه وجيشه.

ومن وحي كربلاء قال الإمام الخميني ﷺ لقد علَّم سيّد الشهداء الجميع سبل مواجهة الظلم والجبروت والحكومات المستبدة، ورغم أنه كان يعلم أن الطريق الذي يسير فيه يتطلّب التضحية بأصحابه وأهل بيته من أجل الإسلام إن أصرَّ على المضي فيه؛ لأنَّه كان يدرك عاقبة الأمور، وفي اليوم الذي يدرك فيه المسلمون إمكانية تعرّض الإسلام للخطر فإن عليهم حينذاك أن يقوموا بنفس عمل الإمام الحسين، في اليوم الذي نرى أن الإسلام يتعرّض للخطر فإن علينا التضحية «وفي نفس الوحي قال القائد علي الخامنئي: من وحي عاشوراء أطمئن المسلمين أن مستقبلاً مشرقاً ينتظرنا ما دمنا نتمسّك بخطّ الحسين ونحي ذكره سنوياً، ومادمنا نعرف لماذا ثار الحسين ولأي هدف استشهد، وطبقاً لوصاياه يجب الإتحاد والتآزر ونبذ الفرقة والتشتيت»[1].

من هذا المنطق الكربلائي صاغ السيد حسن نصرالله وعي المقاومة اللبنانية فقال: وعندما نتطلع إلي كربلاء يمكن أن نستلهم منها كلَّ أدوات المعركة للوقوف في وجه المستكبرين والظالمين والجاهلين، يمكننا أن نستلهم حب الله والعشق، الصبر والأخلاق، الإيثار والتضحية، وهكذا ينتصر الإسلام، ويحفظ الدين، وتستمرّ الرسالة، ولذلك كانت كربلاء ضمانة

---

(١) المصدر السابق

لمستقبل الإسلام[١].

ولذلك ؛ وفي لبنان نظر الشيعة في الجنوب اللبناني إلى الثورة الإيرانية باعتبارها نواة دولة الإسلام المركزية في العالم والملتزمة بأوامر الولي الفقيه الجامع للشرائط خاصَّة، وأن فكرة الولي الفقيه لها وجود تاريخي في الجنوب اللبناني، نادى بها الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزيني الذي جعل من جزين مدرسة علمية دينية لنشر أفكاره، ولتعميم التعليم الديني في جبل عامل، وكانت فلسفتة تقوم علي رؤيا واجتهاد فقهي لنظام الحكم ركيزته الفقهاء أو ما سماه (نائب الأمام)، بما لها من مدلول سياسي وفقهي، لكنَّ سلطة الحكم المملوكي تآمرت عليه فقتلته بعد محاكمة صورية قبل أن يقرر اللجوء إلى إيران ؛ سقط الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي، كانت سنوات الاضطهاد تدفع العلماء والطلاب الى الهجرة لإيران والعراق فنشأ ترابط بين المراكز الدينية والعلمية الثلاث في قم والنجف وجبل عامل[٢].

ولذاك كان المسلمون في لبنان أكثر الناس فرحاً بانتصار الثورة الإسلامية في إيران، ورأوا فيها رصيدهم الداعم لمواجهة الصهيونية، فنظرية ولاية الفقيه نظر إليها المسلمون الشيعة باعتبارها إضافة إلى رصيدهم الذي قدَّمه الشهيدان لنفس الفكرة منذ قرون، الذي ظلَّت تنتقل من جيل إلي جيل ويزيد منها العلماء حتى الإمام الخميني ﷺ ليكون الولي الفقيه الجامع

---

(١) المصدر السابق

(٢) نفسه

للشرائط، والواجب الطاعة من عامة المسلمين[١]، وقبل عام ١٩٨٢ كانت العلاقة بين الاتجاه الإسلامي في لبنان والإمام الخميني ﷺ علاقة معنوية أدَّت إلى جوٍّ ايجابي ظلَّ ينمو مع مرور الوقت.

بسبب الحرب مع صدام حسين لم تتمكن إيران من دعم المقاومة الإسلامية في لبنان ؛ ولكن وفي شهر يونيو/ حزيران العام ١٩٨٢ استهدفت إيران مؤتمراً للحركات الإسلامية بمناسبة يوم المستضعفين في العالم، والذي كان يصادف الخامس عشر من شهر شعبان ذكرى ميلاد الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري صاحب الزمان، وأثناء انعقاد المؤتمر وصلت الأنباء باجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني، ووصول القوات الإسرائيلية إلي بيروت، وخيم هذا العدوان على فعاليات المؤتمر، وألقي رئيس مجلس الوزراء الإيراني آنذاك الشيخ هاشمي رفسنجاني كلمة أعلن فيها للحاضرين إرسال وفد عسكري سياسي إلي سوريّة للبحث مع المسئولين السوريين للموافقة على سماح سوريّة لوحدات من الحرس الثوري لعبور الأراضي السورية إلى لبنان للمساعدة في التصدّي للاحتلال الصهيوني. وقابل الإمام الخميني ﷺ الموفد الجنوبي ـ لبنان بقيادة الشهيد عباس الموسوي الذي وصل إلى طهران في يوليو وقال: إن المهمَّ هو العمل؟، ومرحلتكم مرحلة كربلائية، ولا تنتظروا قطف الثمار في حياتكم....وقال: يجب أن نقاوم وبرجولة جميع السفاكين[١].

---

(١) المصدر السابق

(١) المصدر السابق

وكانت بداية تأسيس حزب الله بقيادة السيد عباس الموسوي الذي أصبح فيما بعد الأمين العام لحزب الله حتى تم استشهاده على يد الصهيونية في١٦ فبراير / شباط ١٩٩٢ ؛ لم تكن النشأة الأولى للحزب يسيرة، نظراً لما كانت تمرُّ به لبنان من ظرف استثنائي معقد، ولكنَّهُ استطاع أن يتخطَّى العقبات، وأن يقلص الفارق بين البعدين الوطني والديني، وأن ينأى بنفسه عن الخلافات الداخلية، وأن يتفرّغ لمواجهة الصهيونية في الجنوب، وقال السيد حسن نصر الله[١]: إن السلطة تريد أن تحوِّل جنودنا في مؤسسة الجيش إلى خدمة للأمريكيين، ونحن أتينا بلا رصاص ولا سلاح، لأنَّنا لا نريد أن نقتل أخواننا، ثم اتبع الحزب أساليب المواجهات الشعبية والعمليات الاستشهادية، وكان لاستشهاد الشيخ راغب حرب

(شيخ شهداء الجنوب) نورٌ أضاء الطريق، ورمزٌ للمقاومة، وأصبح ذكرى استشهاده يوماً يحييه الحزب كل عام لإستلهام المعاني الروحية.

الخطاب السياسي لحزب الله

يتمثّل الخطاب السياسي لحزب الله في الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في ١٦/ ٢/ ١٩٨٥ والتي تمثَّل النهج الرسالى للمقاومة وأسسها القرآنية، وقد جاء فيها: نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره شخصيات ومؤسسات، أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية، ولا نستثنى أحداً، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع، فيفهموا

---

(١) محمود جابر. إنه حزب الله. مركز يافا. القاهرة. ٢٠٠٦

ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا، إننا أبناء أمة حزب الله، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمّة الإسلام في العالم، التي تواجه أعتى هجمة استكبارية، من الغرب والشرق على السواء، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها، لتكون خير أمّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله ثمَّ تنتقل الرسالة إلى المطالبة للتصدّى لقوى الاستكبار التى تهدف إلى استلاب خيراتها وثوراتها، واستثمار طاقتها وكفاءات أبنائها، والسيطرة على شئونها كافَّة، ثمَّ تقول الرسالة: نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكمية وعادلة، تتمثَّل بالولي الفقيه الجامع للشرايط، وتتجسّد حاضراً بالإمام المسدد، آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظلّه، مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة.

وعلى هذا الأساس، فنحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً... بل نحن أمّة ترتبط مع المسلمين، في أنحاء العالم كافّة، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام.

ومن هنا، فإن ما يصيب المسلمين في أفغانستان أو العراق أو الفلبين أو غيرها، إنَّما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التي نحن جزء لا يتجزّأ منها، ونتحرّك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعي أساساً، وفى ضوء تصور سياسي عام تقرره ولاية الفقيه القائد.

أمّا ثقافتنا فمنابعها الأساسية القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا ! وأما قدرتنا العسكرية فلا يتخيَلنَّ أحد حجمها، إذ ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل أن كل واحد منّا يتوّلى مهمّته في المعركة.

إنَّ دول العالم المستكبر الظالم، في الغرب والشرق، قد اجتمعت على محاربتنا، وراح حُكَّامها يحرّضون عملاءهم ضدنا، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا.. في محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين الطيبين، في سعى حثيث لتقزيم ومسخ الإنجازات المهمَّة والكبرى، على مستوى مواجهتنا لأمريكا وحلفائها..

لقد حاولت أمريكا، عبر عملائها المحليين، أن توحي للناس بأن من قضى على غطرستها في لبنان، وأخرجها ذليلة خائبة، وسحق مؤامرتها على المستضعفين في هذه البلاد، هم ليسوا إلا حفنة من المتعصبين الإرهابيين، الذين لا شأن لهم إلا تفجير محلّات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك، ولكن كنَّا على يقين بأن مثل هذه الإيحاءات لن تخدع أمتنا، لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أمريكا والاستكبار العالمي، لا يلجأ إلى مثل هذه الأعمال الهامشية، التي تشغله بالذيل عن الرأس.

إنَّنا متوجّهون لمحاربة المنكر من جذوره... وأوَّل جذور المنكر أمريكا.. ولن تنفع كل المحاولات لجرّنا إلى ممارسات هامشية، إذا ما قيست بالمواجهة مع أمريكا.. فالإمام الخميني ﷺ القائد أكّد، ولمرَّات عديدة، أنَّ أمريكا هي سبب كل مصائبنا، وهى أمّ الخبائث.. ونحن إذ نحاربها، فلا نمارس إلا حقنا المشروع في الدفاع عن إسلامنا وعزّة أمّتنا.

إننا نعلن ـ بصراحة ووضوح ـ أننا أمة لا تخاف إلا الله، ولا ترتضى الظلم والعدوان والمهانة، وأنَّ أمريكا وحلفاءها، من دول حلف شمال الأطلسي، والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدّسة، كل هؤلاء قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار.. ولذا

فإننا في حالة تأهبٍّ مستمرٍّ ومتصاعد، من أجل ردِّ العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة.

لقد هاجموا بلادنا، ودمروا قرانا، وذبحوا أطفالنا، وهتكوا حرماتنا، وسلّطوا على رقابنا جلّادين مجرمين، ارتكبوا مجازر رهيبة بحقِّ أمّتنا، ولا يزالون يدعمون الجزّارين حلفاء إسرائيل، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا، وكنّا نستصرخ ضمير العالم آنذاك فلم نسمع له حسّاً ولم نجد له أثراً، هذا الضمير الذي افتقدناه أيام المحنة، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً، يوم حوصر الكتائبيون المجرمون، في مدينة زحلة البقاعية، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل، في دير القمر الشوفية.. فهالنا الأمر، وأيقنا أنَّ هذا الضمير العالمي، لا يهتزّ إلا بناء لطلب الأقوياء.. واستجابة لمصالح الاستكبار.

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدَّة آلاف، من آبائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا، في صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة، فلم يصدر عن أية منظمة أو هيئة دولية أي استنكار أو شجب عملي لهذه المجزرة البشعة، التي ارتكبت بتنسيق مع القوّات الأطلسية التي غادرت قبل أيام بل ساعات، المخيمات التي قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب، استجابة لمناورة الثعلب الأمريكي فيليب حبيب (المبعوث من أصل لبناني).

توّجت الجهود بانتصار المقاومة بعد هزيمة القوّات الصهيونية من لبنان واستسلام الجيش الجنوبي العميل يوم ٢٥ مايو / آيار ٢٠٠٠.

أسباب النصر

المتأمّل للخطاب السياسي لحزب الله يجده يقوم على دعامتين مستلهمتين

من دعامة الثورة الإسلامية الإيرانية، وهما: الأولى الحرص على وحدة لبنان ووحدة المسلمين، والثاني مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والمشروع الصهيوني ككل، وهى الدعامتان المستمدتان عن ثقافة المقاومة القرآنية، وما اعتمده الأئمة في صياغة هذا المشروع المقاوم، لذلك وجدنا الخطاب السياسي الموجَّه للمسلمين عموماً يتسم بالإسلامية الصافية البعيدة عن المذهبية، خطاب يتخطَّى عوامل العجز، ويبشر المسلمين بنصر الله.

ويكن إيجاز عوامل النصر في الأسباب التالية[١]:

١ ـ ما أعتبره حزب الله بأن هناك حالات تحكم العلاقة الإسلامية ـ الإسلامية وهى :

أ ـ بقاء الحواجز النفسية والمذهبية، وهذا باب تنفذ منه الخلافات والصراعات وبشكّلُ ثغرة للذين يريدون المحافظة على الضعف الإنساني.

ب ـ الصراع والتنازع وهذا ما تعمل له القوى المستكبرة، من خلال سعيها للهيمنة على العالم الإسلامي وسلب ثروته، وهذه العلاقة لن تؤدّي إلا إلى إضعاف المسلمين وبعثرة قواتهم.

جـ ـ ضرورة الوحدة الإسلامية من خلال معركتهم الواحدة على أساس وحدة العبادة والارتباط بالخطّ الإسلامي ومواجهة أعدائهم المستكبرين، وهذه هي الحالة الأقرب التي حاول الحزب تطبيقها، والالتزام بها كقاعدة وحدوية، وقد دفع الحزب ثمناً باهظاً مرحلياً عندما انشغل هو وغيره بالتنازع الداخلي، لكن سرعان ما عاد ليتبنى القواسم المشتركة التي تفرض

---

(١) المصدر السابق

تعزيز قوى المسلمين واللبنانيين الوطنيين في مواجهة التحديات، وكان خطابه السياسي ـ وما يزال ـ يشتمل على كل معاني الوحدة، ويدعو لها ويترجمها ميدانياً، وبعد إصدار وثيقة الحزب (الرسالة المفتوحة) دخل تطوّره مرحلة جديدة، هي مرحلة الصمود والمقاومة[١] والتي انتهت بالنصر على اليهود، وإجبارهم على الانسحاب غير المشروط فى الجنوب.

٢ ـ الحالة الإيمانية التي عاشها الجنوب اللبناني ككل، ومن الجنوب كانت كوادر الحزب، تلبى نداء الجهاد ونداء العمل والسعي في الحياة، وبروز الاستشهاد الكربلائى الذي تسابق عليه قادة الحزب وكوادره، فاستشهد الأمين العام عباس الموسوي وراغب حرب شيخ شهداء الجنوب، ونجل الأمين العام حسن نصر، كانوا قادة في الفكر والعمل وتمثّلوا مقوله الإمام جعفر الصادق (كونوا دعاة للناس بدون ألسنتكم[٢]، لقد التزم الحزب التعاليم الإلهية الإسلامية المتجاوزة لكل الشكليات القبلية أو المناطقية، وركّز على الصهيونية (الشر المطلق) وأمريكا (أوّل جذور المنكر) وعملائهم (جيش الجنوب العميل).

٣ ـ اعتماد الحزب لثقافةٍ مصدرها القرآن الكريم والسنة المعصومة والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد (تراجع الرسالة المفتوحة)، وهى ثقافة مقاومة مستلهمة من الفكر الرسالى كما جاء بالقرآن العظيم.

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

الثورة الإسلامية والمقاومة الفلسطينية

عندما عاد الإمام الخميني ﷺ من باريس إلى إيران قال قولته المشهورة (اليوم إيران وغداً فلسطين)[١]، حيث احتلت القضية الفلسطينية موقفاً أساسيا من اهتمامات القيادة الإيرانية وتجلّى ذلك دائماً في الخطاب السياسي والثقافي، وتجسَّد دعماً عمليا للشعب الفلسطيني، وعلى الرغم مما ترتب على هذا الدعم من تبعات وواجبات مادية ونتائج سياسية، وضعتها في المواجهة مباشرة مع الاحتلال الإسرائيلي، ومن ورائها حليفتها الولايات المتحدة الأميركية[٢].

ففور انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في العام ١٩٧٩ م قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة طهران، وتسلم مفاتيح مبنى سفارة إسرائيل، بعد أن أنزل علم إسرائيل وأحرقه الشعب الإيراني، ورفع مكانه علم فلسطين، وأقيمت سفارة دولة فلسطين مكان سفارة إسرائيل، مسجلة بذلك حقيقة للتاريخ، وهي أنَّ الجمهورية الإسلامية الإيرانية أوَّل دولة تقيم سفارة لدولة فلسطين[٣].

وبدأت بذلك مرحلة جديدة من العلاقات الإيرانية مع الفلسطينيين، عنوانها تغلغل قضية فلسطين وواجب تحريرها في صلب الخطاب الإيراني الجديد الذي عبَّر عنه الإمام الخميني ﷺ بالقول: ذكّروا الناس دائماً بخطر

---

(١) د. رفعت سيد أحمد ـ مقالات عن سيد المقاومة حسن نصر الله ـ في نشرات المقاومة الصادرة عن مركز يافا في كثير من المقالات

(٢) المصدر السابق

(٣) من خطب الإمام الخميني ﷺ

إسرائيل وعملائها، كما أعلن بعد انتصار الثورة أن تكون أخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوم القدس العالمي، ودعا المسلمين كافة أن يعلنوا في هذا اليوم تأييدهم للحقوق القانونية للشعب الفلسطيني المسلم.

ثم سادت العلاقات الإيرانية الفلسطينية حالة من التعاطف والتضامن، شهدت صعودا وهبوطا بين شرائح مختلفة من المجتمع الإيراني، منذ بدايات الثورة الإيرانية وإلى الآن، غير أن تعاظم هذه الحالة بدأ خلال انتفاضة الأقصى وصعود حركة المقاومة الإسلامية حماس إلى سدّة الحكم بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الأخيرة[1].

الإمام الخميني تغمّده الله وبدايات العلاقة

ارتبط الإمام الخميني تغمّده الله بالقضية الفلسطينية قبل الثورة الإسلامية، إذ أصدر عام ١٩٦٨ أوَّل فتوى تصدر من عالم دين إسلامي، تحثُّ المسلمين على الدعم والتبرّع للثورة الفلسطينية بأموال الزكاة وغيرها، حتى تستمرَّ في مقاتلة العدو الصهيوني من أجل تحرير فلسطين، ورفع الظلم والحيف الذي حاق بالشعب الفلسطيني، وكان لهذه الفتوى تأثير كبير على المسلمين، نظراً لأهمية ومرجعية الرجل الذي أصدرها، أي الإمام الخميني تغمّده الله، وبعد نجاح الثورة قام فوراً ـ كما ذكرنا ـ بإغلاق السفارة الإسرائيلية، وطرد الإسرائيليين، ودعا الزعيم ياسر عرفات في زيارة رسمية إلى طهران، ولأوَّل مرّه في تاريخ حركات التحرير في العالم تقوم الطائرات الإيرانية المقاتلة بمرافقة طائرة ياسر

---

(١) إيران من الداخل ـ مصدر سابق

عرفات عند دخولها الأجواء الإيرانية[١]، ومعاملته معاملة الرؤساء الكبار، وليس كرئيس منظمة فحسب، وتمَّ إعداد استقبال رسمي وشعبي كبير لعرفات الرئيس الأوَّل في العالم الذي يشرف بمقابلة قائد الثورة الإمام الخميني ﷺ.

وعيّن هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح كأول سفير فلسطيني في عاصمة الثورة الإيرانية طهران[٢]، ومنذ تلك اللحظة قدَّمت الثورة الإسلامية كلَّ دعم للفلسطينيين وثورتها، حتى أنَّ الرئيس ياسر عرفات كان يفاخر، ويردد في تصريحاته قائلا: إنَّ جبهتي تمتدّ من خراسان في إيران إلى صور في جنوب لبنان، وذلك أيام كانت لبنان قاعدة الثورة الفلسطينية، وامتدَّ الدعم الإيراني المتواصل للشعب الفلسطيني على جميع المستويات، انطلاقا من مبادئ الثورة الإسلامية، التي ترى أنَّ أرض فلسطين هي أرض إسلامية يجب على جميع المسلمين المساهمة في تحريرها، وأنَّ إسرائيل ليست سوى كيان مغتصب، خلقه الاستكبار العالمي في قلب العالم الإسلامي، وأنَّها بصفتها قاعدة للإرهاب العالمي، وخنجراً مسموماً في قلب الوطن العربي الإسلامي، وتشكّل أكبر تحدٍّ يواجه العالم الإسلامي اليوم، وتلعب دوراً شريراً وشيطانياً في إبقاء العالم الإسلامي منقسماً، وذلك أن إسرائيل المتحالفة إستراتيجياً مع الغرب، تريد أن يبقى العالم الإسلامي متخلِّفاً علمياً وتقنياً وثقافياً وصناعياً واقتصاديا، حتّى تكون هي القوّة

---

(١) المصدر السابق

(٢) من متابعاتنا المستمرة للشأن الفلسطيني في وسائل الإعلام المختلفة العربية والصهيونية والأجنبية على السواء

الإقليمية الكبرى التي ترسم السياسات في المنطقة للسيطرة عليها وإبقاءها تحت رحمتها ورحمة الغرب، الذي يستمرّ في نهب موارد هذه المنطقة تحقيقاً لمصالحه الحيوية، لهذا قامت الثورة الإسلامية بإطلاق ثورة ثقافية لتصحيح المفاهيم والمصطلحات التي كانت سائدة قبل الثورة، وبهذا حددت الثورة العدو من الصديق، وأصبح الحديث عن العدو الصهيوني :..... الكيان الغاصب، والشعب الفلسطيني المظلوم، «يوم القدس» فلسطين المحتلة، المقاومة الفلسطينية، المقاومة الإسلامية، الجهاد الإسلامي، الاستكبار العالمي، الشيطان الأكبر، تحرير فلسطين، الأمّة الإسلامية، جيش القدس، حكّام تل أبيب المجرمين، مجرمو الحرب الصهاينة..الخ، وركّز الخطاب السائد على توحيد ووحدة الأمّة الإسلامية، دون النظر إلى الاثنيات أو المذاهب.

وتبنَّت وسائل الإعلام الإسلامية الإيرانية المسموعة والمقروءة بكلِّ اللغات الفارسية والعربية والإنجليزية إستراتيجية إعلامية واضحة للدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف الوجه الصهيوني الزائف، ومن يشاهد قناة «العالم» الناطقة بالعربية أو قناة *Press T.V* الناطقة بالإنجليزية، يظنُّ أنّها قنوات فلسطينية خالصة، من حيث حماسها ودفاعها عن القضية الفلسطينية، والبرامج المخصصة لهذه القضية المقدَّسة، وترسيخاً لسياستها الإستراتيجية نحو فلسطين، قامت الثورة الإسلامية باتخاذ العديد من الخطوات للدفاع عن القضية الفلسطينية، منها[1]:

---

(١) الشيخ علي خازم. مجلة الانتقاد الإلكترونية / العدد ١٣٠١ ـ ٢٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٨

ـ فتح معاهدها العلمية للطلبة الفلسطينيين لتلقي العلم والتدريب في مختلف صنوف المعرفة. احتضان التنظيمات الفلسطينية المجاهدة خاصَّة حماس والجهاد الإسلامي، وقدَّمت كلَّ الدعم المالي والمادي والمعنوي الضروري، دون أي نظرة مذهبية ضيقة، بل اتسع قلب الثورة الإسلامية لجميع الفلسطينيين بغضِّ النظر عن الديانة أو المذهب.

ـ الاحتفال بيوم القدس، وتسيير المظاهرات المليونية في هذه المناسبة، وتعبئة الشعب الإيراني نحو فلسطين والقدس، وأهمية تحريرها وواجب المسلمين جميعاً في تحريرها بغضِّ النظر عن المذهبية.

ـ تسيير مظاهرات في مختلف المدن الإيرانية في المناسبات المختلفة للدفاع عن الشعب الفلسطيني، خاصَّة أثناء الحرب الصهيونية ضدَّ قطّاع غزّة أو الضفة الغربية.

ـ الدفاع في الأمم المتحدة وأمام كل المنظمات العالمية والإقليمية والأممية ومنظمات حقوق الإنسان عن حقِّ الشعب الفلسطيني في العودة والتحرير، وعودة جميع اللاجئين الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم التي طردهم منها العدو الصهيوني بقوّة السلاح، وتعويضهم عمّا لحق بهم من ظلم وعدوان وتشريد.

ـ حثِّ علماء المسلمين بغضِّ النظر عن المذهب على تبني القضية الفلسطينية والدفاع عن الشعب الفلسطيني وحقوقه والوقوف في وجه الاستعمار الصهيوني الاستيطاني العنصري، الاستكبار العالمي الغربي الذي يقف معه.

ـ اعتبار القضية الفلسطينية من أهمّ مرتكزات السياسة الخارجية الإيرانية، وهذا ما نراه في كل اللقاءات والاجتماعات الإيرانية مع الدول الأخرى، حيث تكون القضية الفلسطينية حاضرة في البيانات والتصريحات والتحرّكات، باعتبارها قضية إيرانية بامتياز من منطلقات مبدئية، كما أسسها قائد الثورة الإمام الخميني ﷺ.

ـ أيضا الرسالة الشهيرة التي أرسلها الرئيس محمود أحمد نجاد إلى الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، والتي فضح فيها الظلم الفادح الذي ألحقه العدوّ الصهيوني والاستعمار الأمريكي بالشعب الفلسطيني، حيث طلب من الرئيس الأمريكي بإعادة حقّ الشعب الفلسطيني، وعودته إلى وطنه المغتصب فلسطين، هذه الرسالة التي لم تصدر عن أيِّ زعيم أو حاكم عربي، بل أن الرئيس أحمد نجاد تحدّي بوش أن يقابله في مناظرة حول القضية الفلسطينية، وقضايا أخرى تمسّ كرامة وحرية الإنسان، بل والجرائم التي ترتكبها أمريكا باسم الديمقراطية والحرية وما أطلقوا عليه الفوضى الخلّاقة أو الشرق الأوسط الجديد، أو الكبير.. أو ما إلى ذلك من تسميات..

ـ مطالبة المجتمع الدولي بمحاكمة قادة إسرائيل الصهاينة كمجرمي حرب، لارتكابهم جرائم حرب ومذابح ضدَّ الشعب الفلسطيني.

ـ المطالبة بإنهاء الاحتلال، ورفع الحصار الإجرامي الذي تفرضه دولة البغي والعدوان إسرائيل الصهيونية، بالتواطؤ مع النظام الأمريكي، وبعض الأنظمة المتعاونة معها.

إن إيران الثورية سند كبير للشعب الفلسطيني وقضيته، وهي قوّة الممانعة والمقاومة للمشاريع الاستعمارية والإمبريالية والصهيونية في المنطقة.

إن إيران القوية المانعة تقف وراء صمود ومقاومة سوريّة وحزب الله وحماس والجهاد الإسلامي، وكل قوى الممانعة في منطقتنا، وهي في الخندق الأمامي دفاعاً عن أمّتها الإسلامية والقضية المركزية للأمّة الإسلامية أي القضية الفلسطينية، فهي لا تتدخل في الشأن الداخلي الفلسطيني، كما تفعل إسرائيل وأمريكا والرباعية الدولية وبعض أنظمة الاعتدال العربي.

إن إيران الثورة الإسلامية تقف مع الشعب الفلسطيني، انطلاقاً من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الذي ينصُّ على نصرة المظلومين ومساعدتهم على تحرير وطنهم من المحتلّ الغاصب، وهي بهذا تدفع ثمناً غالياً، فالمؤامرات الصهيونية والغربية الاستكبارية تتواصل على إيران بسبب موقفها المبدئي من القضية الفلسطينية ومطالبتها بزوال هذا الكيان الصهيوني المصطنع المحتل والقائم على الإرهاب والحروب.

ومنذ الثورة احتلّت القضية الفلسطينية والدعوة لمقاومة الاحتلال مكانة خاصَّة في السياسة الخارجية الإيرانية، على مستوى منظومة القيم الأيديولوجية والأبعاد الثورية الهامة في الخطاب الرسمي[1].

يوم القدس العالمي في فكر الإمام الخميني قدس سره

من الأمثلة الحيوية في فكر الثورة الإسلامية وقائدها الإمام الخميني قدس سره، هو ما أعلنته الجمهورية الإسلامية بيوم القدس هو يوم السابع من آب / أغسطس سنة ١٩٧٩، عندما أعلن الإمام الخميني قدس سره يوم القدس العالمي،

---

(١) المصدر السابق

حيث قال[١] :

أدعو جميع مسلمي العالم إلى اعتبار آخر جمعة من شهر رمضان المبارك، التي هي من أيّام القدر، ويمكن أن تكون حاسمة أيضا، في تعيين مصير الشعب الفلسطيني، وأن يعلنوا من خلال مراسيم الاتحاد العالمي للمسلمين، دفاعهم عن الحقوق القانونية للشعب الفلسطيني المسلم.

جاءت هذه الدعوة، حضّاً للمسلمين، على القيام بخطوة عملية تجاه القدس، وتوجيهاً لعملهم وأفئدتهم نحو بيت المقدس، لتتحول الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، إلى يوم عالمي للقدس، هو في الوقت نفسه، وكما بيَّن سماحة الإمام الخميني ﷺ، يوم مواجهة المستضعفين مع المستكبرين، قال سماحته :

«يوم القدس يوم عالمي، ليس فقط يوما خاصًا بالقدس، إنَّه يوم مواجهة المستضعفين مع المستكبرين، انَّه يوم مواجهة الشعوب التي عانت من ظلم أميركا وغيرها، للقوى الكبرى، وأنَّه اليوم الذي سيكون مميزا بين المنافقين والملتزمين، فالملتزمون يعتبرون هذا اليوم، يوما للقدس، ويعملون ما ينبغي عليهم، أما المنافقون ـ هؤلاء الذين يقيمون العلاقات مع القويالكبرى خلف الكواليس، والذين هم أصدقاء لإسرائيل ـ فإنَّهم في هذا اليوم غير آبهين، أو أنهم يمنعون الشعوب من إقامة التظاهرات» .

لقد بيّن الإمام الخميني ﷺ موقع الجهاد من أجل القدس، في تحديد معالم المعركة بين المستضعفين والمستكبرين، وهو ما تتكشف معانيه في يوم

---

(١) المصدر السابق

القدس، الذي اعتبره، يوما يجب أن تتحدد فيه مصائر الشعوب المستضعفة، يوما يجب أن تعلن فيه الشعوب المستضعفة عن وجودِها في مقابل المستكبرين.

وهو كما رآه سماحته أيضا: يوم إحياء الإسلام ويوم حياة الإسلام، حيث يجب أن يصحو المسلمون، وان يدركوا مدى القدرة التي يمتلكونها سواء المادية منها أم المعنوية، فهم كما قال الإمام الخميني ﷺ: إنَّ مليار مسلم يملكون دعما إلهياً، والإسلام سندهم، والإيمان سندهم، من أي شيء يخافون؟

لقد أكَّد الإمام الخميني ﷺ على متابعة إحياء يوم القدس، لما رأى فيه من معانٍ عظيمة، تتعلق بالوحدة الإسلامية التي دعا إليها على الدوام، وبالجهاد من أجل القدس، التي احتلت حيزا واسعا من تفكيره واهتمامه، وهو الذي كان يقول دائما: القدس ملك المسلمين، ويجب أن تعود إليهم، معتبرا أنَّ واجب المسلمين أن يهبّوا لتحرير القدس، والقضاء على جرثومة الفساد هذه عن بلاد المسلمين.

وقال أيضا عام ١٩٨٠[1]: «نسأل الله أن يوفقنا يوما للذهاب إلى القدس، والصلاة فيها إن شاء الله، وآمل أن يعتبر المسلمون يوم القدس يوما كبيرا، وأن يقيموا التظاهرات في كلّ الدول الإسلامية في يوم القدس، وأن يعقدوا المجالس والمحافل، ويرددوا النداء في المساجد، وعندما يصرخ مليار مسلم، فإن إسرائيل ستشعر بالعجز، وتخاف من مجرّد ذلك النداء» .

---

(١) المصدر السابق

لقد استجاب عشرات الملايين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لدعوة آية الله العظمى الإمام الخميني ﷺ لإحياء يوم القدس، وتشهد الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك في كل عام تظاهرات حاشدة تهتف للقدس وتدعو لتحريرها، في مشهد يكرّس الوحدة الإسلامية التي أرادها سماحته، وتبقي القدس حاضرة في عقول المسلمين وفي توجّهاتهم، وتطلعهم إلى تحريرها، وهو أيضا ما رمى إليه الإمام العظيم من خلال الدعوة إلى يوم القدس العالمي.

وتأكيدا للمكانة التي أرادها الإمام الخميني ﷺ ليوم القدس العالمي، فإن الإمام القائد سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي، يشدد دوما على إحياء يوم القدس العالمي، وتكريس معانيه، وقد خاطب المسلمين في العام ٢٠٠٠ قائلا: إن واجب الدول الإسلامية تقديم المعونات لهذا الشعب، مؤكّداً أنّه عاجلا أو آجلا ستعود فلسطين إلى الفلسطينيين، مكرّساً بذلك ما كان يقوله الإمام الخميني ﷺ: حين يتعرّض الإسلام والأماكن المقدّسة للتهديد بالاعتداء، فلا يمكن لأيّ فرد مسلم أن يقف موقف المتفرّج إزاء ذلك.

تحوّل جديد في علاقة الجمهورية الإسلامية بفلسطين

بنجاح حزب الله اللبناني في إجبار قوات الاحتلال الإسرائيلي على الانسحاب من جنوب لبنان وتعثّر اتفاقيات السلام العديدة المبرمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ اتفاق أوسلو العام ١٩٩٤، واندلاع انتفاضة الأقصى في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٠، اتخذ مستوى التعاطف الإيراني

مع القضية الفلسطينية بُعداً آخر على الساحة الفلسطينية، برزت تجلياته في بدء التأييد والدعم الإيراني المادّي لكلّ من حركات، الجهاد الإسلامي، وحماس، على مستوى التدريب والتمويل والدعم والإمدادات، وبفوز حركة حماس بغالبية مقاعد المجلس التشريعي في العام ٢٠٠٦ بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، أبدت إيران دعمها وتعاطفها الكبير مع الحكومة الفلسطينية التي شكّلتها حماس، بعد أن فرض العالم حصاراً مشدداً على الفلسطينيين لإرغام حكومتهم على الاعتراف بإسرائيل، ونبذ المقاومة والاعتراف بالاتفاقات الموقعة[١].

إن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال تحوز على الاهتمام الأكبر من قبل القادة الإيرانيين، وصولا للرئيس أحمدي نجاد، وهو الأمر الذي يعلنه صراحة في مؤتمراته ولقاءاته.

كما كان لإيران حراك شعبي ودبلوماسي نشط على مستوى كبير في دعم الشعب الفلسطيني خلال العدوان الصهيوني الأخير على قطاع غزّة.

لم يقتصر الدعم الإيراني للمقاومة الفلسطينية على الدعم السياسي، بل وصل للدعم العسكري، وهو الدعم الذي مكّن المقاومة الفلسطينية من الصمود أمام الآلة العسكرية الصهيونية، وهو ما أجبر العدو الصهيوني من الانسحاب غير المشروط من قطاع غزة، وهو ما حدث من قبل عندما انسحب من الجنوب اللبناني عام ٢٠٠ دون الدخول في أي مفاوضات، ووصل الدعم العسكري إلى فلسطين عبر طرق كثيرة، ووفقا للمصادر

---

(١) المصدر السابق

الإسرائيلية، فإن «هناك طريقين رئيسيين لتهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، الأول عبر الأراضي السودانية والصومالية، ثم إلى مصر ؛ حيث يقوم مهربو البضائع بنقلها برّاً إلى سيناء، ومن هناك يقوم البدو المتخصصون بتهريب الشحنة إلى غزّة عبر الأنفاق على الحدود بين مصر وقطاع غزة»[١].

أما الطريق الثاني فتقول عنه إسرائيل: إن «الحرس الثوري الإيراني يقوم بإرسال شحنات الأسلحة عبر قناة السويس ومنها إلى البحر المتوسط ؛ حيث ترسو السفن الإيرانية قبالة سواحل قطاع غزة، داخل المياه الإقليمية المصرية ؛ حيث لا يمكن للقوّات البحرية الإسرائيلية تعقبها هناك»، وخلال الليل تقوم عناصر من الضفادع البشرية بنقل الأسلحة في حاويات مغلقة على قوارب الصيد الفلسطينية[٢].

ويقول تقرير المخابرات العسكرية الإسرائيلية: «إن إيران تخطط لتهريب مكوّنات صواريخ» فجر «التي يتجاوز مداها الـ٧٠ كيلومترا، وهو ما من شأنه جعل تل أبيب ومطارها الدولي ومفاعل ديمونة النووي في صحراء النقب في متناول يد فصائل المقاومة الفلسطينية للمرة الأولى»[٣].

وقالت الصحيفة البريطانية: إن شعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي (أمان) وزعت وثيقة على وزراء المجلس الأمني المصغَّر، قالت

---

(١) المصدر السابق

(٢) د. أسعد أبو شرخ ـ إيران : الثورة الإسلامية والقضية الفلسطينية ـ موقع إلكتروني .

(٣) المصدر السابق ٠ ونرى أن عدم ذكر كل ما يورده الإعلام الصهيوني حول المساعدات العسكرية التي تقدمها الجمهورية الإسلامي للمقاومة في غزة، ويرجع ذلك لأن الإعلام الصهيوني والأمريكي والعربي الرسمي يردد ذلك من أجل التخويف الدائم من الجمهورية الإسلامية.

فيها: إنَّه «برغم العملية العسكرية الأخيرة على قطاع غزة فإن الحرس الثوري الإيراني لا يزال ينفذ برنامجا متقدِّما لتهريب وإمداد قطاع غزة بالأسلحة»[١].

ومضت الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في مزاعمها معربة في الوثيقة عن مخاوفها من أن «إيران تقوم بتحميل الأسلحة والذخيرة على السفن التجارية، من ميناء بندر عباس».

كما أعرب الإسرائيليون عن قلقهم من قيام اثنتين من المدمرات الإيرانية على الأقل بدخول مياه خليج عدن «لمحاربة القرصنة»، وقال الإسرائيليون: إنَّهم يشكِّون في أن تكون المدمرتان ـ اللتان ترسوان حاليا في مرفأ «أسيب» الإريتري ـ تلعبان دورا في نقل بعض شحنات الأسلحة إلى قطاع غزَّة[٢].

ولفتت الصحيفة البريطانية إلى أنَّه في يناير ٢٠٠٢ قامت السفن الحربية الإسرائيلية باقتحام سفينة الشحن الإيرانية «كارين» في مياه البحر الأحمر، وقالت وقتها: إنَّها عثرت على ٥٠ طنا من الأسلحة، من بينها متفجرات وصواريخ بعيدة المدى، كان يجري شحنها إلى الرئيس الفلسطيني في ذلك الحين ياسر عرفات، وتعتقد مصادر في وزارة الدفاع الإسرائيلية أنه يتمُّ استخدام الأسلوب ذاته مرَّة أخرى، لتهريب أسلحة إلى حماس[٣]، ولا نريد الاسترسال في كيفية الدعم الثوري الإيراني للمقاومة الفلسطينية، ذلك أنَّه من ضمن الأسرار الاستراتيجية، ومن خفايا الدعم اللوجستي، يعلمها العدو والصديق، ولكن لا نسترسل فيها، والمشكلة هنا هو اتخاذ قادة العرب

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

ذلك تهمة ضد الجمهورية الإسلامية، وكأن العلاقة بين الجمهورية والفلسطينيين وليدة اليوم فقط.

إلى هذه الدرجة يروّج الأعداء للدور المساعد والداعم للمقاومة الإسلامية في فلسطين، والتي تمثّلها حركة حماس الآن، وهو شرف للثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية، والغريب أن الساسة العرب يقولون نفس هذا الكلام عن دور إيران المساند للقضية الفلسطينية، وهو اتهام مشرف، وعموما لا تكاد الاتهامات لحركة حماس حول علاقتها بإيران تخفت، حتى تتجدد، وخاصة في ظل تصاعد الصراع والمناكفات الداخلية عربياً وفلسطينياً، وتتهم حماس، بأنها أدخلت المارد الإيراني الفارسي الشيعي للبيت العربي من الباب الفلسطيني، بعد أن كان يحاول الدخول إليه من النافذة اللبنانية[1].

يقدم الذين يهاجمون حركة حماس وعلاقتها بإيران أنفسهم على أنهم حماة العروبة وأهل السنة، وتصل اتهاماتهم لحماس بأنها حركة شيعية تتبع للمحور الإيراني الشيعي السوري، في حين يعتبر هؤلاء تاريخياً من أعدى أعداء القوميين والناصريين والبعثيين؟!

لتوضيح طبيعة العلاقة وتاريخها بين حركة حماس وإيران، وبين جماعة الإخوان المسلمين(أم حماس) والثورة الإيرانية منذ نشأتها، لا بد من سرد بعض الحقائق[1].

---

(١) المصدر السابق

(١) المصدر السابق

أوّلاً لم تتطوّر العلاقة بين الجانبين لتصل إلى صيغة تحالفية، بالرغم من تبني الثورة الإيرانية للقضية الفلسطينية، وإعلانها ليوم القدس العالمي، ومنحها لمنظمة التحرير الفلسطينية سفارة(إسرائيل) لتستخدمها كسفارة لفلسطين، ففي تلك الفترة دعمت إيران حركة فتح بالسلاح والمال والإعلام والسياسة، حتى أن عناصر فتح كانوا يغنون لياسر عرفات: ـ (حط إيدك بيد الخميني وانزل علمي)[1].

كما أن علاقة فتح مع الشيعة ومع إيران لم تنقطع، فقد قامت حركة فتح بتدريب النواة الأولى لحزب الله في لبنان، وكان يشرف على ذلك أنيس النقاش القيادي في حركة فتح في حينه، وكان من أبرز من تدرَّبوا في معسكرات فتح من الشيعة، عماد مغنية الذي اغتاله الموساد الإسرائيلي في سوريا.

لم تنته علاقة حركة فتح مع الشيعة حتى خلال انتفاضة الأقصى، فقد غيَّرت حركة فتح لون رايتها لتصبح باللون الأصفر تيمناً بحزب الله اللبناني، وكانوا أوَّل من رفع صور السيد حسن نصرالله بعد حرب تموز، وشكلت مجموعات لكتائب الأقصى بإسم عماد مغنية، وهذه وغيرها، كانت تتلقى الدعم المالي والعسكري من الحزب.

بالنسبة لحركة حماس، كانت بدايات الإتصال بينها وبين الشيعة، عندما تمَّ إبعاد المئات من قادتها إلى لبنان في بداية التسعينات، بعد عملية أسر الجندي الإسرائيلي نسيم طوليدانو، وبدأت الاتصالات بين الجانبين،

---

(١) المصدر السابق

ولكنَّها بقيت على مستوى منخفض، ولكن حماس فتحت مكتباً لها في طهران، ولم تتهم حماس أبداً أنها تتبع لإيران، فقد كان مكتبها السياسي موجوداً في الأردن، وكان الإتهام لها بأنها تتبع الأردن وتؤيد الخيار الأردني للحلّ؟!

بعد وفاة الملك حسين ساءت العلاقة بين حماس والنظام هناك، فأجبر أعضاء المكتب السياسي للحركة على الإختيار بين البقاء في السجن، أو المغادرة إلى قطر وسوريا وإيران والسودان واليمن، وبقي هؤلاء الأعضاء في تلك الدول في حالة تنقل دائم.

منذ تلك الفترة وحماس تتهم بأنها ضمن المحور السوري ـ الإيراني ـ القطري، ويتمُّ تجاهل اليمن والسودان، وأحيانا لا تذكر إلا إيران؟!

إعتبر القرار الإيراني بدعم حماس تسليحاً وتدريباً وسياسة قراراً استراتيجياً، فإيران تعلم علم اليقين أن مفتاح عقول وقلوب المسلمين والعرب في العالم هو في فلسطين، ومن أراد الوصول إلى تلك العقول والقلوب بأسهل الطرق، فما عليه إلا أن يدعم من يقاوم الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، كما أن إيران تعلن ليل نهار أنَّها تعادي أمريكا وإسرائيل، فكيف ستعاديهما بلا دعم لمن يقاتل إسرائيل بالذات؟.

وتعلن حماس ليل نهار أنَّها ترحب بكلِّ مساعدة تقدم لها من المسلمين والعرب سنتهم وشيعتهم، مسلميهم وغير مسلميهم، عربهم وعجمهم، إضافة للأحرار في العالم على اختلافهم، فحماس تدرك أن قضية فلسطين تحتاج لجهود الجميع، ولذلك فالنباهة وحسن إدارة المعركة تستوجب من حماس استيعاب الجميع لصالح المعركة، فكيف بمن يدعم المقاومة بكل ما

تريد؟!

قررت حماس الإبتعاد عن كافة التناقضات الداخلية في كافة الدول العربية والإسلامية وغيرها، ونأت بنفسها عن كلّ الصراعات الجانبية، وحصرت معركتها مع الإحتلال على أرض فلسطين..

إذاً لماذا يتهمّ خصوم حماس هذه الحركة بأنها(شيعة... شيعة)، وأنَّها عبارة عن أداة في يد إيران، وغيرها من الإتهامات؟[1]

يقول بعض المحللين: إنَّ من يتهمون حماس بهذه الإتهامات يريدون التغطية على تحالفهم مع إسرائيل وأمريكا، وأن هذه الأطراف تمارس ما يعرف بالإسقاط النفسي على حماس، فهم يريدون اتهام حماس بما فيهم من عمالة وخيانة وانسياق لأعداء الأمة، وأن أكثر ما يزعجهم هو رفض حماس لركوب قطار التسوية الأمريكي ـ الإسرائيلي، الهادف لتصفية القضية الفلسطينية.

ويعتبر هؤلاء المحللون أن هذه الأطراف ليس ما يزعجها لا الشيعة ولا الفرس، فهم كانوا حلفاء لشاه إيران عندما كان عميلاً لأمريكا وإسرائيل، وكان يعلن أنه فارسي، وفي عهده احتل الجزر الإماراتية، ولم يفتح أي منهم فمه؟!

ويتساءل هؤلاء أيضاً، لو أن إيران اعترفت ب(إسرائيل)، وركبت في القطار الأمريكي، وأعادت سفارة فلسطين حالياً، إلى (إسرائيل) وقطعت كل مساعدة للفلسطينيين، فهل سيبقى الموقف منها هو هو؟!.

---

(١) المصدر السابق

بالتأكيد ستصبح إيران حليفاً لهم، وقد يضمونها إلى الجامعة العربية أيضاً[١]...

إن العار هو عدم دعم المقاومة، والعار الأكبر هو اتهام من يساعد المقاومة، والشرف هو ما تفعله الجمهورية الإسلامية، دولة الثورة، أو ثورة الدولة في دعمها للمقاومة..

ثالثا: الوحدة الإسلامية في فكر الثورة الإسلامية

يعتبر الإمام الخميني ﷺ إمام الوحدة الإسلامية بحق، فقد كان يجسد معاني الوحدة الإسلامية[٢]، ويعتبر أن هذه الوحدة من أسس هذا الدين، وهي تكليف إلهي، والإمام الخميني ﷺ أحد أكبر فقهاء الإسلام السياسيين والاجتماعيين، كان الإمام يتحرك في ظل وسط شيعي، فإيران دولة معظم مواطنيها من الشيعة الإمامية، وهناك قلة تتبع مذاهب أهل السنة، والوسط العالمي، أي الدول المتحكمة في القرارات والمصائر من الممكن أن تتساهل في أمر الثورة التي تنطلق من منطلق مذهبي محدود، ولكنها لا تتساهل أبداً في أمر ثورة ذات بعد بحجم الإسلام، أي إسلام لا يفرق بين المذاهب ولا بين الشعوب.

ومع ذلك فإن إيمان الإمام الخميني ﷺ بالوحدة الإسلامية وتمسكه بها كان أعظم من كل المخاطر أو المغريات، لقد حاول البعض أن يلبس الثورة

---

(١) مقال صبحي غندور ـ منقول من موقع إسلام أون لاين

(٢) المصدر السابق

الإسلامية في إيران لباس المذهب الذي يتبعه أغلبية الشعب الإيراني، وهو المذهب الشيعي، فقالوا: إن هذه الثورة هي ثورة شيعية، كما حاول آخرون إلباسها لباس القومية الفارسية، وكان رد الإمام علي تلك الادعاءات بإطلاق أعظم شعار رددته من خلفه جماهير إيران الثائرة في وجه الظلم: (لا سنيّة لا شيعيّة جمهورية إسلامية)[1].

وأعلن أن هوية هذه الجمهورية هوية إسلامية، لأن المذهب جزء من الإسلام يمثل رؤية من مجموع الرؤى، وفهماً من جملة المفاهيم، ومهما كان المذهب عظيماً، فإن الإسلام أعظم من المذهب، لقد كان الإعلان عن إسلامية الثورة والجمهورية بعد ذلك صفعة موجهة إلي وجوه الأعداء، وبقدر ما أزعج أعداء الإسلام، فقد شعر معه المخلصون بأنهم وضعوا أقدامهم علي أول الطريق الموصل إلي العزة والكرامة والظفر.

لقد كان ردّ فعل أعداء الإسلام حانقاً، ولجأوا إلي كل وسيلة ممكنة من أجل إجهاض الثورة ووأد الجمهورية، فعملوا على إيقاد نيران الفتنة بين المسلمين من خلال حرب الشائعات التي جند لها أعداء الإسلام أبواقاً من المسلمين المنغلقين فكرياً، والذين تربّوا في أحضان أصحاب الرؤية الضيقة، الذين يعتقدون أن الإسلام لا يتسع إلا لعصبياتهم ومقولاتهم البعيدة كل البعد عن رحابة الإسلام وسعة أفقه، فانطلق هؤلاء في حرب إعلامية وشعاراتية هدفها تكفير الشيعة، وعلى الأخص الشيعة الإمامية، فنسبوا إليهم أقوالاً وآراءً، الشيعة بريئون منها براءة تامة، كما ذكرنا في ثنايا هذا

---

(١) المصدر السابق

الكتاب.

إن هذه الحرب ـ الحرب الفعلية وحرب الشائعات ـ ما كانت لتقوم لو أن الإمام الخميني ﷺ تخلّى عن مسألة ضرورة أن تتوحد الأمة الإسلامية بكل مذاهبها وأبنائها، ورغم هذه الحرب وما تركته من آثار فإن ذلك لم يؤثّر أبداً على فهم أو خط الإمام، لقد ردَّ الإمام على تلك الشائعات ذات الفتاوى الطائفية بالدعوة إلى مزيد من الوحدة، لاسيما بين العلماء، وكان مما قاله: يجب أن ينتفض العلماء في سائر أنحاء العالم وخاصَّة علماء ومفكرو الإسلام العظام، وأن يكونوا قلباً واحداً، وفي اتجاه واحد في طريق إنقاذ البشرية من سيطرة السلطة الظالمة، هذه الأقلية المحتالة والمتواطئة التي فرضت سلطتها الظالمة علي العالم من خلال مختلف الدسائس والحيل، وأنْ يزيلوا ببيانهم وقلمهم وعملهم ذلك الخوف الكاذب، المسيطر علي المظلومين، وأن يقضوا على هذه الكتب التي انتشرت مؤخَّراً بواسطة الأيدي القذرة للاستعمار وعبيد الشيطان، والتي تهدف لزرع الفرقة بين طوائف المسلمين، وأن يقضوا على جذور الاختلاف، الذي هو منشأ جميع مصائب.

عدنا إلى الوراء قليلا، نجد أنَّ الإمام الخميني ﷺ مهموم دائما بالوحدة الإسلامية، فمنذ الستينات أعلن الإمام الخميني ﷺ: «يجب أن يكون هدفنا محدداً، إنه الإسلام واستقلال بلادنا بطرد عملاء إسرائيل، ومن ثمَّ الإتحاد مع الدول الإسلامية».

ولم يغفل في ثورته عناوين الرخاء الاقتصادي والتنمية، لكنَّه ربطها كذلك بمصالح العالم الإسلامي فهيّأ في كل مجال ما يعزز قيمة الوحدة الإسلامية في المجتمع الإيراني.

لقد شكَّلت الوحدة الإسلامية معلماً بارزاً في خط الإمام الخميني ﷺ منذ بدايات حركته السياسية والاجتماعية، ولذلك يمكن تتبعها في طول حركته وفي أطر متعددة قد لا يحصرها المصطلح، إذ كان يحيا هذه القضية في بعدها النظري ـ التكليفي الشرعي ـ من جهة، وبالنظر إلى الآثار الواقعة على إيران والعالم الإسلامي من جهة أخرى، وذلك تصديقا لقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾، ويمكن كذلك تَتبّع منهج خاصٍّ للإمام الخميني في فهم الوحدة الإسلامية، يجمع بين فهم المذاهب الإسلامية كمدارس فقهية يمكن التقريب بينها على المستوى العلمي، وبين وحدة الأمّة ككيان سياسي يقابل الأجانب عن هذه الأمّة ومصالحها.

وغير بعيد عن هاتين النقطتين، يمكن الكلام عن إحياء الإمام للخطاب الإسلامي الإنساني، الذي يرى وحدة المنشأ البشري، ويواجه النزاعات العنصرية والاستعلائية التي قدَّمتها نماذج فلسفية وسياسية غربية بررت الاستعمار العسكري والاستيلاء على مقدرات الشعوب، ووجدت لها في عالمنا الإسلامي أتباعاً وعملاء، وهي نماذج عايشها الإمام بآثارها السياسية في العالم الإسلامي، وغيره من أوروبا إلى جنوب أفريقيا، على مدى عقود وأعوام متمادية[1]، ويمكن تأصيل فكر الوحدة الإسلامية عند الإمام الخميني ﷺ، ثم الإمام الخامنئي في المحاور الوحدوية الآتية.

---

(١) الشيخ علي خازم ـ الوحدة الإسلامية في خط الإمام الخميني ﷺ السنة الثامنة ـ مجلة الوحدة الإسلامية ـ بيروت ـ العدد التسعون ـ جمادى الآخرة ـ رجب ـ ١٤٣٠ هـ ـ (حزيران) يونيو ٢٠٠٩ م

١ ـ الوحدة الاجتماعية

واجه الإمام الخميني ﷺ على المستوى الداخلي الإيراني سعياً حثيثاً لدى السلطة الشاهنشاهية لاستخدام التنوع العرقي والمذهبي أداة لتشكيل تفاوت اجتماعي وتخالف مصلحي، يؤدّي إلى إبقاء السيطرة على الأوضاع العامَّة في مناخ عدائي بين أفراد الشعب، وقد عمل الإمام ودعا إلى وحدة الشعب الإيراني قبل انتصار الثورة وبعدها، مؤسساً لروح وحدوية في كلِّ المجالات التي يتوهّم الناس فيها التعدد المتنافر عادة، كما في التعدد العرقي: فرس وترك وكرد وبلوش وعرب، أو في التعدد الفكري ومصادره: حوزة وجامعة، وفي هذا المجال قال الإمام[1]: «إنِّي أمدُّ يدي وبمنتهى التواضع نحو جميع التجمعات العاملة لخدمة الإسلام، طالباً إليهم السعي لتحقيق الإتحاد فيما بينهم في جميع المجالات، وذلك من أجل بسط العدالة الإسلامية التي تمثّل الطريق الوحيد لتحقيق السعادة للشعب، لقد بذلت ـ وما زلت ـ قصارى جهدي من أجل تحقيق الوحدة بين مختلف طبقات الشعب المسلم، وأسأل الله تعالى العون لتحقيق هذا الأمر، الذي يعتمد عليه وجود الشعب وبقاؤه.» وقد أكَّد انتصار الشعب الإيراني هذه النظرية: الوحدة تُقدّم الانتصار والاستقلال والعزّة.

٢ ـ الوحدة الدينية

اعتقد الإمام بأن الخلاف المذهبي، بما هو اختلاف علمي يُبقي

---

(١) المصدر السابق

الإسلام، بل يغنيه على هذا الصعيد، ولم يتعارض هذا الاعتقاد عنده بالتمسك بالمذهب مع وجود الروح الإسلامية، وقد أثَّر الاتجاه العرفاني للإمام بتقوية شعور المحبة للمسلمين أينما كانوا، والتعاطف البالغ مع قضاياهم كافّة.

وفي هذا المجال، يمكن ملاحظة اهتمام الإمام وكلامه على مستويين: الأول الوحدة، بما هي أخوّة أنشأها القرآن الكريم، والثاني الوحدة، بما هي قوّة تصون الإسلام، وتحفظ الأمّة مما يراد بها من أعدائها.

على المستوى الأول قال الإمام الخميني ﷺ: «إن القرآن الكريم يحكم بأن جميع المؤمنين في العالم هم أخوة والأخوة، متكافئون»[1]، أي إن الأخوة الإسلامية منشأ لكل الخيرات، لقد بلغتم ما بلغتم بالمحافظة على الأُخوّة، وبها تبلغون ما هو أسمى أيضاً.

وقال أيضا: لقد ذكرت مراراً أن لا أهمية للعنصر والقومية والإقليم في الإسلام، فجميع المسلمين سنة كانوا أم شيعة هم أخوة متكافئون، متساوون في المزايا، والحقوق الإسلامية، وأنه ليس في الإسلام سني وشيعي، أو كردي وفارسي فالكل أخوة.

وقد ظهر هذا العنوان عملياً في التآخي بين أفراد الشعب الإيراني أثناء الثورة، وبعد الانتصار ظهرت أخوة الشعب المسلم في إيران مع بقية شعوب العالم الإسلامي كما كانت من قبل.

أما على المستوى الثاني، أي الوحدة بما هي قوة تصون الإسلام وتحفظ

---

(١) المصدر السابق

الأمة، فهنا يمكن رؤية الإمام ليس منخرطاً فقط في مشروع توحيد الأمة وحفظ مصالحها، بل متماهياً في هذا المشروع، فلقد وعى الإمام مخاطر ومؤامرات الاستعمار وربيبته إسرائيل، وعمل على إيقاظ الأمة وتحذيرها من أنه لا عزَّة ولا تنمية ولا تقدم لها بدون معالجة هذا الجرح، والتنبه لآثاره على العالم الإسلامي، بل على العالم كله، معتقداً بضرورة ربط المشاريع التغييرية في أي جزء من أجزاء العالم الإسلامي بقضية فلسطين، وهذا ما كان يظهر في خطبه ضدَّ الشاه وحكومته وعلاقته بإسرائيل، بل تسخيره ثروات البلاد لخدمة الكيان الغاصب، وهو ما نجد شبيهاً له في عالمنا العربي والإسلامي اليوم بقوة، قال الإمام: «لقد حذرت مراراً من خطر إسرائيل وعملائها، ولن ترى الأمة الإسلامية السعادة، إلا بعد أن تقتلع جرثومة الفساد هذه من أصلها، إن من أسباب ثورة الشعب المسلم في إيران على الشاه دعمه لإسرائيل الغاصبة».

واستمرَّ الإمام والقيادة الإسلامية الإيرانية بدعم الثورة الفلسطينية والإنتفاضة الشعبية بعد خلع الشاه وإلى يومنا الحاضر.

وفي مجال حفظ ثروات العالم الإسلامي وجعلها في خدمة الأمة قال الإمام: «يا مسلمي العالم الذين تملكون إيماناً بحقيقة الإسلام، انهضوا واجتمعوا تحت راية التوحيد، وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي الخونة المستكبرين عن أوطانكم، وعن خزائنكم وأعيدوا مجد الإسلام، ودعوا الخلافات والأهواء النفسانية، فأنتم تملكون كل شيء»[1]

---

(١) المصدر السابق

٣ـ الوحدة الإنسانية

إن من أبرز ما أنتجه الإمام الخميني ﷺ في ثورته، هو إحياء الخطاب الإسلامي الإنساني، فمعه عادت مصطلحات «المستكبرين» و «المستضعفين» و «الدفاع» و «النصرة» و «المساواة» .

واستبعاد قيم ومفاهيم التعصب المذهبي والعرقي بين المسلمين، لأنَّها مقدِّمة لكسر الحواجز ، التي أرادها الاستعمار وأدواته عائقاً، يمنع شعوب الأمة الإسلامية من الانفتاح والتكامل السياسي والتنموي، بتسخير قدراتهم وثرواتهم لحلّ مشاكلهم الاجتماعية، لقد وجدنا الإمام[1] متعاطفاً مع قضايا عالمية تحت عنوان: نصرة المستضعفين من غير المسلمين في وجه المستكبرين ، الذين يسعون ويعملون على تدمير إنسانية الإنسان، وبغضِّ النظر عن عرقه ولونه وموطنه.

كما ركّز على بيان موجبات الوحدة والمساواة وحفظ الكرامة الإنسانية، في هذا المجال يمكن ملاحظة نصوص الإمام الموجَّهة إلى البابا ورجال الدين المسيحيين، وكذلك إلى القوى المناهضة للاستكبار والاستعمار، واستقباله لقوى التحرر في العالم وتعاونه معها.

المفهوم الواحد

أخيراً، إن هذه العناوين الثلاثة السابق ذكرها كمفاهيم متشابكة تعطينا صورة عن مفهوم الوحدة الإسلامية في خطِّ الإمام الخميني ﷺ، وتصدير

---

(١) المصدر السابق

عناوين أخرى، كدعوته إلى الالتزام بصلاة الجماعة في موسم الحج خلف الإمام المخالف في المذهب، أو إحيائه لأسبوع الوحدة الإسلامية، أو تبنّيه لتجمّع العلماء المسلمين في لبنان من السنة والشيعة، أو دفاعه عن قضايا المستضعفين في العالم، وكذلك رفض اعتبار السنة في إيران أقلية دينية، تفاصيل يمكن ملاحظة الكثير من أمثالها.

وهذا الخطّ الذي انتهجه أثمر في خارج إيران كما أثمر في داخلها لخروجه من المصالح القطرية الضيقة.

ولم تنحصر الاستجابة والتأثّر بالقوى الإسلامية، بل تجاوزتهما إلى القوى الوطنية والقومية. إن شعار الوحدة الإسلامية الذي تداخل في كل الأمور المطروحة كهموم لأفراد الأمّة صار مقبولاً حتى عند أصحاب العقائد غير الإسلامية.

لقد ساهم النموذج الذي قدمه الإمام الخميني ﷺ في قبول الإسلام كمعطى حضاري عند هؤلاء، يقبل الاختلاف ويساهم في رفع مستوى المواجهة مع أعداء الشعوب الداخليين والخارجيين.

كما قال الإمام الراحل الخميني كلمة رائعة خالدة، حول موضوع التقريب بين السنّة والشيعة: بأنّ من يفرق بين الشيعة والسنّة لا هو بسنّي ولا هو بشيعي، بل هو عميل للاستعمار.

لقد جسد هذا الإمام العظيم في حياته العملية هذا الموضوع وفقاً لتعاليم أهل البيت عليهم السلام قبل انتصار الثورة وبعدها، حيث أفتى بجواز دفع الزكاة إلى الإخوة الفلسطينيين السنّة، ودعمهم مادياً ومعنوياً، وأيّد المشاريع الوحدوية والتقريبية، وكذلك خلفُهُ الصالح آية الله العظمى السيّد الخامنئي.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة، أعطى للإخوة السنّة في إيران كامل الحرية في جميع المجالات، فلهم ممثلون في مجلس الشورى الإسلامي، ولهم مساجدهم وحوزاتهم العلمية ومعاهدهم الخاصّة بهم، حتّى خصصت الدولة الإسلامية ميزانية معينة للحوزات العلميّة السنّية في مناطق تواجدهم، وقد عرف إخواننا السنّة اهتمام الإمام ودولته المباركة بهم فهتفوا «لا شيعي لا سنّي قائدنا خميني»، ففي الجمهورية الإسلامية يُدَّرس الفقه السنّي وآراؤهم وعقائدهم في بعض الجامعات الإسلامية[1].

خطوات عملية نحو الوحدة

لم يقتصر موقف الإمام الخميني ﷺ على النظريات وحدها من أجل تحقيق الوحدة بين المسلمين، بل لقد خطا الإمام الخميني ﷺ في حياته خطوات عملية وحدوية، رغم كثرة المشاكل التي أحاطت بإيران الثورة، فلم يكن نظريا فقط ولا متاجراً بشعارات الوحدة لتحقيق أهداف موضعية مؤقتة، نذكر من هذه الخطوات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي[1]:

١ـ فتواه الموفّقة للشيعة الذين اتخذوه مرجعاً دينياً لهم بالصلاة خلف أئمة الحرمين الشريفين من أهل السنة، وهي فتوى قطعت ألسنة كثيرة كانت تهمز وتلمز وتشكك في وحدوية الرجل.

٢ـ موقفه المشرِّف في الاستجابة للشيخ سعيد شعبان أمير حركة التوحيد

---

(١) المصدر السابق

(١) المصدر السابق

الإسلامي في لبنان عندما حوصر في طرابلس من بعض القوى اليسارية، إذ أرسل المذكور برقية إلى كثير من حكام العرب والمسلمين يطلب منهم إنقاذه ممّا يتعرّض له وأتباعه من عملية إبادة، فلم يتلق منهم جواباً، باستثناء السيد الإمام الخميني ﷺ الذي أرسل السيد علي الخامنئي، وكان رئيساً للجمهورية على رأس قوّة من حرس الثورة، فدخلوا لبنان بأسلحتهم واخترقوا الحصار، وأنقذوا الشيخ المحاصر وجماعته من هلاك كانوا يتعرَّضون له.

٣ـ أما الموقف الوحدوي الكبير فهو موقفه من القضية الفلسطينية الذي قلب به الطاولة على المتاجرين بها والمتآمرين عليها، والتي شرحناها آنفا، مع اعتباره أن مشكلة القدس عامل وحدة بين المسلمين جميعا.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

ومن أهم المواقف العملية في فكر قادة الجمهورية الإسلامية، وفي فكر الإمام الخميني ﷺ بصفة خاصة هو تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، فقد كان انتصار الثورة الإسلامية في إيران وإيجاد حكومة إسلامية من جانب مؤسس الثورة سماحة الإمام الخميني ﷺ، قد مهّدا المجال لزيادة توسيع هذا الجهد بين المسلمين، وقد تبلور طرح شعار الوحدة الإسلامية، والاهتمام الخاصّ الذي أولاه الإمام الخميني ﷺ الراحل بهذه الفكرة في دستور الجمهورية الإسلامية، حيث يصرّح الدستور في أحد بنوده على الحرية الكاملة لأتباع المذاهب الإسلامية في الالتزام بمعتقداتهم، حتى ويحق لهم مراجعة محاكمهم التي تصدر أحكامها وفقاً لوجهات نظرهم، ممّا يُشكّل ذلك أنموذجا بارزاً آخراً من اهتمام الثورة الإسلامية

بوحدة الأمة الإسلامية وتعظيم الشعائر الإسلامية كالحج وصلاة الجمعة، والتي تُشكّل أبرز المجالات للاجتماعات الشعبية في الدين الإسلامي.

وكان الإمام الخميني ﷺ ينوي أن يؤسس مجمعاً علمياً للتقريب بين المذاهب

ويكون ذلك سبيلاً نحو تحقيق الوحدة، بعد أن كانت تشكل مصدراً نحو تشديد الخلافات بين الشيعة والسنة من المسلمين، ولكن الإمام الخميني ﷺ انتقل إلى جوار ربّه قبل أن يتم تأسيس المجمع الذي أراده.

ولكن سماحة آية الله العظمى الإمام خامنئي أكمل الطريق، وأصدر أمرا بتشكيل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المجمع الذي تكون رسالته الأصلية، طبقاً لما جاء في إستراتيجيتها، هي عبارة عن: «رفع مستوى التعارف والوعي وتعميق التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية، وتقوية الاحترام المتبادل، وتقوية أواصر الوحدة بين المسلمين، دون أيّ تمييز من ناحية المعتقدات المذهبية أو القومية أو الوطنية من أجل بلوغ الأمة الإسلامية الموحّدة».

وما زال المجمع يقوم بعمله الدائم، وقد انعقد ثلاثة وعشرون مؤتمرا للوحدة الإسلامية في طهران، أصدر خلالها الكثير من القرارت، ونفذت من خلاله توصيات، وهي المؤتمرات التي جمعت أبناء الأمة الإسلامية، وكان وما يزال لها دور كبير في تنقية الأجواء بين أبناء المذاهب الإسلامية المختلفة.

أما أهداف مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية فهي[1]:

---

(١) المصدر السابق

أ ـ المساعدة في أمر إحياء ونشر الثقافة والتعاليم الإسلامية والدفاع عن ساحة القرآن، وسنّة النبيّ الأكرم صَلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم.

ب ـ السعي في سبيل تحقيق التعارف والتفاهم الأكثر بين العلماء والمفكرين والقادة الدينيين للعالم الإسلامي في المجالات العقائدية والفقهية والاجتماعية والسياسية.

ج ـ إشاعة فكرة التقريب بين المفكرين والشخصيات النخبوية في العالم الإسلامي، ونقله إلى الجماهير المسلمة وتوعيتها بمؤامرات الأعداء المفرقة للأمة.

د ـ السعي لتحكيم وإشاعة مبدأ الاجتهاد والاستنباط في المذاهب الإسلامية.

هـ ـ السعي لإيجاد التنسيق وتشكيل الجبهة الواحدة في قبال التآمر الإعلامي والهجوم الثقافي لأعداء الإسلام، وذلك وفقاً للمبادىء الإسلامية المسلّم بها.

و ـ نفي موارد سوء الظن والشبهات بين أتباع المذاهب الإسلامية.

تلك بعض الرؤى الوحدوية في فكر قادة الجمهورية الإسلامية، منذ بداية الثورة وحتى اليوم، من أول الفكر الثوري، وحتى ثبات الدولة بكامل أجهزتها وقدراتها.

الفصل السادس

قراءة في البرنامج النووي الإيراني

لماذا الخوف الأمريكي الصهيوني، وللأسف العربي أيضا من البرنامج السلمي للجمهورية الإسلامية؟ سؤال قد تكون إجابته سهلة فيما يخصُّ الكيان الصهيوني، ولكنَّه يصبح صعبا فيما يخصُّ العالم العربي، فالكيان الصهيوني لا يرغب أن يرى دولة إسلامية واحدة متقدمة في أي مجال علمي، ناهيك عن المجال النووي، وعند قراءتنا لأوليات البرنامج النووي للجمهورية الإسلامية نجده ممتداً منذ زمن الشاة مُحَمَّد رضا بهلوي، ولكن الشاه لم يفكر فيه من أجل الدفاع عن الإسلام، بل كان يفكّرُ فيه من أجل ذاته أوّلاً، ومن أجل تهديد جيرانه من عرب الخليج، ولذلك لم تعترض أمريكا أو الكيان الصهيوني على نيّة الشاة من أجل إنشاء المفاعل النووي، حتى لو أدّى لصناعة اسلحة نووية، بل ساعدت إسرائيل وأمريكا الشاة في ذلك، وعلى كل حال نسرد سيرة البرنامج، نقلا عن موقع مفكرة الإسلام[1]

يعود التاريخ النووي الإيراني لعام ١٩٦٠م، حين كانت إيران ذات علاقة قوية وطيبة مَعَ الولايات المتحدة الأمريكية.

فَفِي غضون عام ١٩٦٠، وبمساعدة أمريكية، أنشأ شاه إيران «مُحَمَّد رضا بهلوي» منظمة الطاقة النووية الإيرانية، ومركز طهران للبحوث النووية، إلا أن هذا المركز لم يأخذ الدور البحثي المطلوب إلا عام ١٩٦٧م عندما أُلحِقَ بجامعة طهران،

---

(١) المصدر السابق

وأشرفت عليه منظمة الطاقة النووية الإيرانية، وبمجرّد أن بدأ المركز بحوثه النووية من جامعة طهران أهدت الولايات المتحدة الأمريكية للمركز مفاعلاً صغيرًا بقدرة ٥ ميغاواط لأغراض البحث. وكان لهذا المفاعل التدريبي قدرة على إنتاج ٦٠٠ غرام من البلوتونيوم سنويًا من وقوده النووي المستهلك.

وقّعت إيران على معاهدة الحَدّ من إنتاج وتجربة الأسلحة النووية في الأول من يوليو ١٩٦٨م، وأصبح التوقيع نافذًا في الخامس من مارس عام ١٩٧٠م. وَقَدْ جاء في نصِّ القرار الذي وقعته إيران في الفقرة الرابعة منه أن معاهدة الحَدّ من إنتاج الأسلحة النووية وتجربتها تعترف بما يلي: بأن لإيران الحَقّ في تطوير وإنتاج واستعمال الطاقة النووية للأغراض السلمية دون تمييز يذكر، وامتلاك المواد والأجهزة والمعلومات التكنولوجية والعلمية.

واستنادًا إلى توقيع المعاهدة ونصِّ الفقرة أعلاه ؛ تمكَّنت إيران من استيراد ما تحتاجه من مصادر لبناء المفاعل النووي وللأغراض التي حددها نص الفقرة الرابعة من المعاهدة، ما بين إيران ومجلس الأمن بخصوص منع انتشار الأسلحة النووية.

ثم تطوَّرت العلاقة الإيرانية الأمريكية النووية بعد حرب أُكتوبر عام ١٩٧٣م، حين امتنع الشاه من أن يدخل لعبة استعمال النفط كأداة ضغط على الولايات المتحدة الأمريكية. وتمكَّنت إيران من ضَخّ بتروله إلى الأسواق العالمية وبكميات كبيرة سدّت الاحتياج المطلوب في وقته، ولهذا ومَعَ عام ١٩٧٣م كانت الولايات المتحدة الأمريكية تشجّع على تطوير المشروع النووي الإيراني بحجة حاجة إيران إلى طاقة أُخرى غير الطاقة النفطية مَعَ مطلع عام ١٩٩٠م لسدّ احتياجاته من الطاقة الكهربائية، مَعَ عام ١٩٧٥م؛ بدأ المشروع النووي الإيراني يأخذ طريقه لإنتاج الطاقة الكهربائية، حين أصدر معهد «ستان فرد» للبحوث التابع للحكومة

الأمريكية تقريرًا جاء في مضمونه: على الولايات المتحدة الأمريكية أن تساعد إيران على بناء ٥ ـ ٧ مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة الكهربائية، وبالتالي خلال ثلاثة أشهر من هذا التقرير قامت الشركات الأمريكية ببناء تلك المفاعلات في أماكن متفرّقة من إيران.

كان طموح شاه إيران أبعد مما أعلنه معهد ستان فرد الأمريكي، وشده طموحه لبناء ٢٣ مفاعلاً نوويًا لإنتاج الطاقة الكهربائية، وبمدَّة قصيرة جدًّا، وعلى مرأى ومسمع من الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن العقد الذي أبرمه الشاه مَعَ الشركة الألمانية كرافت ورك في عام ١٩٧٥م قَدْ سبب إزعاجًا كبيرًا للولايات المتحدة الأمريكية. وكان فحوى العقد هو بناء مفاعل نووي في منطقة بوشهر بقدرة ١٢٠٠ ميغاواط تنفذه شركة سيمنز الألمانية.

ولإرضاء الولايات المتحدة الأمريكية ؛ قام الشاه بتوقيع معاهدة مَعَ معهد ماسيوشست التكنولوجي لتدريب ٨٠٠ مهندس وفني إيراني لإدارة وتشغيل مفاعل بوشهر عند الانتهاء منه، كما تعاقد الشاه عام ١٩٧٤ مَعَ الحكومة الفرنسية لبناء مفاعلين نوويين، تنفذهما شركة فرام أتم قدرة كُلٍّ منهما ٩٥٠ ميغاواط. إلا أن هذين المفاعلين لم يريا النور أبدًا كنتيجة لقيام الثورة الإيرانية وسقوط الشاه.

وبالإضافة إلى ما تَمَّ ذكره من عقود نووية مَعَ الشركات الغربية، كان هناك عقدان آخران وقعهما الشاه قبل سقوطه مَعَ الصين لبناء مفاعلين نوويين في منطقة داركوفن قرب نهر كارون، لكنَّهما أَيضًا لم يريا النور قَطّ لقيام الجمهورية الإيرانية الإسلامية.

يبدو أن شاه إيران بدأ بقوّة وعدم الاكتراث لإرضاء الولايات المتحدة الأمريكية يجعله يتصرّف بوسيلة انعكست عليه سلبيًا، فعلى الرغم من خروجه من أزمة التعاقد مَعَ الشركة الألمانية؛ إلا أنَّه أخطأ دون استشارة الولايات المتحدة

الأمريكية بتوقيع معاهدة تعاون نووي مَعَ الهند[١]، ولم تكن الهند البلد الوحيد الذي التجأ إليها الشاه للحصول على المعلومة النووية، بل وقّع عقدًا مَعَ فرنسا تَمَّ على أثره فتح مركز للدراسة والتدريب والإنتاج النووي في أصفهان. كانت حجة افتتاحه لتدريب المهندسين والفنيين لإدارة مفاعل بوشهر عند الانتهاء منه من قبل الشركة الألمانية وتسليمه إلى الإيرانيين لتشغيله، إلا أن فرنسا سرعان ما أخلفت معاهداتها فأغلق المركز، وترك مفاعله إلى أن تَمَّ الاتفاق مَعَ الصين لفتحه عام ١٩٩٦م، وهو الآن يعمل ضمن المعاهدة النووية الصينية الإيرانية، وفيه مفاعل نووي بقدرة ٤٠٠ ميغاواط.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تراقب تطوّر العلاقات النووية الإيرانية السلمية عن كثْب، وتحاول أن تتدخل بصورة سريعة لإنهاء أية نية لتطوير السلاح النووي، فعندما واجهت الولايات المتحدة الأمريكية تحديات الشاه بعقد اتفاقيات مَعَ الهند وفرنسا كحقيقة تؤدّي إلى الاستغناء عن خبرة الولايات المتحدة الأمريكية نوويًا، أرسلت في أُكتوبر عام ١٩٧٧م ممثل وزارة الحكومة الأمريكية في وزارة الخارجية سدني سوبر للتفاوض مَعَ الشاه بخصوص البرنامج النووي الإيراني، وَتَمَّ الاتفاق على إلغاء كُلّ المعاهدات القائمة بين إيران والدول الأُخرى، شرط أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتزويد إيران بثمانية مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة الكهربائية، وَقَدْ تَمَّ التوقيع على شراء هذه المفاعلات رسميًا بين البلدين في العاشر من يوليو/ تموز عام ١٩٧٨م، وَقَدْ كان الاتفاق شاملاً ويحتوي على تزويد إيران بكل ما يحتاجه المفاعل، بما فيه الوقود النووي وكيفية تطويره ومواده الأساسية.

لم ير العقد الأمريكي الإيراني النووي النور أبدًا، وصادرت الولايات المتحدة

---

(١) نقلا عن موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الإلكتروني.

الأمريكية مبلغ ثمانية مليارات كجزء من سعر المفاعلات التي تَمَّ التعاقد عليها، بعد نجاح الثورة الإيرانية ضدّ الشاه وإلغاء رئيس الوزراء حينذاك «مهدي بزركان» العقد عام ١٩٧٩.

خلال الحرب العراقية الإيرانية التي دامت أمدًا طويلاً قصفت الطائرات العراقية مفاعل (بوشهر ـ ١) ست مرات، وعلى وجه التحديد في ١٣ مارس ١٩٨٤م، فبراير ١٩٨٥، ١١ مارس ١٩٨٥، ١٧ يوليو ١٩٨٦، ٢ نوفمبر ١٩٨٧ و ١٣ نوفمبر ١٩٨٧م.

لَقَدْ خلفت الحرب العراقية الإيرانية دمارًا كبيرًا في البنى التحتية الإيرانية، فلذا كان من أول أولويات الدولة الإيرانية بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية البحث عن العقود السابقة مَعَ الدول الأوربية لبناء مفاعل نووية لتوليد الطاقة الكهربائية. وكانت الحكومة ترى أن توليد الطاقة الكهربائية يُعدُّ أساساً في إعادة تشغيل المعامل التي أغلقت مُنْذُ زمن الشاه بعد تحسينها لإعادة بناء إيران.

وعليه فَقَدْ فاتحت حكومة إيران في أبريل عام ١٩٩٠ شركة كرافت ورك لإكمال عملها في مشروع بوشهر الثلاثي، الذي نفذت منه مشروعين أحدهما بواقع ٩٠٪ والآخر بـ ٥٠٪ وكلاهما دمَّرته الحرب، إلا أن الشركة رفضت التجاوب تحت ضغط أمريكي فطلبت من الحكومة الألمانية التدخّل في حَلّ المشكلة ؛ لأن الشركة قَدْ استلمت مبالغ بناء المشروع الثلاثي في بوشهر بالكامل، دون أن تنجز مشروعها، مؤكّدة أن التعاقد كان مَعَ الحكومة الإيرانية، وأيّ عقد موقَّع مسبقًا يبقى يحافظ على صورته القانونية حَتَّى عند سقوط الحكومة.

لم تفلح الدبلوماسية في إقناع شركة «كرافت ورك» التابعة لشركة «سميتز» لتنفيذ المشروع، ما أجبر الحكومة الإيرانية في الخامس من آب / أُغسطس على أن تقدَّم شكوى للمحاكم الألمانية بحَقّ الشركة والحكومة الألمانية، وَقَدْ طالبت

بشكواها دفع مبلغ ٥.٢ مليار دولار كتعويض عن عدم التزام الشركة والحكومة الألمانية بتنفيذ العقد وبنوده، ومازالت القضية في أروقة المحاكم الألمانية.

ومُنْذُ عام ١٩٩٠م وإيران تحاول أن تبني مفاعلها النووي لتوليد الطاقة الكهربائية في بوشهر، إلا أنه في كُلّ مرة تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تضع ضغوطاتها على تلك الدول لإلغاء أيّة صفقة أو تعاقد مَعَ إيران.

فعلى سبيل المثال تعاقدت إيران عام ١٩٩٠م مَعَ المركز الوطني الأسباني للصناعة والأجهزة النووية لتزويدها بالأجهزة والمعدَّات لأكمال مفاعل بوشهر. إلا أنَّ هذا العقد ألغي بعد شهرين بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية. وتعاقدت إيران في عام ١٩٩٣م مَعَ شركة إنسلودو الإيطالية التي تعمل مَعَ مجموعة شركات الألمانية لتزويدها بست مجسات نووية فصادرتها الحكومة الإيطالية. وتعاقدت عام ١٩٩٣م مَعَ شركة سكودا بلزن الجيكية لتزويدها بأجهزة لبناء مفاعل نووي لتوليد الطاقة الكهربائية وألغي في صيف عام ١٩٩٤م، وبضغط أمريكي أَيضًا. وتعاقدت في الرابع من مارس مَعَ الحكومة البولندية لتزويدها بمعدات تكميلية لمفاعل لتوليد الطاقة الكهربائية فأُلغيت بعد أسبوعين بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية.

هكذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تلاحق إيران في بناء مفاعلها النووي.

والواقع أن السبب الكامن ليس في معاقبة إيران من التمتع بطاقة كهربائية من مشروع نووي سلمي بقدر ما أن الوقود النووي عند تفاعله لتوليد الطاقة الكهربائية يولّد كمية من البلوتونيوم، ولمثل مشروع بوشهر ذي الطاقة الكبرى، يمكّنه أن يولّد ما يقارب ٢٣ كيلو من البلوتونيوم سنويًا، ويعني ذلك أن إيران بهذا القدر المتولّد من البلوتونيوم يمكن لها أن تطوّر السلاح النووي ببساطة من خلال تحوير أيّ مفاعل نووي سلمي إلى مفاعل نووي للبحوث والتجارب التسليحية.

ولكن أصبح المشروع النووي الإيراني يأخذ صورة أكثر واقعية للتنفيذ مهما كانت الظروف الإيرانية الاقتصادية خلال آذار/ مارس من عام ١٩٩٥م، حين وقعت عقدًا مَعَ روسيا لتنفيذ مشروع بوشهر تحت إشراف وكالة الطاقة النووية الدولية، وكان العقد ينصُّ على إنشاء عدّة مفاعلات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية لها القابلية على إنتاج ١٨٠ كيلوغرامًا من البلتونيوم في السنة من الوقود النووي المستنفذ. كما كان العقد ينصُّ على ضرورة إنجاز روسيا عملها في أوَّل مفاعل نووي في بوشهر لتوليد ٣٠ـ ٥٠ ميغاواط خلال أربع سنوات، وأن تدرّب خمسة عشر خبيرًا نوويًا إيرانيًا في السنة، بالإضافة إلى بناء وحدة لإنتاج الغاز النووي القاذف لتخصيب اليورانيوم.

لَقَدْ حاولت إدارة «كلنتون» اتباع كُلّ السبل لإلغاء العقد المبرم ما بين روسيا وإيران، إلا أنها فشلت في إلغائه، وباشرت روسيا في بناء وتطوير المفاعلات النووية في بوشهر. ويبدو أن سبب إصرار روسيا على ذلك الأمر يعود لأسباب مادية بحتة؛ نتيجة أزمة روسيا الاقتصادية. ووجدت روسيا في المفاعلات النووية لتوليد الطاقة الكهربائية أداة لدخول السوق الدولية بقوّة لجلب مليارات الدولارات لروسيا من جانب، وللضغط على الولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر. إلا أن إدارة «كلنتون» استغلّت مسألة البلوتونيوم المتولّد من الوقود النووي وأخذت تصرّح أن إيران سوف تستعمله لإنتاج السلاح النووي، وبناءً على المناقشات التي دارت بين إدارة «كلنتون» وإدارة «بوتن»، توصَّل البلدان إلى أن تقوم روسيا باستعادة الوقود النووي المستنفد في بوشهر إلى روسيا. إلا أن إيران تمكَّنت في عام ١٩٩٨م من إقناع روسيا بضرورة ترك البلوتونيوم لها، وقررت أن تعوّض روسيا ماليًا لقاء عدم نقل النفايات النووية لروسيا لخزنها في سيبريا. وهو من الناحية العلمية والسياسية اعتبرته الولايات المتحدة الأمريكية إنجازًا يصبُّ في خانة إيران

لتطوير سلاحها النووي، وتهديد وجود إسرائيل حسب تعبيرها.

بعد أن عجزت الولايات المتحدة الأمريكية، وبضغط من إسرائيل، على منع إنجاز مفاعلات بوشهر، راح الاثنان يصرّحان بخطورة البرنامج النووي الإيراني، وكيفية استعمال النوويات الإيرانية السلمية للأغراض الحربية، وكان هذا هو السبب الذي حشد هواجس إسرائيل وأمريكا يعود إلى قيام روسيا على تدريب علماء نوويين إيرانيين للعمل في بوشهر بعد الانتهاء من التعاقد مَعَ روسيا[1].

من العرض السابق نجد أن البرنامج النووي الإيراني كما شرحناه أخذا من موقع «مفكرة الإسلام» ما كان له أن يقلق أمريكا أو الكيان الصهيوني في زمن الشاه، لأنَّ الشاه كان عميلا لهم أو كان وكيلا لديهم، ولكن وعندما صار البرنامج السلمي واقعا في يد القوى المقاومة أقلق هذا مضاجع الأمريكيين والصهيونيين، والغريب أنه أقلق الدول العربية بعد أن روَّجت الدعاية الصهيونية أن النووي الإيراني خطر على العرب، وهو ما رددته الدعاية العربية الرسمية واستغلَّت معه بعض رجال الدين.

دور البرنامج النووي في ردع الصهيونية

في كل الأحوال نجد أنَّ الهوس الصهيوني الأمريكي، لا يعود بسبب البرنامج النووي الإيراني السلمي فقط، ولكن لأسباب أخرى أيضا، من أهمّها دعم إيران

---

(١) موقع مفكرة الإسلام، ومن خلال القراءات المتعددة حول البرنامج النووي الإيراني للإراض السلمية، ومتابعة ردود الفعل الصهيونية اليومية، وأيضا ما جاء في كتاب التاج الإيراني لأسيمة جانو حول بدايات التكفير في الطاقة النووية في زمن الشاه المخلوع

المشروع الإسلامي المقاوم، حيث إنَّ الحصار العالمي الاستكباري قائم ودائم على الجمهورية الإسلامية منذ نجاح الثورة، وزاد الفزع بعد التجارب النووية الإيرانية، لأنَّ الكيان الصهيوني يعلم علم اليقين أن الفزع النووي الصهيوني ضرب الإرادة الإسلامية في مقتل، وكان أحد الأسباب المهمَّة في الترويج للسلام الزائف، وأنَّ القدرة الإسلامية لا تتمكَّن من الوقوف أمام ٢٠٠ رأس نووي يمتلكه العدو الصهيوني، ولكنَّ المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين تمكَّنت من تحييد كل الترسانة العسكرية التي يملكها العدو، وبالتالي انتصرت عليه، وأكَّدت مقولة إن الحرب إرادة قبل كل شيء، فزاد الرعب الصهيوني، وتفاعل الفزع مع الإعلان عن القدرة النووية السلمية للمشروع النووي للجمهورية الإسلامية الإيرانية، خاصة أن القدرات النووية لإيران تقوم على شبه اكتفاء ذاتي علمي واقتصادي، ولذا فإن الكيان الصهيوني علم أن القدرة النووية الإيرانية ستمنعه من تحقيق تفوقه على الدول الإسلاميّة، أو بمنظور علمي حدث ردع نووي، رغم كل التهديدات الصهيونية الأمريكية لضرب إيران، ولكنه الرادع الطبيعي الذي يجعل من العدو أن يختار مواقفه حسب القدرات السياسية والعسكرية، ولا نذهب بعيدا فالإدارة الأمريكية السابقة بقيادة الرئيس جورج بوش حاولت كثيرا التفكير في ضرب الجمهورية الإسلامية، ولكنَّها أدركت أنَّ الضرب ثمنه مكلف، وكان ذلك من الأسباب التي أدَّت بالرئيس الأمريكي باراك أوباما أن يأخذ نهجا جديدا في التعامل مع السياسة الإيرانية بصفة عامَّة، صحيح أن الرئيس أوباما يختلف في توجّهاته عن المحافظين الجدد برئاسة جورج بوش الابن، وأن السياسة الأمريكية الجديدة تختلف كثيرا في توجّهاتها وأسلوبها عن السياسة التي قادها جورج بوش، ولكن ومن زاوية أخرى نجد أن القرار الأمريكي ليس في يد الرئيس كلية، وأن أوباما عندما يأخذ نهجا جديدا متسقا مع سياسته المعلنة، فإنه يأخذه أيضا بناء على

حسابات ما لدى الخصوم والحلفاء، ونرى ذلك بوضوح في التعامل الأمريكي مع باقي الدول التي تُسمَّى معتدلة، أي أن القدرة الإيرانية بصورة عامَّة هي التي ردعت السياسة الأمريكية، وهي التي عدلت ميزان القوى المائل في صالح الكيان الصهيوني، وإسرائيل ـ ضمن عقيدتها الصهيونية ـ وإستراتيجيتها العسكرية، ترى عدم السماح لأية دولة في المنطقة بأن تمتلك أسباب التفوّق عسكرياً أو مدنياً، ومازالت تعمل على عدم تمكين العرب والمسلمين في المنطقة من أسباب القوَّة، ومن هنا تحيك المؤامرات ليل نهار ومعها الغرب على إبقاء الانقسام والتفتت والتناحر بين هذه الدول، حتى تبقى شظايا دون تأثير، وتقوم عن طريق دوائر التجسس لديها بإثارة كل أنواع النعرات الدينية والعرقية في المنطقة، حتى تبقى هي سيّدة الموقف وصاحبة الشأن بل وصاحبة القرار، وهي ترى أنَّ مجالها الحيوي يتعدَّى المنطقة العربية إلى الشرق الأوسط، حيث قال شارون ذات يوم إن «المجال الحيوي لإسرائيل يقع إلى ما وراء إيران بل باكستان»، ونفس المقولة وبكلمات أخرى قيلت على لسان وزيرة خارجية أمريكية مادلين أولبرايت، من نفس حزب أوباما الديمقراطي، إذ قالت «إننا أي أمريكا سنحافظ على التفوّق العسكري النوعي لإسرائيل في الشرق الأوسط» هذه العبارة قالتها أولبرايت في أحدى زياراتها الى غزّة جهاراً نهاراً، ودون اعتراض أو تساؤل من أي من الحكّام العرب، وربّما محكوميهم المذهولين بوقاحة القول!

إسرائيل، تريد أن تكون هي الدولة صاحبة القرار الأوّل في المنطقة، وفي حالة تحالف إستراتيجي مع الغرب، وكلُّ من يتحدَّاها لابُدّ من إيجاد الوسيلة لإخضاعه أو احتواءه.

وهذه هي الإستراتيجية التي تستخدمها إسرائيل وأمريكا والغرب في المنطقة، أي سياسة الجزرة والعصا، ـ الترهيب والترغيب ـ وهذا بالضبط ما تحاوله

إسرائيل مع إيران.

وهو ما اعتبره الأستاذ الجامعي في جامعة تكساس الأمريكية بروس بوجانان عندما قال: إنَّ التطوّر النووي الذي توصَّلت اليه ايران، يُعَدّ العنصر الرئيس الذي دفع ادارة الرئيس الامريكي باراك أوباما لفتح باب الحوار مع طهران، وذلك رغم القلق الذي تبديه واشنطن تجاه هذا البرنامج[1].

ومن هنا نرى هذا العداء اللا محدود الصهيوني لإيران ودورها الجديد بقيادة الثورة الإسلامية، بعد أن كانت إيران حليفاً إستراتيجياً لأمريكا في عهد الشاه، وكانت تتعاون معه في إخضاع المنطقة لصالح الحركة الصهيونية والامبريالية الغربية.

وبسبب تلك القدرة الرادعة للمشروع النووي للجمهورية الإسلامية، نرى إسرائيل تحاول تحاول إخافة العالم من المشروع النووي الحضاري السلمي الإيراني، وهي في حقيقة الأمر، تفعل ذلك بسبب مواقف إيران المعادية للحركة الصهيونية والمؤيّدة لحركات التحرير، وحقوق الشعوب المضطهدة في الحرية والاستقلال.

قوَّة الجمهورية الإسلامية إضافة للقدرة العربية

على خلاف ما تروّج له الأدوات الإعلامية الصهيونية والأمريكية ودوائر الإعلام العربية الرسمية حول الخطر الإيراني المزعوم كما كتبنا عنه في هذا الكتاب، نجد أنَّ الحقيقة وحدها هي التي تؤكّد على القوَّة الإيرانية الإسلامية إضافة حقيقية لرصيد القوّة العربية بصورة عامة، كما أنَّ البرنامج النووي للجمهورية الإسلامية

---

(١) المصادر السابقة

يضيف للأمَّة لا يخصم منها، والترويج للفزع العربي من القدرات النووية الإيرانية يؤكّد أنَّ المشروع الصهيوني للفتنة والفرقة يؤكّد الفزع الصهيوني، ولذا نجد أن إيران الإسلامية لا تمثّل الخطر، بل تزيل الخطر بقوّتها، وذلك لأسباب كثيرة، منها ما رآه الأستاذ منير شفيق كما يلي[1]:

أولا: إيران دولة إسلامية كبرى، وهي جزء من دار الإسلام، وهذا مؤكَّد تاريخيا وإسلاميا، ومؤكَّد شرعا.

وثانيا: إيران منذ ثورتها قامت بإزاحة عامل سلبي كبير كان موجوداً، وهو «شاه إيران» وسياسته التي كانت سائرة بالأحلاف وضدَّ خطّ التحرر العربي، وبالتالي عندما أطاحت الثورة الإسلامية في إيران بالشاه، أحدثت زلزالا في المنطقة، وغيَّرت في موازين القوى لمصلحة قوى التغيير والتحرر في المنطقة.

وبالطبع كانت الحرب العراقية ـ الإيرانية المشئومة في غير مصلحة الطرفين، فحصرت دور إيران، وكذلك دور العراق في تلك المرحلة.

ثمَّ تطوَّرت الأوضاع عندما أصبح دور إيران أكثر بروزا في الدعم المباشر للمقاومة في فلسطين ولحزب الله في لبنان أثناء المقاومة التي كان يخوضها ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي، ولا شكَّ أنَّ هذا كان مؤثّرا جدّاً في الإستراتيجية العامّة للأمّة، مع ملاحظة أن هذا الدور تعاظم في هذه الأيام أكثر من أي يوم مضى، ففي الماضي ومنذ الثورة الإيرانية برز دور لإيران لدعم قضية فلسطين وتبنّي قضية القدس، ولكنَّ الدعم الفعلي والمادي حدث في الآونة الأخيرة وخصوصا خلال الـ١٥ سنة الأخيرة.

واستطاعت إيران أن تحدث نهوضا خلال الـ١٥ عاما الماضية على المستوى

---

(١) منير شفيق في حوار مع موقع إسلام أون لاين

العلمي والمعرفي والسياسي والعسكري، وأصبحت دولة مهمة في العالم، وهي الآن دخلت في عالم التقنية النووية للأغراض السلمية، وهذا وضع إيران إستراتيجيا تحت محطّة الضغط الأمريكي، وأصبحت في السنوات الثلاث الأخيرة تحتل الأولوية في الإستراتيجية الأمريكية الصهيونية لنزع برنامجها النووي، وضرب كل هذه الإنجازات التي حققتها إيران.

فأمريكا تعلن أنّها لا تسمح بعودة التلاقي بين حماس وفتح، أو بين محمود عبّاس وحماس، وهي حرَّضت علنا على الانقسام الفلسطيني وما زالت، أمّا ما تعلنه إيران فهو التفاهم والتوحّد، كما أنّها ساندت غزّة ضدَّ هذا الحصار.

أما في لبنان فإن دور إيران بارز وداعم ومفهوم، فقد حازت المقاومة على احترام الجميع، وانتصرت على الجيش الإسرائيلي.

وبعد أن هُزمت أمريكا في العراق، بمعنى أنَّ احتلالها لم ينجح، ودخلت في ورطة كبيرة، وبعد أن هُزم العدوان الصهيوني في لبنان، وصمود غزة تحت الحصار..

أصبح الهدف الرئيسي في الإستراتيجية الأمريكية هو تأجيج الصراعات الداخلية والانقسامات الطائفية في المنطقة.

كما أنَّ أمريكا بعد السنوات الأربع الأولى لأحداث ١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ كانت تريد أن تفرض التغيير بالقوَّة تحقيقا لمصالحها، فعملت على تأجيج الصراعات الداخلية والنزاعات الطائفية، والآن أمريكا تصبُّ الزيت على نار التناقضات الكردية التركية، وكذلك التركية العربية في العراق.. السنية الشيعية، والشيعية السنية، والعربية الإيرانية، والعربية العربية، والفلسطينية الفلسطينية، واللبنانية اللبنانية... إلخ.

والوارد أنَّ أي بلد به تناقضات، وهذه التناقضات قابلة للمعالجة والحلِّ، لكنّها

يمكن أن تتحوَّل إلى حروب أهلية سببها الرئيسي عوامل خارجية تستفيد من عوامل ضعف الداخل، وموقفنا هو وحدة الأمَّة الإسلامية، ووحدة الموقف الإسلامي، وحدة حماس وفتح في فلسطين، ووحدة المسلمين والأقباط في مصر، ووحدة الأطراف المختلفة في لبنان، ووحدة الشيعة والسنة والعرب والأكراد في العراق، فكلُّهم لابُدّ أن يشكّلوا وحدة واحدة تحافظ على التماسك الداخلي، وتطرد الاحتلال، وتحافظ على هوية العراق العربية والإسلامية، هذا يجب أن يكون الموقف.

من تلك الرؤية نقول: إن مصدر ومكمن الخطر والتهديد النووي في المنطقة ليست إيران، لأنَّ إيران تريد أنَّ تستفيد من الطاقة النووية في تقدم ورفاهية شعبها، لأنَّ الطاقة النووية والذرة تستخدم الآن في مئات إن لم نقل الآلاف الصناعات العلمية والطبية والدوائية والزراعية والاقتصادية والبيئية والكهربائية وغيرها، وهو ما قالته وتقوله إيران وأثبتت الأحداث صحته، بل ما شهدت به منظمة الطاقة، النووية الأممية، بيد أن إسرائيل تريد أن تحتكر هذه الطاقة وهذه القدرة لنفسها في المجالين المدني والعسكري، حتى تبقى صاحبة التفوّق والتقدّم العلمي في المنطقة في إطار هيمنتها على المنطقة كقوّة إقليمية عظمى بلا منافس.

وللقادة العرب نقول: إنَّ من يشكّل الخطر الحقيقي في هذه المنطقة هو «إسرائيل» التي هي في واقع الأمر «جيش» له دولة وليس العكس، وحسب سيمور هرش في كتاب «خيار شمشون» فإن «إسرائيل» تمتلك ما يتراوح بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ رأس نووي كافية لتدمير المنطقة بأكملها، وهي تمتلك أكثر من مفاعل نووي سواء في الجنوب أو الشمال، بعضها معروف وبعضها سري[١]، إذن

---

(١) المصدر السابق

لماذا يصمت العالم، وخاصة الدول العربية عن الخطر النووي الإسرائيلي، ولم يتمَّ إثارته إعلامياً على مستوى العالم، لوضع حدٍّ له كي تتخلَّص إسرائيل من الرؤوس النووية التي تكفي لتدمير عالم بأكمله.

إننا ندعو الدول العربية والإسلامية إلى اتخاذ موقف موحَّد من الخطر النووي الإسرائيلي، وإعلان المنطقة منطقة خالية من السلاح النووي، والضغط على إسرائيل التي تمتلك السلاح النووي سيفاً سلطاً على رقاب وشعوب الدول العربية والإسلامية، لكي تتخلَّص من هذه الأسلحة وأن تخضع للتفتيش الدوري للأمم المتحدة، ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. لتتذكر أن إسرائيل وليس غير إسرائيل هي العدو الرئيسي للعرب والمسلمين، لكلِّ العرب والمسلمين، ولكلِّ هذه الدول صغيرة كانت أم كبيرة، بل أنَّها عدو الإنسانية ولا يجب أن ننشغل عن هذا الأمر بأيِّ أمر أو هَمٍّ آخر[1].

ونرى أن تتعاون الشعوب العربية والإسلامية والدول العربية والإسلامية لوضع إستراتيجية واحدة وموحَّدة لمواجهة هذا الأمر.

وإذا كانت هناك بعض المشاكل بين إيران وبعض الدول العربية فيمكن حلُّها بالحوار وتعميق الثقة بين الطرفين، لأنَّ إيران دولة إسلامية تقف مع العرب وقضاياهم، وخاصَّة القضية الفلسطينية قولاً وفعلاً، ولتتذكر دوماً أن «إسرائيل» قائمة على جماجم عشرات الألوف بل مئات الألوف من أبناء الشعب الفلسطيني والأمَّة العربية، وأيّ تحالف مع هذا العدو الصهيوني ضدَّ إيران أو تركيا أو أيّ دولة عربية أو صديقة يصبّ في خانة مصالح الأعداء، ولا يخدم المصلحة العليا للأمَّة العربية ولا أمنها القومي، وأن الشعوب العربية لا يمكن خداعها، وهي تعرف

---

(١) المصدر السابق

أعداءها من أصدقاءها، ولا يمكن وتحت أي ظرف من الظروف أن تكون إسرائيل أقرب الى العرب من إيران.

ومن أصدق من عبر عن أنَّ القوّة الإيرانية الإسلامية تمثّل إضافه للأمّة العربية والإسلامية، وخصما من رصيد القوة الصهيونية، ما قاله الأستاذ فهمي هويدي عندما عبر عن ذلك بقوله[1]: إن إيران الثورة الإسلامية خرجت من رحم العداء للشاه وللولايات المتحدة و «إسرائيل». وإيران النووية ـ لمجرّد أنَّها تملك المعرفة حتى إذا كانت للأغراض السلمية ـ تعني تحدياً إضافياً لإسرائيل، ينازعها في التفرّد بصدارة القوّة في منطقة الشرق الأوسط.

وهي من هذه الزاوية يفترض أن تكون إضافة مرحباً بها للإرادة العربية الساعية إلى إنهاء الاحتلال واستعادة الحقوق المسلوبة.

أما إيران الداعمة للقوى التي انحازت إلى المقاومة الفلسطينية، فإنَّها تعني إيغالاً في التحدي ورفعاً لسقفه، الأمر الذي اعتبرته إسرائيل تهديداً لنفوذها في المنطقة ولكل مشروعها، وهي التي تصوّرت أن الساحة قد خلت لها، ولم يعد هناك من ينازعها نفوذها أو يتحداها منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في عام ١٩٧٩ وأوسلو مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣.

وحين اختبر التحدي أثناء المواجهة التي تمَّت في عام ٢٠٠٦ بين القوات الإسرائيلية وبين عناصر حزب الله، ولقيت فيها تلك القوات هزيمة نكراء، فإن هذه التجربة الفضيحة غدت مفصلاً مهماً في علاقات العداء بين الطرفين، ذلك أنَّ إسرائيل اعتبرت أنَّ الدور الإيراني بات يشكّل خطراً وجودياً لمشروعها، وكان طبيعياً أن يضاعف من قلقها مدى وحجم هذا الدور، إذا ما تحوَّلت إيران إلى قوّة

---

(١) فهمي هويدي ـ في الجاهلية السياسيه ـ صحيفة الخليج الإماراتيه ١٢ /٥/ ٢٠٠٩

نووية، الأمر الذي يفسّر لنا لماذا اعتبرت أن إيران تمثّل الخطر الاستراتيجي الأول الذي يهددها؟، ولماذا استنفر اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، والمحافظون الجدد في البيت الأبيض، ثم الإدارة الجديدة للتضامن مع تل أبيب في الاحتشاد ضد إيران إلى حدِّ الدخول في تفاصيل توجيه ضربة عسكرية تقوّض نظامها؟ وظلَّ السؤال الذي يشغل هذه الأطراف وهو توقيت تلك الضربة، وتهيئة الجوّ المناسب سياسياً وإقليمياً لتوجيهها؟، ورغم ما قاله باراك أوباما حول الحوار مع إيران الإسلامية لا يعدو كونه من ضمن ما ردعت به إيران الإسلامية بقوّتها الثورية السياسة الأمركية، ولكنَّه في نفس الوقت لا يمنع من استمرار تجييش الدعم للصهيونية من أجل إزالة خطر الجمهورية الإسلامية على الكيان الصهيوني، وذلك ما يؤيّد ما نقول بأن قوّة الجمهورية الإسلامية قوة للعرب جميعا، للشعوب العربية والإسلامية، بل لكل المستضعفين في الأرض.

فإذا جاز لنا أن نلخّص فإننا نفهم أن تعتبر إسرائيل إيران خطراً يهدد استراتيجيتها، ونفهم أيضاً أن تتضامن معها الولايات المتحدة الخاضعة لنفوذ اللوبي الصهيوني والمحافظين الجدد، في الوقت ذاته فإنَّ التناقض الرئيسي بين إسرائيل وإيران يفترض أن يكون في صالح الموقف العربي الذي يعتبر أنه في تناقض رئيسي مع إسرائيل، وهي النتيجة المنطقية التي تعبّر عنها المقولة الشهيرة عدو عدوي صديقي، والصداقة لا تلغي الاختلاف، ولكنَّها في هذه الحالة تقوم على معيار رشيد يفرق بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي، أو بين ما هو أصلي وفرعي، ذلك أننا نفهم في فقه الاختلاف ومذاهبه أن الاتفاق في الأصول حدٌّ كاف، ولا غضاضة بعد ذلك في أي اختلاف في الفروع، وهو الحاصل في الدين فما بالك به في السياسة..... انتهى ما قاله الأستاذ هويدي.

وهو ما رددده الكثيرون من المخلصين من أبناء الأمة، أكّدوا من خلاله أنَّ إيران

الإسلامية لا يمكن أن تشكّل خطرا على العرب، بل هي تمثّل إضافة لقدراتهم، ويجب أن يستغلّوها لا أن يحاربوها...

کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

الخاتمة

مستقبل الإستراتيجية الأمريكية ومشروع المقاومة

العودة للإسلام في مشروع المقاومة

لا يمكن النظر لمستقبل المنطقة حسب الرؤية الأمريكية دون النظر إلى مستقبل المقاومة، والمقاومة الإسلامية، وليست أي قوة ترفع الشعار تصير مقاومة، ولكننا نقصد المقاومة الرسالية التي لا توجّه سلاحها إلّا للعدو الصهيوني فقط، وهذه المقاومة وحدها هي التي تكبح المشروع الأمريكي الصهيوني في المنطقة بأسرها، ومن هنا نحاول التفريق بين من يقف في صفّ المقاومة، ومن يقف في صفّ الاحتلال، حيث نفرز رأساً من يقف مع المقاومة ومن يقف ضدها، وبتلك الرؤية وحدها يمكن النظر لمستقبل المشروع الأمريكي، تماما مثلما ننظر للمشرع الإسلامي المقاوم، صحيح أنّه تُطرح وجهات نظر سياسية بحتة تحدد مستقبل المنطقة مثل رؤية الدكتور عبد المنعم سعيد، الذي قال في جريدة الشرق الأوسط: «حتى وقت قريب

للغاية كان سيناريو المواجهة العظمى هو الغالب على تصوّر مستقبل العلاقات الأمريكية ـ الإيرانية ؛ فلا أمريكا ـ وبقية الغرب ـ تتحمل دولة الثورة الإسلامية، وقد تسلَّحت بالسلاح النووي، في عالم ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ ولا إيران تحت القيادة الملتهبة للسيد محمود أحمدي نجاد تستطيع التراجع، بعد أن وصلت الدولة إلى الأعتاب النووية، وقالت: إنَّ عالما بدون إسرائيل سوف يكون أفضل كثيرا، وفي علوم الصراع فإن الصدام يصبح حتميا عندما تخلط الأمم مصالحها الحيوية بحزمة من الاعتبارات التي تخصُّ الدين والشرف والكرامة، والأخطر من كل ذلك البقاء، وساعتها يصبح الحطب مشبعا بالزيت منتظرا شرارة الحريق الأولى، ومنذ أخذت الأزمة أثوابها الأخيرة، ودفعت أمريكا بالموضوع إلى ساحة مجلس الأمن، ونجحت إيران في تخصيب اليورانيوم بالفعل، فإن النخبة السياسية لدى الطرفين لم تبخل بالعبارة والإشارة الى احتمالات النزال، صحيح أنَّه كان لدى أمريكا ما لا يجعلها متعجّلة على إطلاق النيران بعد متاعبها في أفغانستان والعراق، وكل المنطقة العربية التي لم تعد تتحمل مزيدا من الديمقراطية الأمريكي ؛ وكان لدى إيران ما يدفع إلى التروي، لأنَّ السلاح النووي لا ينبت على الأشجار، وإنَّما يحتاج ليورانيوم مخصَّب بكميات وأقدار معلومة ؛ ولكنَّ الكل كان يعلم أن اعتبارات التوقيت والزمن لا تمنع قدرا محتوما وقضاء نافذا....»[1]، ورغم ما في رؤية الدكتور سعيد السياسية، والتي لم يتطرَّق فيها للشروع الإسلامي المقاوم ككل، نجد

---

(١) د. عبد المنعم سعيد ـ جريدة الشرق الأوسط ـ ٢٠٠٦/٦/٧

أن في بعض تحليله ما يؤكّد أن المشروع الأمريكي متوقّف بسبب المقاومة الإسلامية، ليس بسبب البرنامج النووي للجمهورية الإسلامية فقط، ولكن بسبب المشروع الإسلامي المقاوم الذي تقوده إيران، وهو ما يقودنا من جديد للمشروعين الاستعماري والإسلامي، أو حسب ما قاله الدكتور محمد الأحمري بأنه سوف يكون في المستقبل تجديدا لحرب استعمارية مع أحرار أهل الأرض، في زمن عاد فيه المسلمون للميدان مكرهين ومستفزين، وإن تكن عند قوم اليوم عواطف أو شعارات، فسيكون لها حقيقة غدا، وستصبح المقاومة موقفا شعبيا، وربّما ضدَّ حكومات قد تركع لشعوبها وللحقِّ مهما تخيلت أنها غيبته أو أبعدته، وستغيّر حكومات وشعوب مواقعها بين المحورين، ولن تكون القومية عقيدة المستقبل، بل الدين، وقد كانت إيران وتركيا من أعمدة «المحور الإسرائيلي» مقابل «المحور العربي»، ثم تغيرت الأمور، لمحاور دينية، وستهتزُّ مواقف أكثر، لصالح أي المحورين الجديدين، ولأن الصلف الصهيوني والنزعة المسيحية الاستعمارية المتعالية أقوى وقوداً، فلا تسمح حتى لعقلائهم بدور فيما نرى، وربّما التقطوا الاشارات سريعا من وضوح المحورين، وجرأة محورهم العربي، ولكن قد بعُد من كان قريبا، وسيتوحَّد ضدَّهم آخرون، كانوا يتخيلونهم في الركاب[1]...

المحور الإسلامي والمحور الصهيوني

منذ الساعات الأولى للحرب على غزة انكشف محورا الحرب، وتميز

---

(١) محمد الأحمري- مجلة العصر الالكترونية

طرفان صريحان، «محور صهيوني» و «محور إسلامي»، فالمقاومة من حماس والجهاد والجبهة الشعبية ومن معهم من الفلسطينيين المقاومين، ومن يدعمهم كسوريا وتركيا وإيران والشعوب العربية والمسلمة مع المقاومة، يشكّلون ما نسميه بـ(المحور الإسلامي)، مع وجود تنوّع داخل هذا المحور من منتقدٍ ومؤيد، وبين من هو في المحور على وهن، والطرف الآخر الذي نسميه بـ(المحور الصهيوني) مكوّن من إسرائيل وأمريكا وبعض الحكومات العربية، كالحكومة المصرية والسلطة الفلسطينية والحكومة السعودية ومعها الأردنية، فهذه المجموعة في خندق واحد «المحور الإسرائيلي»، بعض هؤلاء كان صريح العداء للمقاومة ولما هو إسلامي، وبعضهم معتذر للإرهاب الصهيوني، وبعضهم يشتهي الولاء للصهاينة ويستحي من سكّان بلاده، وبعضهم تابع لا قيمة دعائية لموقفه أعلنه أو أسرَّه[1].

لقد تبيّن من هذه الأزمة البون الشاسع بين الحكومات والشعوب، حتى أن من يكره المقاومة ونهجها من الحُكّام اضطر أن يتظاهر بأنه يؤيّدها، اتساقا مع الناس، أو على الأقل يلومها على تفاصيل هنا أو هناك، ولكنّ شدّة التضحيات والصمود العجيب أحرج المعتذرين والمصالحين، وأزعج «المحور الإسرائيلي»، فقد صمدت المقاومة اثنين وعشرين يوما، ونعلم أن الجيوش العربية وحكوماتها أنهزمت في ستة أيام فقط في عام ٦٧م، تاركة

---

(١) يلاحظ أن المحاور تتلاقي في خاتمة الكتاب مع ما كتبنا عنه في متن الكتاب، ذلك أن المحور الإسلامي والمحور الصهيوني هما محوران لا يمكن لهما أن يتلاقيا، فالصدام ضروري وحتمي، لأنه صراع الحق والباطل يشيع دوما في أجواء التاريخ بكل مراحله، وقد عبر الدكتور محمد الأحمري عن تلك المحاور ببراعة.

للصهاينة أضعاف ما غصبوه، ثم جاء جزء من الفلسطينيين في أول حرب خاصَّة بلا عون وبلا جيش وقاوم وتماسك برغم الأهوال!

ولهذا فسوف يحمل عليه «المحور الإسرائيلي» ويحاربه منذ الآن حربا سياسية مستمرَّة لا هوادة فيها أو يسقطه، وهذا ما لا نتحدَّث عنه الآن.

لماذا نسميه «المحور الإسلامي» مقابل المحور الإسرائيلي؟[١]

لأن الإسلاميين الفلسطينيين هم غالب المقاومة الآن، ولأنَّهم يقدّمون الروح والشعارات الإسلامية، وتجلّى هذا في اللغة والمواقف، وبسبب هذه الهوية، وجدت تركيا نفسها ركنا أساسيا في «المحور الإسلامي»، بسبب بوادر استقلال تركي عن الهيمنة الأمريكية، وتأييد شعبي للحكومة، ونجاح اقتصادي وسياسي، ولأنها تشارك المقاومة الهوية الإسلامية نفسها، بعقيدتها وتعاطفت، وأيَّدت المقاومة، ولأول مرة بهذه القوَّة والصرامة والوضوح، وتوالت المواقف التركية السياسية الموالية للفلسطينيين، وأعلنت وتعالت المظاهرات وحتى النواح والبكاء في الشوارع التركية، والتجييش والتبرّع[٢].

والركن الثاني في المحور الإسلامي: إيران، ويتّهمها الحلف الصهيوني

---

(١) كتابات فهمي هويدي ومحمد حسنين هيكل وطارق البشري وغيرهم من العلماء تثبت وجود تلك المحاور، ونراها بوضوح عندما نتأمل مع من يتعامل اصحاب هذا المحور أو ذاك، وهنا نفرز المواقف السياسية والثقافية فرزا رأسيا كما يوصي الدكتور رفعت سيد أحمد، لأن الفرز الرأسي هو خير تأكيد على من يقف مع المقاومة ومن يقف ضدها، ومن خلال هذا الفرز نصل لقناعات تؤكد المواقف المحورية، التي أردنا أن نختم بها هذا الكتاب.

(٢) محمد الأحمري. مصدر سابق

بتهريب السلاح، وهي تهمة تبدو صحيحة كما قلنا[١].

ومع أنَّ المقاومة حاولت أن تبتعد عن إيران بسبب الموقف الغربي والعربي منها، وللإبقاء على شعبية خطابها، بعد أن استطاعت دعاية أمريكا وإسرائيل، أن تروّع العرب والسنة منها، وبسبب الأمل لدى الفلسطينيين أن يعطف بعض العرب من ذوي المال والإمكانات على المقاومة، وإلا فإن لإيران جهداً يعرفه العرب والإسرائيليون، منه تدريب كوادر من حماس والجهاد، ومنه تهريب صواريخ جراد، ومنه خمسة وعشرون مليون يورو تدفعها إيران في غزة شهريا (نشر الخازن في الحياة عن هذا في بداية الحرب)[٢].

أما العرب المناصرون للمقاومة، فهم مناصرون لمقاومة إسلامية ووطنية، ولكل قناعته ورؤيته، وهم قلة مقارنة بالأتراك والإيرانيين عددا وقوة، فغلّبنا وصف «المحور الإسلامي» لا العربي، علما أن مع هذا التيار القواعد الإسلامية الواسعة في العالم كله، العربي وغيره، التي لها حضورها وأهميتها ويساندهم كثير من أحرار العالم، ومن ذوي التوجّه القومي واليساري، وممن حاربوا الصهاينة من قبل، وسيفعلون من بعد، ولأسباب منها الاحتلال وبسبب الموقف المتصاعد عالميا لمواجهة الإرهاب المسيحي الغربي، كاحتلال وإبادة العراقيين والأفغان وغيرهم[٣].

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

وهذا ما أنتج صوتا عاليا عالميا معاديا للتصرّفات الغربية المسيحية الصهيونية في المنطقة؛ وساعد على تراجع إسرائيل دون أن تحقق رغبتها في إبادة المقاومة كما كانت ترجو، هذه في المجمل مكوّنات «المحور الإسلامي» .

يقابل ذلك: «المحور الصهيوني»، وهو من نتاج كامب ديفيد وأوسلو، وقد تبين أن المصالحة مع الصهاينة ليست مصالحة، بل امتلاك للحكومة والقرار، ومحاولة لتذليل الشعب حاضرا ومستقبلا لمصالحهم، ولم ينجحوا دائما، والمحور الصهيوني هو نتاج أيضا للحكومات الخائفة من شعوبها أو ناقصة الشرعية، تلك التي تلتمس شرعيتها من الحكومة الأمريكية، وقد تشكّل هذا «المحور الصهيوني»، بمن فيه من العرب بمؤهّلات، منها المعاهدات، معلنة أو خفية، ومن أهمَّ ما أهّل الحكومات العربية لأن تدخل تحت ظل أتباع كامب ديفيد، أن السياسة ميتة في هذا الملحق أو الهامش من العرب، فقد حاربتها الحكومات العربية على أرضها، فآوت لبلد فيه حيوية ووضوح لمصالحه، لأنَّه ليس للثروة المالية ولا السكانية ولا الدينية ولا الفكرية أي أثر وقيمة دولية، إن لم تنسجم الثروة مع موقف سياسي، فالسياسة في هذا الفضاء العربي الهائل طوردت، فأصبح هامشا عربيا عديم الوزن سياسيا، يمن عليه خصومه بتوجيهه، وما بقي من سياسة فقد أصبحت خفيّة، أو ضربا من الكهانة، أو هي فوق مستوى الحكومة أن تضطلع بها، كيف وقد حرمت الحكومات على الناس المشاركة، سواء في فهم أو صياغة مصيرهم، أو نصرة إخوانهم[1].

ولعل من أبرز قوى «المحور الصهيوني» هو صعود الإعلام الإسرائيلي

---

(١) المصدر السابق

ونشر قناعاته، والتأليب لها، وتقديم عدد من ذوي الفجاجة والوقاحة والشتيمة رموزا لهذا الموقف والتيار، فبسبب الوهن والعجز والخوف الحكومي الشديد من الناس، تجرَّدت هذه الحكومات من القوَّة الذاتية، ولم تستطع حتى صياغة صوت أو موقف فكري أو إعلامي خارج كونها صدى للرؤية الإسرائيلية ولإعلامها الأمريكي فترجمته بالعربي، وأيّ متابع للإعلام العربي الرسمي يجد أنه قبل سنوات كان ذا مسحة عربية وإسلامية أو وطنية، وانه اليوم يترجم فقط وأحيانا يترجمون له الرؤية الصهيونية[١].

إن «المحور الصهيوني» من العرب وبعض الفلسطينيين لن يدعم غزَّة إلا إذا هي خضعت للصهاينة، وتمَّ تسليم السلطة لعبّاس ولمنظمة التحرير؛ لأنَّ السلطة ملتزمة بمعاهدة سلام مع الصهاينة، وإنهاء المقاومة[٢].

ولا يمكن مقارنة ثروة ونفوذ «المحور الإسلامي» بثروة ونفوذ «المحور الصهيوني»، ولا يمكن اختزال الموقف، فليس موقفا عارضا[٣]، بل بداية لتحدٍ ومنعطف جديدين بعيديّ المدى، تحدي قد يستغرق عقودا أو أكثر، وهي محنة للأشخاص والأفكار فوق أنَّها ظهرت محنة للحكومات، ومنبع نزاع سيكون في المستقبل أكبر مما يخطر على البال، فقد كان قبل قرن موقفا إسلاميا زمن الخلافة، ضد يهود أوروبيين ومستعمرين، ثم أصبح عربيا، ثم تقلص ليكون فلسطينيا، ثم موقفا لقسم من الفلسطينيين بعد قرن[٤].

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

(٤) موقع الإمام الخامنئي

ولكن هذا التلقص جاء من يجبره، ومن يسعى لدفع المشروع الاستعماري، وهو الأمل الذي نراه في مستقبل قريب، ربَّما لا يراه جيلنا، ولكن قد تراه الأجيال التالية لنا، لأن الأمل في المقاومة جعلها تصطدم أمام آلة العدو العسكرية الجبَّارة، ولو حاولنا التأمَّل في مستقبل الاستراتيجية الصهيونية الأمريكية في مقابل المشروع المقاوم، نجد أن التراجعات الصهيونية تكاثرت بعد صعود المقاومة، والدليل على صحة ما نقول: الانسحاب الصهيوني بدون مفاوضات من الجنوب اللبناني، ثمَّ من قطّاع عزّة، كما أنَّ بناء الجدار العنصري الصهيوني في الضفة الغربية، رغم عنصريته، إلا أنه يثبت أن العدو الصهيوني يتراجع في جغرافيته، وشعاره المرفوع على الكنيست: «أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات» لم يعد له وجود واقعي لأنَّ التوسع الصهيوني لابد أن يكون توسَّعا جغرافيا، ولكننا نراه يتراجع على مستوى الجغرافيا، صحيح أن نفوذه يتمدد في عقول السياسة العربية الرسمية، ولكن نفس النفوذ ليس له وجود في الضمير الإسلامي بشكل عام..

إن عودة الدين الإسلامي الرسالي ليقود الجهاد ضد الصهيونية يجعلنا نستبشر بالأمل، ونستبشر أكثر عندما تكون الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي قائدة الحلف الإسلامي، دولة ثورية قائدة انطلقت منها ثورة، وأسست بالكلمة دولة، ما زالت تباشر جهادها الأسمى، وتواصل مشروعها المقاوم المنحاز للمستضعفين، وما زالت الجمهورية الإسلامية تردد وتحقق وتنشر مقولة الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «كن للظالم خصما، وللمظلوم عونا» ...

ختام: استراتيجية الولاية ومعيار البصيرة

قبل أن نختم هذا الكتاب لابد من العروج على ما حدث بعد الانتخابات الرئاسية الأخيرة التي جرت في الجمهورية الإسلامية، والتي أسفرت عن إعادة انتخاب الرئيس أحمد نجاد رئيسا للجمهورية، وما حدث بعدها من مظاهرات مأجورة، قادها من لا يريد الخير للجمهورية الإسلامية وللإسلام نفسه، وقد توقّعنا التدخّل الصهيوني وأصابعه، أو الحلف الصهيوني مقابل الحلف الإسلامي، وكما شرحنا في هذا الكتاب: نؤكّد على أن الدور الصهيوني الأمريكي يعمل جاهدا على كسر الإرادة الثورية للجمهورية الإسلامية، ويحاول أن يستغل أي مشكلة أو يخلق هو المشاكل بنفسه، حيث جعل صدام حسين يشن الحرب على الجمهورية الإسلامية لمدّة ثمان سنوات عجاف طوال، ثمَّ هو مستمرٌّ في حصار الجمهورية الإسلامية، وحاول أن يستغل الانتخابات النزيهة التي جرت في الجمهورية الإسلامية ليشعل القلاقل في الداخل الإيراني، ولكنَّ الشعب الإيراني أجهض هذه المحاولة وأفشلها، وهو ما أكَّده القائد السيد الإمام على الخامنئي، حيث قال في كلمته في الإحتفال بالذكرى الحادية والثلاثين للثورة في فبراير من العام ٢٠١٠: «إنَّ الحضور العظيم والمليوني للشعب كمسيرات الثلاثين من كانون الأوّل لا يتحقق الا بفضل الارادة الالهية، لأن القلوب بيد الله، وبما أن النظام الاسلامي حركة إلهية، فإنَّ الله يدافع عنها بهذه الصورة»[1].

وأشار سماحة آية الله الخامنئي الى عجز الأعداء عن فهم هذه الحقيقة قائلاً: «إنَّ اعداء النظام الاسلامي في إيران، الذين لا يتمكَّنون من فهم هذه

---

(١) المصدر السابق

الحقيقة، يتحدَّثون دائماً بلغة التهديد، ويتشدّقون ببعض الخدع كحقوق الانسان والديموقراطية لتضعيف النظام الاسلامي، بينما هم يدوسون بأقدامهم أبسط حقوق البشر في السجون، وفي كافة أرجاء العالم، وحتى ضدّ أبناء شعبهم، ويشرّعون التعذيب رسميا، ويتآخون مع أكثر الحكومات استبداداً ورجعية في العالم، لا سيما منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا، وهم يدّعون الدفاع عن الديموقراطية وحقوق الانسان»[١].

وهو ما أسمته صحيفة قدس الإيرانية بـ «استراتيجية الولاية ومعيار البصيرة»، عندما تناولت موقف التيار المعارض، وذلك على أعتاب ذكرى انتصار الثورة الاسلامية الحادي والثلاثين، حيث كتبت تقول: «لقد بذل التيار الموسوم بالأخضر خلال الأشهر الماضية، وبدعم غربي صريح، كلَّ ما في وسعه لإثارة الفوضى، وخلق انشقاق في صفوف الشعب، الذي خلق ملحمة عظيمة في الانتخابات الأخيرة، بمشاركة ٨٥٪ من الناخبين عند صناديق الاقتراع»[٢]، والآن انكشف للجميع أنَّ الذين وقفوا أمام عظمة الشعب الايراني في الانتخابات هم مناوئون للثورة الاسلامية بشكل صريح، أو هم أفراد يقومون بنفس دور المناوئين للثورة، من منطلق الجهل والعناد، ولاعلاقة لهم بعامة الشعب.

كما أشارت التحرّكات المعارضة المثيرة للشغب والفتنة، فقالت: إنَّ المسيرات كانت استمراراً وتاكيداً لتلك التظاهرات بحشد جماهيري أعظم وأكبر من تلك التظاهرات، لتعلن النهاية الحاسمة لأي تحرّك إعتراضي

---

(١) جريدة قدس

(٢) المصدر السابق

خارج إطار القانون[١].

انتهت الفتنة بالطبع، ولكن هل يكفُّ المستكبرون عن حصارهم لدولة الثورة، أو يكفَّ الحلف الصهيوني عن محاولته لزرع الفتن والدسائس، وهل يكفَّ المتطرّفون التكفيريون عن تخويف المسلمين من شيعة أهل بيت النبي الأعظم؟!، بالقطع لا نتصور شيئا من هذا لن يحدث، فسوف تظل المحاولات الخبيثة، يقودها حلف الصهيونية ضدَّ حلف المقاومة، ولن يكفَّ هؤلاء من التصدّي لدولة الثورة، كما حاولت حصار ثورة الدولة الرسالية، ولكن دائما يخيب فألهم، وتضيع تحالفاتهم، فالوعي الإسلامي صار له جذور راسخة، فالثورة صار لها دولة، أو تحوّلت الدولة إلى ثورة، ضدَّ كلِّ ما يهين الإنسان في نفسه أو جسده، ثورة ضد الطغيان، كما هي ثورة ضد الاستكبار.

إنَّ الجمهورية الاسلامية ستواصل طريق العزّة والشموخ في ظلِّ الاسلام ووحدة الكلمة، وستشهد ايران الثورة مسيرات وانتصارات ضدّ كلّ قوى البغي والعدون والإفك، وهي انتصارات سوف تشفي صدور المسلمين، وكل المستضعفين في الأرض، وتصفع على وجوه المستكبرين... من الامريكيين والبريطانيين والصهاينة.

فسلام على الثوّار الحكّام.

وهم الحكّام الثوّار...

سلام عليهم.

عليهم السلام.

---

(١) المصدر السابق

المحتويات

إهداء الكتاب ٧
مقدّمة ٩

الفصل الأول
أثر الفكر الثوري الحسيني في الثورة الإسلامية

أثر الثورة الحسينية في الثورة الإيرانية ١٧
أهداف ثورة الحسين ١٨
ما بين الثورتين ٢٣
الروح الحسينية الثورية في حركة الإمام الخميني ﷺ ٢٥
١ ـ انتصار الدم على السيف: ٢٧
٢ ـ الشهادة وعشق سيد الشهداء عليه السلام: ٢٨
٣ ـ الوفاء للقائد ٢٩
٤ ـ المنبر الحسيني وثقافة عاشوراء ٣٠

الفصل الثاني
إرهاصات الثورة

دور رجال الدين في إيران المعاصرة ٣٥
النفوذ الأجنبي في إيران ٤٤

النفوذ الأمريكي الصهيوني في إيران..... ٤٩
ثورة تأميم النفط..... ٥٧
رئاسته مصدق للوزراء..... ٥٨
الانقلاب على مُصدَق..... ٦٠

الفصل الثالث
الثورة الكبرى ودور القائد

ثورة المدرسة الفيضية..... ٧٤
الاعتراض على إحياء معاهدة الامتيازات الأجنبية (كاپيتولاسيون) ٧٧
من تركيا إلى العراق..... ٧٨
مواصلة الجهاد..... ٧٩
تصاعد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٧م..... ٨١
الرحلة من العراق إلى باريس..... ٨١
العَودة إلى الوطن..... ٨٣
حرب الثمان سنوات الظالمة..... ٨٥
أسباب نجاح ثورة الإيمان..... ٨٦
ما بعد نجاح الثورة..... ٩٨
مرحلة الاستقرار والحرب المفروضة (٧٩ ـ ١٩٨٨)..... ٩٨
الحرب على الثورة والحصار الدولي/ العربي على إيران..... ١٠٣
تهديدات شهدتها الثورة..... ١٠٨
مرحلة الاستقرار والأعمار (١٩٨٨ ـ ١٩٩٥)..... ١١١

الفصل الرابع
الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي

دعم الأقليّات على حساب الأغلبية..... ١١٧
تحجيم نفوذ الدول الكبرى في المنطقة..... ١١٩

الحوار والتقارب مع الإسلاميين من أجل استغلالهم..... ١٢٢
الإستراتيجية الأمريكية ضد الجمهورية الإسلامية..... ١٢٤
أولاً: تخويف العالم من الخطر الإيراني ١٢٧
مصادر الخطر على الكيان الصهيوني..... ١٣٢
١. القاعدة الأيديولوجية..... ١٣٣
٢. القدرة الاقتصادية ١٣٤
٣. القدرة الإستراتيجية..... ١٣٥
الخلاص من النووي الإيراني.. رؤية صهيونية..... ١٣٦
ثانيا: تخويف العرب من الخطر الإيراني ١٤٥
أولاً: الساسة العرب والتحالف مع أمريكا ضدً إيران ١٤٦
دور إيران الإيجابي في العراق ١٤٦
التعاون السري الرسمي مع العدو الصهيوني..... ١٤٩
ردود على ساسة العرب ١٥٢
ثانيا: دور بعض علماء الدين ضدً الجمهورية الإسلامية ١٦٥
استهداف الشيعة من أجل ضرب إيران..... ١٦٥

الفصل الخامس
إستراتيجية الثورة

أولاً: القوّة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي ١٧٧
إرساء دعائم الاقتصاد الإسلامي لدعم المحرومين ١٨١
مواجهة الفساد المالي والاقتصادي..... ١٨٢
ثانيا: مساعدة الثورة للمسلمين..... ١٨٣
الثورة الإسلامية والبوسنة..... ١٨٤
الثورة الإسلامية والمقاومة في لبنان ١٨٩
الخطاب السياسي لحزب الله ١٩٣
أسباب النصر..... ١٩٧
الثورة الإسلامية والمقاومة الفلسطينية ١٩٩
الإمام الخميني ﷺ وبدايات العلاقة ٢٠٠

يوم القدس العالمي في فكر الإمام الخميني +..... ٢٠٥
تحوّل جديد في علاقة الجمهورية الإسلامية بفلسطين ٢٠٨
ثالثا: الوحدة الإسلامية في فكر الثورة الإسلامية ٢١٦
١ . الوحدة الاجتماعية ٢٢٠
٢ . الوحدة الدينية ٢٢١
٣ . الوحدة الإنسانية ٢٢٣
المفهوم الواحد ٢٢٤
خطوات عملية نحو الوحدة ٢٢٥
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ٢٢٦

الفصل السادس
قراءة في البرنامج النووي الإيراني

دور البرنامج النووي في ردع الصهيونية ٢٤٠
قوةً الجمهورية الإسلامية إضافة للقدرة العربية ٢٤٣

الخاتمة ٢٥١
مستقبل الإستراتيجية الأمريكية ومشروع المقاومة ٢٥١
العودة للإسلام في مشروع المقاومة ٢٥١
المحور الإسلامي والمحور الصهيوني ٢٥٣
ختام: استراتيجية الولاية ومعيار البصيرة ٢٦٠
المحتويات ٢٦٣

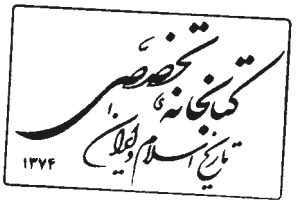

في هذا الكتاب حاولنا جاهدين أن نكون موضوعيين في كتابتنا عن الثورة والدولة، وأن نكون بعيدين عن روح الفتن التي يؤججها الساسة ويستغلون بعض رجال الدين من أجل خدمة مصالحهم الدنيوية الضيقة.

لقد انتصرت الثورة الإسلامية على نظام الشاه محمد رضا بهلوي، وهو انتصار على الاستكبار العالمي الذي كان يحمي الشاه، ورغم الحصار تمكنت الثورة من تخطي الحرب المفروضة، وخرجت لتبني نفسها وتسلح قوتها بالعلم والاكتفاء الذاتي اقتصادياً، وتساعد حركات المقاومة في العالم الإسلامي.

تعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي التي تقف في وجه المشروع الاستعماري الأمريكي الصهيوني، فهي قائدة المظلومين والمحرومين والمستضعفين ضد كيان دولي استعماري، لذلك رأينا أن نكتب هذا الكتاب للتعريف بالثورة، الثورة بإرهاصاتها ونجاحها ورؤية دولة الثورة وبرنامجها النووي السلمي، وما تقوم به الدولة الإسلامية لمساعدة المسلمين دون النظر لمذاهبهم، ومشروعها الثوري واستراتيجيتها المناهضة للاستعمار القديم المتجدد الذي يحتل الأرض والإرادة، العقل والروح، والذي يحاول استخدام الدين من أجل التفريق بين أبناء الأمة الواحدة.

مـركز العـراق للدراسـات
Iraq Center for Studies
www.markazaliraq.net
info@markazaliraq.net
+964 7710558123
+964 7707961315